محمد الداهي

التشخيص الأدبي للغة
في
رواية الفريق لعبد الله العروي



دار الأمان

الرباط

محمد الداهي

التشخيص الأدبي للغة
في
رواية الفريق لعبد اللّه العروي





طبع هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة بالمملكة المغربية

الكتاب : التشخيص الأدبي للغة في رواية الفريق لعبد الله العروي
المؤلف : محمد الداهي
صورة الغلاف : «غضب الأمواج» للفنان خالد العلواجي
الناشر : منشورات دار الأمان
العنوان : 4، زنقة المامونية – الرباط
الهاتف : 76 32 72 037 – الفاكس : 55 00 20 037

الطبعة الأولى : 1426 هـ 2006
الهاتف : 52 87 20 037 – الفاكس : 53 87 20 037
الايداع القانوني : 2006/0078

«الفريق» وجاذبية الواقع

د. عبد الله العروي

كان إدغار فور، السياسي الفرنسي المعروف عندنا بسبب دوره في عودة محمد الخامس إلى عرشه سنة 1955، يكتب روايات بوليسية تحت اسم مستعار. يفعل ذلك حتى لا تخدش مصداقيته كسياسي محترف.

وأنا أيضا اختفيتُ وراء اسم غير اسمي عندما نشرت أول عمل أدبي. ثم تخليت عن الاستتار تحت ضغط ناشر كان يجد صعوبة في تسويق كتاب لمؤلف مجهول الهوية.

أتأسف أحياناً لهذا الأمر: والباعث، على الأسف، ليس بالطبع حرصي على حماية سمعة سياسية أو أكاديمية، بل ما أشعر به من خيبة عندما أرى القارىء لا يتناول أعمالي الأدبية بالبراءة المطلوبة يجهد ليجد فيها، ولو تعسفاً وقسراً، مضمون مؤلفاتي الإيديولوجية والتاريخية.

يسألني الكثيرون: ماذا أردت أن تقول في **اليتيم**، في **أوراق**، في **الفريق**؟ ما أردت أن أقوله هو ما قلته فعلا، ما يفهمه القارىء جملة بعد أخرى. أما ما يعزى إلي من أفكار مسبقة، من دروس وعظات، لو كانت صحيحة لكنت قد سلكت الطريق الصعب.

سودت صفحات عديدة في مسائل فكرية، ثم عدت إليها لأشرحها، أُبَسِّطها، أتوسّع فيها، كل ذلك بأسلوب تقريري صريح. ورغم الجهد المبذول أُوِّلت تأويلات متباينة. لو أفرغتها بعد هذا في أسلوب أدبي روائي، إيحائي بالتعريف، لكنت أضفت قناعاً آخر فاتحاً أبواباً جديدة للتأويل.

هدف القصة أو الرواية ليس تجسيد فكرة أو تلقين درس. قد تعرض فكرة أو يوجد درس لكن كمادة فقط. الهدف هو استمالة القارىء وإثارة شعوره.

لا أتذكر بالضبط متى خطر في بالي أن أروي قصة تكوين فريق رياضي. ربما لأني شاهدت، أنا المولع بالسينما، أشرطةً أمريكية كثيرة، تتعرض لمثل هذا الموضوع. كان

يستهويني دائماً في هذه الأفلام دقتها التقنية. كنت تخرج من قاعة العرض وأنت ملمّ بقواعد الرياضة المذكورة، حتى الخاصة بالأمريكان كالبيزبول.

قلتُ في نفسي: هل أستطيع، وأنا أكتب باللسان العربي، أن أتبوأ مقعد المشاهد وأصف ما أرى دون إغراقه فيما ليس منه.

كان المشروع إذن، من البدء، تقنياً، بمعنى أن المراهنة كانت على اللغة والأسلوب.

والتعامل مع اللغة، على مستوياتها المختلفة، هو الذي جعلني أنقاد كلياً للواقع.

حدّدتُ الفترة الزمنية من 1968 إلى 1985، انغمست في الجرائد والمجلات التي كانت تصدر آنذاك، زرت الملاعب واستمعت باهتمام الى تعاليق الجمهور، انكببت على الكتب التقنية المتعلقة بكرة القدم ساعدني في عملي التوثيقي هذا أنه صادف انعقاد دورة الألعاب المتوسطية في المغرب، كان الاهتمام كله موجهاً إلى الرياضة.

إلا أن الواقع متلألىء خدّاع، والواقع اللغوي أكثر من غيره، خذ الأعلام مثلا.

منذ البداية لفت انتباهي عدد اللاّعبين على الميدان، أحد عشر بعد الحارس.

رقم «ساحر»، ما ذكرتُ بعض الأسماء - محمد، علي، الحسن - حتى استتبعت السلسلة كاملة، سلسلة الأئمة وكان الإغراء قوياً أن أسحب مكارم الاسم على المسمّى. أنقذني من الخطأ «همّ الواقع» بقيت أصداء من هذا الميل العابر قد تؤثر في شعور بعض القراء النبهاء.

لا تنافي إذن بين الواقعية والرّمزية، بل خطر الرمز كامن في الواقع المجرد. واجب الكاتب هو الممانعة. وهذه لا تتحقق إلا اذا شحنت الرواية بأكبر قدر ممكن من دقّة وكمال الوصف.

هذا ما حاولته في رواية الفريق. لذا جاءت أطول من قصصي الأخرى.

أتذكر أني استفدت واستمتعت أثناء الإعداد ومدّةَ الإنجاز. أتمنى أن يستمتع ويستفيد القارىء بمطالعتها، إن هو تقبّلها بكل بساطة كمغامرة في مجال اللغة ورحلة استكشافية في عالم الرياضة، رياضة الجسم الذي لا يكذب.

عبد الله العروي

الرباط في 2 نونبر 2004

تقديم

1 ـ **سؤال التشخيص** : إن السؤال الذي شغلني منذ الاحتكاك الأولي برواية **الفريق**، هو كيف يشخص عبد الله العروي الواقع روائيا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي التمييز بين العروي بوصفه ناقدا للمفاهيم والإيديولوجية وبين العروي بوصفه منتجا لنصوص تخييلية. فإذا قرأنا **الفريق** باعتبارها رديفا لأعماله الإيديولوجية وامتدادا مباشرا لها، فإننا سنتعسف على قراءتها الخاصة للواقع وطبيعة تشخيصها لعوائق التحديث، وسنفرغها من خصوصيتها الجمالية والفنية.

تبلور ذلك السؤال إلى عنوان هذا الكتاب : **التشخيص الأدبي للغة في رواية الفريق**. وهو بمثابة تكثيف واختزال لأهم القضايا التي عالجناها في مجمل الكتاب. وفي هذا الصدد نبدي الملاحظات الآتية.

1 ـ لقد أصبح من الأمور البديهية أن اللغة لا تنسخ الواقع. وتختلف درجة تشخيص الواقع من نص إلى آخر. تشخصه رواية **الفريق** بطريقة جمالية وفنية اعتمادا على التشخيص المضاد، وتجديد المتخيل الاجتماعي، واستكشاف مجاهيل النفس البشرية، وتفتيت اللغة الواحدة والآمرة.

2 ـ أصبح الواقع مرجعا داخليا يتشكل من الفسيفساء اللغوية، وتحولت ماديته إلى مادية لغوية خالصة (اللغات الفردية، اللغات الاجتماعية، الوضعية الاجتماعية واللغوية، الأجناس المتخللة). ولما أصبح المرجع مكونا من المكونات الضرورية والمنطقية للأدلة، أصبح الأمر لا يتعلق بالتخلص منه، وإنما بموضعته ضمن إشكالية سيميائية خالصة[1]، تزيح مفهوم المحاكاة لتحل محله مفهوم الاندلالية La signifiance.

3 ـ يستتبع السؤال السابق سؤالا آخر : كيف تجعلنا الرواية نعتقد بأنها تنسخ الواقع [2] وتشخصه؟ وفي هذا الصدد اقترح فليب هامون «دفتر شروط» غير تام، يحدد من خلاله معالم الواقعية الوصفية : استخراج عدد من الطرائق لقياس الخطاب الواقعي (الاسترجاع، والمشاهد النمطية، والتبرير النفسي للشخوض، والتاريخ الموازي للحكاية، والتجسيد السردي). وما يهمنا منه على وجه الخصوص هو اللغة المشخصة وما تستتبعه من مناصات ولغات اجتماعية وشفافية إعلامية وتهجين وأسلبة، أي كل ما يتعلق بـ «الواقعية النصية»[3]. يستبدل عبد الله العروي في رواية **الفريق** مفهوم الأدب المساوي للواقع بمفهوم علائقي يفترض تحويل الواقع وإعادة نسخه عبر الكلمات والأخيلة والرموز. وهذا ما يضفي على الكتابة بعدا لعبيا، ويتيح الانفتاح على السخرية ومتعة الحكي وتوليد القصص. ومن ثم فإن حضور التاريخ ومشكلات المجتمع... ليس حضورا برانيا بل هو مخترق بالكتابة والتشكيل ومحول إلى نسغ ينضح بهموم الكاتب وأحلامه وأسئلته[4].

2 ـ **الاختيار المنهجي :** تناولنا معضلة التشخيص من زاوية سيميائية اجتماعية socio-sémiotique . فما الملامح العامة لهذا الاختيار المنهجي؟

يعني كريماص بالمفهوم (السيميائية الاجتماعية) كل الإيحاءات السيميائية للسلوك الاجتماعي، وكل الخطابات المستعملة في التواصل الاجتماعي في منأى عن ماهيتها. ويتحدد حسب المواضيع الآتية :

أ ـ لما يتم تناول مشكلة التواصلات الاجتماعية بين البشر، يجب على النحو السيميائي ـ الاجتماعي أن يقدم النماذج العامة جداً لفهم تنظيمها واشتغالها.

ب ـ إن الإقرار بوجود فئات سيميائية تستعمل لغات اجتماعية، وتنتج خطابات اجتماعية ذات استعمال داخلي، يسهم في إنجاز أبحاث تتعلق بالتواصلات الاجتماعية المحدودة بين وداخل الفئات السيميائية لمجتمع معين.

ج ـ استدرجتنا التواصلات المعممة التي ترتبط بالمجتمع في كليته إلى اقتراح إمكانية سيميائية اجتماعية وخطابية، وإلى معالجة الشروط الخاصة بتكوينها[5].

يضع كريماص السيميائية الاجتماعية مقابل مفهوم السيميائية النفسية. فلما يكون التنظيم المتعدي للعوالم الثقافية، يمكن للتركيب أن يستوعب التسريد السيميائى والاجتماعي (الخرافات والإيديولوجيات). ولما يكون التنظيم الانعكاسي للعوامل الفردية، يمكن للتركيب أن يستوعب التسريد السيميائى والنفسي (الحياة الباطنية). إن السردية الأكثر تواترا هي التي تمزج السيمائيتين معا (النفسية والاجتماعية) في شكل واحد على نحو يطابق مجمل الممارسات البين ـ فردية[6].

ويقصد بيير زيما بالمفهوم التوليف بين النظريات للسيميائية (كريماص، كرستيفا، أمبرتو إيكو، برييتو) والنظريات الاجتماعية (علم الاجتماع الأدبي والنقد الاجتماعي) وفق المنطقين الآتين:

أ ـ إقامة علاقة نسقية بين المفاهيم السيميائية ذات الطابع الإيديولوجي.

ب ـ تطوير الأبعاد السيميائية واللغوية ـ الاجتماعية لبعض النظريات، وخاصة النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، والتي كان أعضاؤها حساسين جدا بالقضايا اللغوية[7].

وفقنا بين التصورين من الزاويتين الآتيتين :

أ ـ تشخيص الظواهر الاجتماعية على المستوى اللغة التخييلية، والتعامل مع البنى الخارج ـ نصية (extra-textuelles) بوصفها بنيات لغوية. ويعود الفضل في إقامة العلاقة بين الأدبي والاجتماعي على الصعيد اللغوي إلى الشكلانيين الروس (التأثير الاجتماعي على التصور الأدبي) وميخائيل باختين (الحوارية ومعضلة صورة اللغة) وسكاليكا (V.Skalicka) (الآثار الاجتماعية في المعجم اللغوي) وجوليا كرستيفا (التناص) وبيير زيما (اللغات الاجتماعية).

ب ـ إضفاء مسحة اجتماعية على المفاهيم السيميائية حتى تتخلص من الطابع السكوني. وهكذا تعاملنا مع اللغة الاجتماعية بوصفها بنية معجمية وإيديولوجية، ومع التناص باعتباره مقولة اجتماعية (تشخيص الإيديولوجيات والمصالح المتضاربة في خطابات ولغات اجتماعية). وأدرجنا الكلام في البنية العاملية نظرا لأهميته في تحريك البرامج الحكائية وإقناع الذات لإدراك الموضوع المبحوث عنه. وساعدتنا المفاهيم السيميائية في التعامل مع النص بوصفه ممارسة لغوية تعبر عن المصالح الاجتماعية، واعتبار المعطيات والوقائع الاجتماعية والوضعية الاجتماعية ـ اللغوية ملازمة لبنيته، وليست خارجة عنه.

3 ـ تمفصلات الكتاب :

يتكون الكتاب من الفصول الآتية :

1 ـ الأشكال الأولية للسرد : قدمنا نظرة مجملة عن التحول الجوهري في الرواية، ورصدنا التنظيم التركيبي وما يستتبعه من جهات أساسية وبرامج سردية وبرامج سردية مضادة وآليات الوصل والفصل. واستعنا بمقولتي الظهور والكينونة للكشف عن أوجه الشبه بين مدلول المظاهرة ومدلول البركان في الرواية.

2 ـ التمفصلات الدلالية للزمن : حاولنا التوفيق بين التقنيات الزمنية وأبعادها الدلالية؛ وذلك بالتركيز على موضوعاتية الأزمنة المتواترة، وَتَزْمِينِها سيميائيا، وبيان تجلياتها الخطابية، وتدارك ما لبعض المفاهيم الزمنية من حمولات موضوعاتية ودلالية، واستثمار بعض الجوانب من تصور ميخائيل باختين حول الكرنطوب، وجعل التجربة الزمنية مرتبطة بالمتلفظ بوصفه ذاتا اختبارية (تزمين الخطاب، موضو عاتية اللعب بالزمن) أو ذاتا نصية تُثَمِّن الزمن من الوجهة الاجتماعية.

3 ـ التناص : تعاملنا معه بوصفه آلة لامتصاص اللغات الشفهية والمكتوبة، والتصرف فيها بإدخال تحويلات وتعديلات عليها، وإعطائها منزلة خاصة داخل

الرواية. وقد مكننا التناص من تشخيص الوضعية الاجتماعية اللغوية، واستنتاج اللغات الاجتماعية التي كانت سائدة في الفترة المتحدث عنها (ما بين سنة 1968 وسنة 1985).

4 ـ اللغات الاجتماعية : اشتغلنا على الخطاب الليبرالي والخطاب الديني وخطاب السلطة وخطاب الرأي العام والخطاب الرياضي وخطاب الجمعية، وبينا عوائق التحديث، وما ينجم عن ضعف التأطير من مظاهرات وفراغ اجتماعي.

5 ـ اللغة الثالثة : أفردنا فصلا للغة الثالثة التي تعتبرها الرواية نموذجا للغة المحكية، وذلك للتوقف عند بنياتها التركيبية والنحوية والمعجمية والصوتية، واستخلاص الإيحاءات الطبقية والإقليمية منها.

6 ـ إيحاءات اسم العلم : اعتبرنا اسم العلم دليلا لغويا معللا، وشددنا على بعده اللغوي ومساهمته في إغناء التعدد الصوتي والدلالي للرواية. وقد اتضح لنا الوعي الكراتيلي بالأدلة عند الكاتب. فهو اختارها استنادا إلى ما تتضمنه من تعليلات صوتية وصرفية واشتقاقية، وما تخضع له من قواعد منطقية (لها توقع قوي إلى حد ما) وجمالية (الارتباط باختيار النوع) وإيديولوجية (تسرب شفرات ثقافية واجتماعية إلى النص).

7 ـ ملاءمة الكلام في البنية العاملية : رغم أن البنية العاملية ذات طابع مقنن، فالنص قادر على تطويعها وتكييفها حسب خصوصيته وحدة التوتر والصراع داخله. أبرزنا أهمية الكلام وملاءمته في البنية العاملية لتحريك البرامج السردية، ونقل الفعل من العالم الطبيعي إلى العالم السيميائي، وتمييز الفواعل حسب قدرتها على التواصل والإقناع، وإعطاء منزلة لجهات التحدث ضمن الجهات المعروفة (جهات الفعل، جهات الاحتمال والضرورة، جهات التحقق، الجهات المعرفية).

* * * * * * * * * *

الهوامش :

1 - Eisenzweig Uri, "La recherche du référent : l'église de Combray", in Littérature, n° 20,1975,p18.

2 ـ انظر إلى التحليل الذي أنجزه محمد برادة، «أبعاد واقعية جديدة في رواية اليتيم»، في الرواية المغربية بين السيرة الذاتية واستيحاء الواقع، منشورات جريدة الاتحاد الاشتراكي، 1985.

3 ـ تتعلق بنسخ عناصر الواقع اللغوية : نتف من الأحاديث والمسكوكات اللغوية وأغاني ونصوص إشهارية وعلامات الطريق ونقوش متنوعة وعناوين المجلات التجارية. ويترتب عليها داخل النص: التكرار والمعاودة والمحاكاة الساخرة والمعارضة. انظر، فليب هامون، «الخطاب المقيد»، في الأدب والواقع، ترجمة عبد الجليل الأزدي ومحمد معتصم، تنسفت، ط1، 1992 . ص ـ ص 73ـ113.

4ـ محمد برادة، «أسئلة الرواية أسئلة النقد : حوار مستحيل»، آفاق، العدد 1، 1989، ص 41.

5 - Greimas (A.J), Sémiotique et science sociale, Seuil, 1976, p.60.

6 - Greimas (A.J), Du Sens ll : Essais sémiotiques, Seuil, 1983 p.27

7 - Zima (P), Manuel de sociocritique, Picard, 1985, p.121.

الفصل الأول

الأشكال الأولية للسرد

تمهيد :

يتكون المكون السردي من الحالات والتحولات المتعاقبة التي تندرج في الخطاب، وتضطلع بإنتاج المعنى[1]. ويتطلب التحليل السردي رصد طبيعة الانتقال من حالة إلى أخرى (من الاتصال إلى الانفصال، أو العكس). وتتحكم في السردية لعبة الاقتضاء أو لعبة الاستتباع. وهي مبنية على علاقة التوجه التي تُستخدم ـ منْ بين أشياء أخرى ـ كقاعدة شكلية للمكون الزمني للسرد (ترتبط « قبل » بالحالة الأولى، أما « بعد » فترتبط بالحالة الثانية)[2].

سنحاول في « السرد الأدنى » إعطاء نظرة مجملة ومقتضبة عن كيفية نهوض الرواية على فعل قاعدي يضطلع بتحويل الحالات. مع العلم أن برنامجا واحدا قابلا للامتداد والتفرع إلى برامج سردية للاستعمال يستلزم بعضها البعض الآخر في إطار برنامج سردي أساسي. سنرصد في التنظيم التركيبي التحولات وما تستتبعه من صيغ جوهرية، وسنتتبع ما يترتب على تحرك الذات نحو الموضوع القيمي من برامج سردية مضادة (صراعات ومواجهات).

تعمل الخطاطة السردية على تشخيص الموضوع السيميائي المختزل إلى خصائصه الجوهرية[3]. وتتكون ـ وهي تمفصل عالم الخطاب بأجمعه ـ من ثلاثة اختبارات : اختبار مؤهل يمكن الشخصية من وسائل الفعل، واختبار حاسم يرتبط بالهدف الجوهري المرغوب فيه، واختبار ممجد يعلن عن الوقائع الكبرى المنجزة[4]. يستتبع هذا التوزيع المتتابع زمنيا ومنطقيا المراحل الأربع التي تعتبر نموذجا مقننا من التحولات والملفوظات المفضية إلى هدف محدد. وهي : التطويع، والكفاية، والإنجاز، والجزاء.

فيما يخص لعبة الكينونة والظهور، نكتفي بإبداء الملاحظتين الآتيتين:

1 ـ إن لعبة الحقيقة تستند إلى مقولة نحوية؛ وهي مقولة الكينونة والظهور. تسعفنا هذه اللعبة المكونة من أربع مقولات (الحقيقة، والزيف، والسر، والكذب) لإماطة اللثام عن الحقيقة الجوهرية الغافية في الرواية.

2 ـ نستعين بالدلالة الجوهرية التي تتوفر على لغة واصفة لمعالجة المحتويات المستثمرة وبنياتها الجدولية. ونستنتج المقومات الخاصة المترددة (الملازمة أو المصاحبة)، ثم نصنفها في تشاكلات دلالية.

1 ـ السرد الأدنى :

يدور المحكى ـ الإطار حول فكرة تكوين فريق جديد لكرة القدم بالصديقية لا علاقة له بالفريق القديم. وهكذا تتشخص البنية التركيبية للرواية على النحو الآتي :

ذ ∩ م ←———————— ذ ∪ م.

تخلى شعيب عن مهنة حراسة السجناء، ورجع إلى بلدة الصديقية ليستقر بها. وحتى يبدد هول الفراغ ورتابة الحياة، ارتأى تكوين فريق يعيد الاعتبار للصديقيين. استقطبت هذه المقصدية مقومات التشاكل النفسي والاجتماعي. أثار رجوع شعيب إلى بلدته وتحمسه لإعداد فريق قوي تساؤلات كثيرة وزوبعة من الشائعات والشكوك، تدعمها الذات المضادة (السلطة) بتحرياتها وترصداتها لفهم ما يجري بالصديقية، وإدراك الأسباب والخلفيات التي تحكمت في الاستغناء عن الفريق القديم.

2 ـ التنظيم التركيبي :

لفهم الاقتصاد العام للتنظيم السردي، ينبغي الإلمام فقط بالحالة الأولية والحالة النهائية. ينتظم السرد تركيبيا حول الفعل القاعدي الآتي : تكوين فريق جديد لكرة القدم. وقد استتبع هذا الإنجاز جهة الرغبة وجهة المعرفة وجهة إمكان الفعل.

أ - الرغبة : كانت فكرة تكوين الفريق في البداية مجرد بريق التمع في ذهن شعيب، عندما كان قادما من الصديقية إلى الدار البيضاء لمشاهدة مقابلة في كرة القدم بين الفريق الوطني المغربي وفريق آخر. ولما عرضها على أغرام وقرأ في عينيه تحمسا لها، انطلق المسار السَّردي لتحقيق هذه الرغبة الملحة.

ب - المعرفة : بتعاقد شعيب وأغرام حول تكوين الفريق، شرعا في تبادل وجهات نظريهما، ورصد الوسائل والإمكانات المادية والبشرية التي يمكن أن تسعفهما على تحقيق ما يصبوان إليه: مراسلة بعض أولاد البلد، والاتصال بالشخصيات السامية والمرموقة، وجمع التبرعات، وتنظيم حفلة، وتجهيز العادي.

ج - إمكان الفعل : ينبغي للذات أن تكون مؤهلة لتحقيق إنجاز ما، أي أن تتسم بكل المواصفات الضرورية واللازمة للوصول إلى الموضوع القيمي وامتلاكه. ولا يمكن أن نحكم على كفاية الذات إلا في لحظة الإنجاز، إذ يتم التأكد إما من قوتها أو عجزها. وبما أن الإنجاز يشكل الخطاطة الإجرائية لتحول المحتويات، فهو يعتبر - على الأرجح - الوحدة الأكثر تميزا للتركيب السردي. وبما أنه محدد على هذا الشكل، فهو يمثل وحدة تركيبية وخطاطة شكلية قادرة على استيعاب محتويات مختلفة[5]. إن جهة إمكان الفعل تتطلب من شعيب وأغرام أن يكونا مؤهلين لتحقيق ما يرغبان فيه، ويدركا المصاعب التي يمكن أن تعترض سبيلهما وتعيق مطامحهما.

وبعد تكوين الفريق، ناصره وسانده أنصار شعيب ماديا ومعنويا لتقوية عزيمته، وحفزه على المثابرة. لكن نظرا لهزائمه المتتالية، واندلاع مظاهرات احتجاجية، تدخلت السلطات المحلية بثقلها لحظر أنشطته وإغلاق ناديه.

3 - الوصل والفصل :

تستتبع التحولات التي تقع على المستوى التركيبي ضروبا من الوصل والفصل على المستوى الفاعلي والزمني والفضائي، وتضفي حركية على الأحداث، وتجعل مختلف الإجراءات متفاعلة فيما بينها. وقع فصل فضائي لما سافر أغرام إلى القنيطرة

وشعيب إلى الرباط للاتصال بأولاد البلد . لكن الأحداث ظلت، عمقيا، مرتبطة بفضاء الصديقية . وفي هذا الصدد يمكن أن نتحدث عن وصل فضائي متماثل مقولاتيا (homocatégorique)، يدخل في إطار إقناع أولاد البلد بأهمية المشروع الرياضي، وضرورة العودة إلى بلدتهم لبث الروح من جديد في أرجائها . وموازاة مع ذلك تحقق وصل فاعلي تسنده رغبة أولاد البلد في الظَّفر ببركة الصالحين، ومد جُسيْرات القرابة القبلية والدموية، والاستعانة بطقوس المتخيل ورموزه في تدبير السلوكات اليومية .

ويعتبر الملعب فضاء جوهريا لأنه يحتضن المواجهات والاختيارات الحاسمة التي تُستحضر فيها صور المتخيل الجمعي ورموزه . فكل الآمال معلقة على تجاوز عتباته لتحقيق وصل فاعلي (التئام أولاد البلد وتوحدهم) وفضائي (الرجوع إلى الصديقية لإنعاش العلاقات والقيم التقليدية) والزمني (ربط الماضي بالحاضر) . وبما أن البركة كانت تخون الفريق الجديد أثناء إجراء المقابلات، فقد تحول الملعب إلى مسرح للاحتجاجات والمظاهرات الصاخبة والحملات التخريبية . وهذا ما دفع السلطات المحلية إلى اعتقال مسيري الفريق للتحقيق معهم حول سخط الجمهور وتذمره، والبحث معهم حول ما رفع عنهم من تقارير تتعقب تحركاتهم وأنشطتهم .

4 ـ الخطاطة السردية :

1 ـ التطويع : يعد التطويع نشاطاً يمارسه إنسان على أناس آخرين لحفزهم أو حضهم على برنامج سردي معين . وبما أنه متموضع مركبيا بين رغبة المرسل وبين الإنجاز الفعلي الذي سبق له أن اقترحه، فهو يراهن أساسا على الإقناع الذي يتمفصل في الفعل الإقناعي للمرسل والفعل التأويلي للمرسل إليه[6] . يفترض التطويع البرامج السردية والأفعال المستقبلية، وهو الذي يكون وراء انطلاق المسار السردي وانتشاره عبر فضاءات وأزمنة محددة . بمجرد أن اقتنع شعيب وأغرام بفكرة تكوين فريق جديد بالصديقية، اضطلعا معا بحملة تطويعية لإقناع أولاد البلد بتبني المشروع الرياضي ودعمه ماديا ومعنويا . ومن بين الأفراد الذين راسلوهم رفض واحد منهم الانخراط في المشروع لكونه يقوم على التنابذ والتمايز والعصبية المحلية .

2 ـ الكفاية : مقارنة مع الإنجاز الذي يعتبر فعلا منتجا للملفوظات، فإن الكفاية تشكل معرفة للفعل. وهي « ما يجعل الفعل ممكنا »[7] . أي كل الشروط والمؤهلات الضرورية واللازمة التي ينبغي أن تتسم بها الذات حتى تكون على أتم الاستعداد للمواجهة والاختبار الحاسمين. وقد حرص المسيرون والمدرب (موسى بودميعة) على تأهيل الفريق الجديد بالتداريب المكثفة (زيارة الأضرحة جريا على الأقدام لتقوية العضلات، والتبرك ببركة الأولياء الصالحين، ومناجاة الغيب) والأنشطة الموازية (تنظيم محاضرات لشحذ عزائم اللاعبين بالنادي) .

3 ـ الإنجاز : يعتبر الإنجاز برنامجا سرديا للذات المؤهلة، تضطلع به لبيان قدراتها قصد تحقيق رغباتها . وهو عبارة عن سلسلة مُركبيّة من الملفوظات التي يمكن أن تتشخص على النحو الآتي :

م . س = و : المواجهة (ذ 1 ⟵⟶ ذ2)

تذمر الجمهور من الفريق بسبب توالي هزائمه، وعدم قدرته على تحقيق نتيجة إيجابية . وقد استغل المتفرجون انطفاء الأضواء بالملعب الشرفي للتعبير عن سخطهم ليس من نتائج الفريق فحسب وإنما أيضا من الوضع الاجتماعي، فرددوا شعارات صاخبة، وقاموا بأعمال تخريبية .

4 ـ الجزاء : هو صورة خطابية مرتبطة بالتطويع، وتقويم إجمالي لما أنجز من أفعال وبرامج سردية . وإذا كان المرسل، عادة من يطوِّع الكون الأكسيولوجي والفعل السردي، فهو يضطلع كذلك في النهاية بإصدار أحكام تبين موقفه من الإنجازات : إما يصدر حكما معرفيا عن الأفعال، وعن مدى مطابقة السلوكات والبرامج السردية للقيم الأكسيولوجية، وإما يصدر حكما معرفيا عن كينونة الذات، وبصفة عامة عن ملفوظات الحالة المحددة بفضل الجهات التحققية والمعرفية[8] . لم يصدر عن شعيب أي موقف بصدد ما حدث بالبيضاء، واكتفى بترديد ثقته بالقانون . لكن السلطات المحلية لا تقرن ما حدث بالصدفة والاتفاق، وإنما وَجَدَتْ له أسباباً ومبررات . وهذا ما

حذا بها إلى فتح تحقيق لمحاكمة المشتبه فيهم ومحاسبتهم على أفعالهم وإن كانت صادرة عن حسن نواياهم وغيرتهم لاسترجاع أمجاد الصديقية.

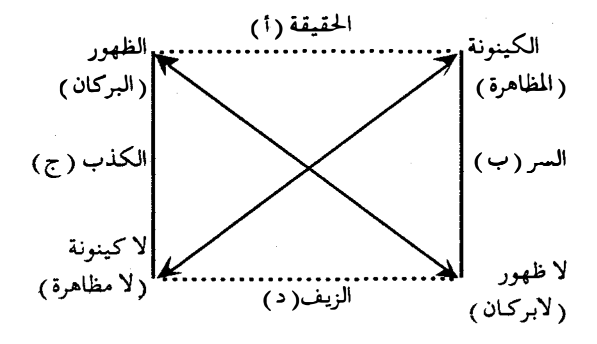
5 - الظهور والكينونة :

1-5 - تشاكل / الانفجار / .

لا نجد في مفتتح الرواية أي مؤشر يبين احترام الناظم الخارجي لطقوس البداية : يمكن أن يحذف أو يؤخر دون أن يكون له أي تأثير سلبي على مجرى الأحداث. لفد انصبت رؤية الناظم الخارجي على شهر مارس أساسا. ولما نفكك هذه المعجمية نجدها تتكون من العناصر الآتية : إله، وحرب، وبركان.

ولما نلقي نظرة على مختتم الرواية «خمدت النار وعاد السكون همدت الأرض واستقر الكون» ص 367؛ نعاين تقريبا المقومات التي ترددت في المفتتح (وخاصة ما يتعلق بالهدير، والحرارة، والاهتزاز). يستضمر الناظم الخارجي مقوم الخمود الذي يعني سكون البركان في حين لم يطفأ جمره. وهو ما يؤشر على انفجاره مرة أخرى.

لما نقرأ الرواية نجد تواتر مقومات الانفجار في صيغ مختلفة. وبالتوغل في أحداثها يتبين أن مدلول البركان يقترن بمدلول آخر وهو المظاهرة. وهذا ما يتطلب «الكشف عن لعبة القناع، وعن الحقيقة الداخلية للنص»[9].



(خطاطة رقم 1 : التَّحَقُّق)

ويمكن أن نجلي بعض مظاهر هذه الحقيقة بربط ما جرى بميسور (الانفجار القوي) بما جرى بالبيضاء (المظاهرة) . وتتشخص أوجه الشبه بين المدلولين على النحو الآتي :

ما جرى في ميسور	ما جرى في الدار البيضاء
ترددت في المحكي معجمية البركان .	وردت في المحكي معجمية البركان
هلع السكان	هلع السكان
هزة أرضية	هزة اجتماعية
الهدير	الهدير والصخب
حالة استنفار	حالة استنفار
عدم التمكن من معرفة الأسباب	عدم التمكن من معرفة الأسباب
الحادث ناجم عن تصادم طبقات الأرض في الأعماق	الحادث ناتج عن تفاعلات نفسية داخلية
وقع الحادث (الانفجار القوي) يوم الثلاثاء الثامن عشر من رمضان .	حدثت المظاهرة يوم الثلاثاء الثامن عشر من رمضان

(جدول رقم 1 : مدلول البركان/المظاهرة) .

من خلال هذا الجدول تتبين علاقة المشابهة التي تجمع بين ما جرى بميسور وما جرى بالدار البيضاء (التوقيت، طبيعة الحدث ومخلفاته، قوة الهزة، تعذر معرفة الأسباب) . إن صباحية البيضاء - التي وصفت مسيري الفريق والمشاغبين « بربائب الشيطان » في صفحتها الخامسة - هي التي نشرت بعد يومين وفي المكان نفسه ما وقع بميسور . ومن خلال إحالاتها وإيحاءاتها يتبين أن الناظم الخارجي تقصد تسليط مزيد من الأضواء على ما وقع بالدار البيضاء . فهو حدث خطير تم بعفوية واندفاع كبيرين، وترددت خلاله شعارات لا علاقة لها بالرياضة . وبما أن أسبابه غير معروفة فهو قابل

للظهور مرة أخرى. وقد حملت السلطات المحلية المسؤولية لمسيري الفريق لأنهم اضطلعوا بأنشطة يمكن أن تفسر بأنها كانت تهيىء الناس إلى تغيير أوضاعهم وسلوكاتهم.

2-5 - تشاكل / التمزق /.

تتردد من الفينة إلى أخرى موضوعة تساقط الأمطار. فتعود البسمة إلى وجوه الفلاحين بعد شهور من الجفاف.

انحباس المطر	ض	تساقط المطر
--------		--------
حزن الفلاح		المظاهرة

إن هذا التقابل لا يدوم إلا لحظات معدودات، فيستبدل بتقابل آخر يجلي الوضعية المزرية التي يعاني منها الفلاحون.

قلة المطر	ض	الجفاف
-------		------
حزن الفلاح		المظاهرات

من ثم يتبين أن ما تعرفه الميادين الرياضية من مظاهرات، هو - من بين أسباب أخرى - ناجم عن تدني المستوى المعيشي للفئات المستضعفة، وعدم تمكنها من مسايرة وتيرة التقلبات الاقتصادية والاجتماعية. ولهذا تستغل أي حدث كيف ما كان نوعه للتعبير عن غضبها وسخطها. «انفجرت صيحة لم يفهم منها سوى الفواصل: النار... العار..... الدمار.. وفوق صيحة الفزع والاستغاثة طغا صخب من نوع آخر يدعو إلى محو العار وسحق من عاث في الدار وخلف الخراب والدمار» ص 335.

3-5 – تشاكل / التقليدية / .

من خلال الرؤية البرانية التي ترصد ما يوجد بالنادي (صور الجوامع، ملصقات الأحاديث النبوية) وما يقوم به الفريق (ترقب انبلاج الفجر، حراسة المدينة المحصنة، زيارة الأضرحة)، وما يشعر به المجلس البلدي والشرفاء من مخاويف إزاء « الوضعية الجديدة » التي آلت إليها المدينة؛ يتضح أن التقليدية مكون جوهري في المشاريع والبرامج السردية، وأن مقوماتها منغرسة في الفضاء، وفي نفسية الشخوص ومقاصدهم وطرائق عيشهم. ولما تندلع المظاهرة تستنجد الجماهير المحتجة بالقوى الغيبية طالبة منها اللطف والعون، وإزاحة الهموم والمشاكل المنغصة.

من خلال التشاكلات السابقة تتضح معالم وخيوط ثنائية التجلي (البركان) والمحايثة (المظاهرة) :

1 – أثار البركان ردود فعل متباينة داخل الرأي العام. هناك من اعتبره مجرد زلزال بسيط وخفيف. وهناك من اعتبره حدثا جيولوجيا عظيما ينبغي البحث عن أسبابه ومخلفاته. ولما نستعين بمقولتي الظهور والكينونة[10] يتبين أن المقال الصحفي يوهمنا بالزلزال لطمأنة الناس وتكذيب الشائعات التي روجها بعض الوافدين على ميسور، في حين تشف كينونته الداخلية عن هول الحدث وجسامته (البركان).

2 – مكنتنا الاستعانة بمقولتي التحقق من إدراك حقيقة النص، والتي تَكْمُنُ في وقوع مظاهرات صاخبة كالبراكين. ولقد سبق أن أشرنا إلى أوجه الشبه التي تجمع بين الطرفين. وتعتبر المظاهرة بنية جدالية (صراع اجتماعي) تتشخص من خلاله « علائق القوى ». وهي - بالمعنى السيميائي[11] - عبارة عن مواجهة بين المرسل والمراسل إليه. كل طرف يلوذ بالقانون، ويتذرع به ليبرهن على مدى شرعية كلامه وممارسته. كما أن كل طرف مدجج بنظام من القيِّم (تفسير موقفه من المظاهرة) وبجهات ضرورية (رغبة الفعل، ومعرفة الفعل، والقدرة على الفعل). بظهور الفريق الجديد تأزمت العلاقة بين الأفاقيين (أعضاء لجنة مساندة الفريق الجديد) وبين ممثلي السكان

والشرفاء (مناصرو الفريق القديم) . لم تتدخل السلطة لأنها لم تتلق أية شكاية تفيد أن الفريق الجديد يقوم بأنشطة محظورة أو مخالفة للقانون . ومع ذلك كانت تترصد تحركاته لفهم دواعي تكوينه ومراميه . ولما وقعت المظاهرة بالدار البيضاء انكشف الصراع الخفي بين الفريق الجديد والسلطة .

وهكذا تضطلع السلطة بوظيفة المرسل . فهي المقرر والمنفذ للقانون، والمحدد لما يجب الالتزام به . ويستقطب عَمَلُها عنصرين :

أ – موضوع القرار : فكل قرار يرتبط بالفعل وعدم الفعل .

ب – برنامج سردي تتحكم فيه صيغة الواجب .

ولهذا فهي تُحَمِّلُ جزءا من المسؤولية لمسيري الفريق، لأنهم لم يحكموا تأطير فريقهم، واستخدموا الرياضية وسيلة لأغراض شخصية ودينية .

أما الفريق الجديد فيشغل وظيفة المرسل إليه . وتتمثل في الامتثال للنظام واحترام الحقوق والواجبات . فهو يحرص على تطبيق « القانون »، ويشجب أساليب العنف والتخريب، ويريد فقط أن يعترف به المرسل ليمارس أنشطته الرياضية والثقافية دون إكراهات ومضايقات، ويسهم في دعم المجتمع المدني .

الهوامش :

1 - *Analyse sémiotique du texte.* (groupe d'entreverne), Toubkal, 1987, p14.

2 - Courtés (J) : *Analyse sémiotique du discours*, Hachette, 1991, p74.

3 - Greimas (A.J) et Courtés(J) : *Dictionnaire raisonné de la théorie du language, Hachette,* 1979, p 322.

4 - Courtés (J) : *Analyse sémiotique du discours*, op.cit, 98.

5 - Greimas (A.J) : *Du Sens,* Seuil; 1970, p 173.

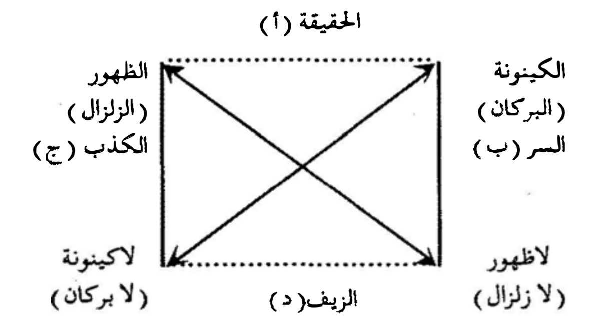
6 - 3 Greimas (A.J) et Courtés (J) : *Dictionnaire raisonné* op.cit, p 221.

7 - Ibid, p 35.

8 - Ibid, p 320.

9 - Greimas (A.J) :" Les actants, les acteurs et les figures" in *Sémiotiques narratives et textuelles,* Larousse, 1973, p 166.

10 ـ تشخص المقولتان في المربع السيميائي على النحو الآتي .



يتكون هذا المربع من العلاقات الآتية :

1 ـ محور الحقيقة : يوهمنا المقال الصحفي بان ما وقع هو مجرد هزة أرضية خفيفة، في حين هو انفجار قوي (بركان) .

2 ـ محور السر : إن ما وقع هو بركان وليس زلزالا .

3 ـ محور الكذب : يعتبر ما وقع زلزالا وليس بركانا .

4 ـ محور الزيف : يتولد من محور شبه التضاد (لا زلزال ولا بركان) حد مركب يستخلص من سياقات النص الروائي، وهو المظاهرة .

5 ـ محور الحايثة : يتعلق بمدلول المظاهرة .

6 محور التجلي : يتعلق بما هو ظاهر أي مدلول البركان .

11 ـ استفدنا من جوريف كوتيص « دراسة تمظهر الإضراب » في التحليل السيميائي للخطاب، م.سا ص ص 123 - 126 .

الفصل الثاني

التمفصلات الدلالية للزمن

تـقـديــــم :

سنحاول في هذا الفصل التوليف بين التقنيات الزمنية للرواية وبين أبعادها الدلالية والبحث عن التخريجات التي يمكن أن تسعفنا على تحقيق ذلك. إن أعمق الدراسات التي تناولت الزمن السردي هي السرديات. وعندما نلقي نظرة على بعضها نجدها تولي الأهمية الكبيرة للجانب التقني، ولا تتجاوزه إلا نسبيا. ومع ذلك لا يجب أن نتغافل عن ذلك الهامش الذي لامست فيه الجانب الموضوعاتي[1]، إن لم نقل الإيديولوجي[2]. إن الانبهار بالبنيوية ومفاهيمها هو الذي أدى الى السهو والتغاضي عنه والاهتمام فقط بالتقنيات الخالية والمجردة من أي محتوى. كما تتضمن كذلك تصورات وتأملات عامة تتجاوز في بعض الأحيان الملفوظ لتتناول قضايا تلفظية[3] (زمن الكتابة، وزمن القراءة، وزمن التجربة التخيلية .. الخ) تتدارك الأبعاد الدلالية في التقنيات الزمنية، وتكشف عن مختلف التفسيرات والتأويلات التي تحملها.

ويبدو أن أهم ما يلفت النظر في دراسة القضايا الدلالية هو بعدها المنهجي بوصفها محاولات جنينية وأولية لتجاوز المظهر اللفظي. وتدخل محاولتنا لِدَعْمِه من الجوانب التالية:

1 ـ سنعتمد على التراكمات التقنية المسعفة على تحليل التمفصلات الزمنية في الرواية. وسنحاول إعطاءها وضعا اعتباريا جديدا من خلال مزاوجتها مع البعد الدلالي، والتأكيد ما لبعض المفاهيم من حمولات دلالية تتطلب فقط تدارك ذلك،

وامتحان إجرائيتها وفق ما تتطلبه خصوصية الرواية وطبيعة الزمن العربي (الإبراز Le mise en relief، والحذف الموصوف، والاسترجاع، والاستشراف، وموضوعاتية الزمن. . . الخ) .

2 – إن الزمن الطبيعي هو الثروة الوحيدة الموزعة بين البشر بعدالة : يتوفر الاغنياء والفقراء على أربع وعشرين ساعة في اليوم، لكن بما أنه في الحقيقة مفهوم اجتماعي فإن استعماله مشروط اجتماعيا [5]. وهنا يكمن التثمين الاجتماعي لماهية محتواه. فالرواية تنطوي على خطاب زمني حول الزمن، وعلى كثير من المواقف الوجودية منه. يمكن أن نستخلص منها طبيعة العلاقة التي تجمع بين متلفظين مشروطين اجتماعيا ورؤياتهم للأشياء (تثميناتهم وتقديراتهم) .

3 – نستثمر بعض الجوانب من تصورات ميخائيل باختين حول الكرنطوب Chronotope [6] (التحام الزمان والفضاء) باعتباره مقولة أدبية للشكل والمحتوى[7]. وهو نظرية عن الزمن الروائي أكثر مما هي عن الفضاء الروائي، فالزمن هو الذي يملك النشاط الخلاق، ويضفي على الفضاء طابع الحركية والجدلية[8]. ولا تنكشف مؤشراته إلا من خلال الفضاء الذي يلتحم به.

1 ـ موضوعاتية الصيف :

تتكرر الوحدة الزمنية « الصيف » كثيرا في الفضاء النصي للرواية، وتكتسب حسب السياقات التي وردت فيها دلالات خاصة، يمكنها أن تتراص فيما بينها لتعطينا موقفا موحدا. وقبل ملامسة تجلياتها وتمظهراتها السياقية سنحاول رصد تمظهرها المعجمي وتزمينها (بالمعنى السيميائي للكلمة) وتنظيمها العاملي. سنختار فقط المعنى الأكثر تداولا واستعمالا : صاف بالمكان أي أقام به الصيف. واصطاف مثله، والموضع مصيف ومصطاف. صاف القوم إذا أقاموا في الصيف بموضع، فهم صائفون وأصافوا فهم مصيفون إذا دخلوا في زمان الصيف(10).

يمكن أن نستخلص من هذا المعنى التنظيم العاملي التالي : ذات تتحرك نحو الموضوع القيمي (الاستجمام والراحة). ترسلها الحرارة الى المصطاف (المرسل إليه)، تساعدها وفرة المال، ويعيقها العوز المالي. ويَسْتَدْعِي تزمينه تتابع الأحداث على نحو شبه سببي (الرغبة في الاصطياف، اختيار المصيف الملائم، الكفاءة والقدرة على الإنجاز (قضاء أيام صيفية مناسبة ومريحة)، ويقتضي كذلك التعيين الزمني (بالمعنى الدقيق للكلمة : الصيف هو وقت التسلية والاسترواح، والتخلص من رتابة العمل وتعبه)، وآليات الانفصال والاتصال (الانفصال المؤقت عن الفضاء الأصلي الى آخر لقضاء مدة زمنية محدودة فيه، ثم العودة من جديد الى الفضاء الأول).

1 – نجد هذا المعنى مشخصا تقريبا في أحد التمفصلات الزمنية الكبرى للرواية، « هذا الصيف جاء عدد كبير من أولاء المدينة بعدما كانوا متعودين على طنجة وتطوان وأكادير. جاءوا عندنا عمروا مساكن كانت تقريبا مهدومة. صلحوها بيضوها رجعوا فيها الروح. والمستقبل أحسن وأحسن. لما يبدأ الفريق يتدرب بالفعل... » ص 198. فأولاد البلد فضلوا الاصطياف في بلدتهم الأصلية بدل الاصطياف في مدن أخرى، مما ترتبت عليه جملة من البرامج السردية (الاكتراء، والاصلاح، والتبييض، والإقامة المؤقتة)، التي خلقت رواجا اجتماعيا واقتصاديا

بالمدينة. لكن التنظيم العاملي للصيف هنا يختلف عن مثيله السابق. تتحكم في تمظهره المعجمي العلاقة المباشرة مع الموضوع القيمي : (الاسترواح). أما في تمظهره السياقي، فتتحكم فيه العلاقة بين الذوات : (التصارع للاستفادة من الصيف). فالصيف في التمظهر الأول غاية لنشدان الراحة قصد التهيؤ للعمل واستئناف النشاط من جديد. وفي التمظهر الثاني وسيلة ذرائعية لكسب ثقة الجماهير واستمالتها (تحقيق أغراض إيديولوجية : كان من وراء تنشيط المدينة وازدهارها الطرف الفلاني). إذا كان الصيف يقترن بالاستجمام والاسترواح فهو في النص يقترن بالصراع و« الدخول الاجتماعي والسياسي »، وهذا ما حذا بكل طرف من الطرفين المتصارعين أن يراهن على التحكم في « الفريق » لضمان البرنامجين السرديين التاليين : أولا تنشيط المدينة وثانيا التحكم في الوضع الصديقي بصفة عامة (الإفادة الايديولوجية). من هنا يتبين أن الصيف غير مرتبط ببرمجة زمنية تتمحور حول مستلزمات الاسترواح والانتعاش، بل بما يتعلق بتصارع طرفين: كل طرف يضع الترتيبات الزمنية المحددة والمرتبة حسب الضرورة والاقتضاء للوصول الى رغباته.

2 – كما يرتبط بمقومات أخرى جعلته يرتقي مِنْ وحدة زمنية (فصل من الفصول الأربعة) إلى وحدة رمزية (مرحلة اجتماعية ساخنة) :

1 – يرتبط بالشر « أيام الصيف ترى الشر وجها لوجه » ص 264. وهما يتفقان في المقومات التالية : [+ الزمن] (يدوم الشر مدة زمنية معلومة، الصيف هو مدة زمنية محددة)، [+ الضرر] الشر هو إلحاق الأذى بالغير، يلحق القيظ الأذى بالغير)، [+ عدم الملاءمة] (الشر هو مخالفة نموذج سائد ومثالي. الصيف متعب ومرهق لمن يريد الاشتغال فيه)، [+ الجفاف] (شرر أو أشر اللحم، وضعه في الشمس ليجف، شدة الحر تؤدي الى الجفاف)، [+الصراع] (إذا قمنا بتصحيف الشر يعطينا شارة وشرشرة، أي نزاع وتشقيق)؛ كما نلاحظ من خلال أحداث الرواية فإن الصيف ارتبط بالشارة (مظاهرات ومقابلات رياضية) وبالشرشرة (انشقاق أولاد البلد إلى براني وبلدي، وتوتر العلاقة بين الجمعية والسلطة ... الخ).

2 - يرتبط الصيف بالحرارة المفرطة الى درجة الحرق « الشمس تبرق وتستعد لتحرق المخلوقات » ص 150؛ وهو ما نجم عَنْهُ الجفاف « هذا العام ما كانت صابة ما كان حليب » ص 115؛ واندلاع مظاهرات بالأحياء الشعبية تعبيراً عن تأزم الوضعية المعيشية.

3 - ويرتبط كذلك باضطراب الطقس الحار، والزوابع المحملة بالغبار، واهتزازات الأرض « قامت الريح بعد الرابعة » ص 327، « الهواء كثيف يحمل معه غبارا »، « هبت الزوبعة وانقطع التيار الكهربائي » ص 335، « تحولت البيضاء الى مدينة جنوبية (رمانية اللون) » ص 340 الخ.

4 - نلاحظ أن أحداث الرواية حتى وإن جرت في فصول أخرى فهي لا تتجرد من مقومات القيظ والسخونة والاضطراب (يتميز الربيع بالتقلب الشديد وبالحرارة الساقرة، ويتميز الشتاء بخفة المطر وقلته)؛ الأمر الذي جعل كل الفصول تُوَظَّفُ بطريقة رمزية، يمكن أن نستخلص منها ما يلي :

أ - إِن الحرائق التي تعرفها الأحياء الشعبية، هي امتداد لما تعرفه الميادين الرياضية من أحداث صاخبة؛ الأمر الذي يبين أن المرحلة التي تجري فيها الرواية هي مرحلة عصيبة تتميز من الفينة إلى الأخرى بأحداث غير منتظرة تقلب كل الحسابات الممكنة.

ب - إذا كان فصل الصيف، بوصفه وحدة زمنية يرمز إلى الاستقرار والاسترواح والاستجمام، فهو حسب تجلياته الخطابية يرمز إلى اللاستقرار (المظاهرات والصراعات)، ومن هنا يمكن أن نستنتج تشاكلا دلاليا يرتبط بأحداث الرواية من خلال مقومات نختار منها [+السخونة] : يتميز الصيف بالحرارة والالتهاب، بالمقابل تتميز بعض التمفصلات السردية للرواية بالغليان الجماهيري وإضرام النيران؛ و[+ الاضطراب] : يتميز الصيف بالتقلب الشديد، بالمقابل تتميز الأحداث بمظاهرات اجتماعية خطيرة.

2 ـ كرنطوب العتبة :

هو كرنطوب الأزمة وتحول حاسم لمجرى الحياة. اكتسبت لفظة العتبة في الحياة اللغوية (كما هو الشأن في معناها الحقيقي) معنى استعاريا. وهي ترتبط بلحظة التغيير المفاجىء (الأزمة)، وبلحظة القرار المغير لمجرى الوجود (أو عدم اتخاذ هذا القرار خوفا من « تجاوز العتبة »)[11].

يتجسد زمن العتبة في ثلاثة فضاءات حاسمة : النادي والبلدية والملعب.

2-1 – شكل فضاء النادي، ظاهريا، فصلا بين زمنين (زمن نوعي وكمي)[12]، وبين عهدين (عهد تقليدي كانت فيه أدوات التأطير التقليدية تلعب دورا رياديا، (على نحو الزاوية) وعهد عصري أصبحت المراهنة فيه على أدوات التأطير العصرية (الجمعية والنادي والتعاونية والحزب والنقابة... الخ))، لكن بما أن النادي ـ حسب تجلياته وتمظهراته النصية ـ تم إفراغ ماهية محتواه[13] من الحمولات الدلالية التحديثية والعصرية، وتم ملؤها بحمولات تقليدية « قاعة الاجتماع في النادي... صور بأحجام مختلفة وأوراق عريضة كتبت عليها شعارات وأشعار وأحاديث نبوية، يلفت نظر الوافد مخطط قديم... ترى فيه بوضوح صوامع ومنارات وأبواب وسور وخندق المدينة القديمة... » ص 165؛ فإنه أصبح أكثر تشخيصا للزمن النوعي والتقليدي وأكثر التفاتا إلى الماضي (العصر الذهبي للإسلام، وتاريخ الصديقية المجيد، وتاريخ المؤسسات)، وأصبح كذلك نقطة فصل بين عقليتين تقليديتين متناقضتين: عقلية تعتمد على أدوات التأطير العصرية لنشر رؤيتها للعالم، لأنه تبين لها أنها تشكل وسائل فعالة لاكتساب الشرعية وتأطير المنخرطين (عروض، ومعارض، وتلفزة، وكتب) وتهييئهم لمجاهدة الخصوم؛ وعقلية تتخوف من أي عمل تأطيري لأنها ترى فيه خطرا على مصالحها، لذا تتجند بجميع الوسائل لتضييق الخناق عليه ومحاصرته حتى لا يقوم بدوره على الوجه الأكمل (منعه من تجاوز العتبة).

2-2 – يَتَجَسْدَنُ في فضاء البلدية زمن اجتماع السلطة مع شعيب، وهو زمن مرتبط بتأزم فريق شعيب نتيجة انهزامه في أول لقاء تدريبي. حاولت السلطة أن

تستغله لخدمة أغراضها الايديولوجية فكانت أمام حلين : إما حل الفريق وإما احتواؤه، فضلت الحل الثاني لأنها وجدت فيه من جهة ضمانة لكسب ثقة الجماهير ورضاها، ومن جهة ثانية وسيلة لمنع « الفريق » من تجاوز « العتبة ». لكن شعيب فضل السكوت تخوفا من أن يفضي الاجتماع إلى الحل الأول، ومطمئنا في الآن نفسه الى الحل الثاني الذي سيسمح له باسترجاع نفسه وفك الأزمة المضروبة عليه، وبالتالي التفكير في تجاوز العتبة التي وضعتها السلطة كعائق يحول دون وصوله الى الموضوع القيمي (التحكم في الوضع الصديقي).

3-2 – يرتبط فضاء الملعب في الرواية بقيم محزنة (الهزيمة، والصراع، وإضرام النيران. . .)، وهو فضاء رمزي يشخص زمن الصراعات الحادة والتطاحنات الاجتماعية المزمنة؛ أي أنه يشخص أزمة اجتماعية خطيرة. فإذا كان النادي يمثل المرحلة التنظيرية والتمهيدية للمجاهدة، فإن الملعب يمثل المرحلة التطبيقية والفعلية لها. إذا انتصر الفريق سيتمكن من تجاوز العتبة أما إذا انهزم فسيتعذر عليه ذلك، بل ـ --عقد المسألة أمامه أكثر، لأن السلطة ستضاعف من محاصرتها له، إن لم نقل ستعمل على حله نهائيا.

3 ـ الكرنطوب التاريخي :

يتجلى الزمن التاريخي عبر الفضاءات في شكلين :

1-3 – يقترن ببعض الفضاءات زمن تاريخي محدد في مدى مفارقته (المسافة الزمنية التي يطالها الاسترجاع). يرتبط فضاء مهدومة (الصديقية) بعهد السعديين والعلويين، وخاصة بسيدي محمد بن عبد الله الذي حررها من قبضة البرتغاليين الذين مكثوا فيها أزيد من قرنين، وهو بمثابة بؤرة زمنية مليئة بالاسترجاعات والاستشرافات والاستطردات والقفزات الزمنية التي تحيلنا على سلالات وأسماء ومعارك تاريخية. يتسم هذا الزمن التاريخي « بالمقصدية التاريخية التي تستهدف أحداثا وقعت فعلا »[14]، والتي تتسم بما يسميه رولان بارت « بأثر الواقع » (امتزاج المدلول بالمرجع).

2-3 – يجري القسم الأكبر من الأحداث في فضاءات عتيقة (الأضرحة، والسوق، والغار، والزاوية، ودرب الشيخ العوني) ملتفتة إلى الماضي، وباعثة للقيم الماضوية من مرقدها، ومرتبطة بزمن غير محدد في مداه. وداخل هذه الفضاءات ينتعش تاريخ أساليب الحياة والعادات والزمن النوعي (مواعيد الصلاة، اتخاذ مرجع من حدث معروف وبارز... الخ)، والمؤمثل للماضي. وهي أزمنة محملة بقيم موروثة يتبين لنا من خلالها أنها لا تشكل فقط مقولات زمنية بل مقولات أكسيولوجية وتراتبية من القيم[15].

4 ـ الوعي بالزمن :

عقب بول ريكور Ricoeur على فكرة جيرار جنيت المتعلقة « باللعب بالزمن » بما يلي : « إن تحليل هذه البنية الزمنية ذات الطابع التأملي، أظهرت ضرورة إعطاء ـ كغاية لهذا اللعب بالزمن ـ مهمة تمفصل التجربة الزمنية التي هي رهان اللعب »[16]. وفيها ركز على « التجربة الزمنية التخيلية » أو « تجربة الزمن المتخيل »، التي تقوم على عدم الفصل بين الملفوظ والتلفظ. لقد تناولها باختين في إطار الوضعية الزّمكانية للقارىء المستمع، وفي إطار دور هذا الأخير المجدد للعمل الأدبي في سيرورة مدته[17]؛ ولامسها سعيد يقطين في إطار التقاطع الحاصل بين التجربة التخيلية والتجربة الحية عند القارىء (في إطار ما يسميه ببناء النص على المستوى الخارجي)[18]؛ وتعامل معها مشيل بيكار باعتبارها نشاطا تخيليا يخضع لقواعد متأرجحة بين قطبى الطفولة والعاطفة، وبين قطب الرشد والثقافة[19].

في حين سنتناول تلك التجربة التخيلية للزمن ليس في علاقاتها بالقارىء، بل بالمتلفظ وذلك من زاويتين :

1 – اعتبار الكاتب الحقيقي (نضعه مقابل الكاتب الضمني) متلفظا للنص الروائي ومنتجا لتجربة زمنية تخيلية، ومولداً للأحداث ومنظما لها، وبالتالي مبدعا لخطاب زمني حول الزمن.

2 – تتبدد صورة الكاتب الحقيقي لتحل محلها صور المتكلمين أو المتلفظين المشخصين أدبيا من خلال صور لغاتهم. وإن كان كل واحد منهم يتلفظ بلغات متعددة ذات مرجعيات زمنية متباينة (الإسلام، القرون الوسطى، الوقت الراهن...) فهو لا ينتج إلا خطابا زمنيا واحدا يكشف عن طبيعة رؤيته للأشياء.

1-4 ـ الوعي بالزمن عند الكاتب الحقيقي :

1-1-4 – إذا كان البعد الزمني الأول الذي يقرع ذهن القارىء، هو البعد الزمني للقصة[20] . ففي أي تاريخ تتموضع المغامرة المحكية؟ لا تشفي الرواية ـ من هذه الناحية ـ غليل القارىء، لأنها خلو من أي مؤشر زمني محدد يمكن اعتباره مرجعا لأحداث السرود الأصلية[21]، بحيث تقصد الكاتب إضماره «يوم الاثنين 24 من الشهر نشرت...» ص 342 «ما وقع يوم الاثنين السابع عشر من رمضان الأبرك» ص 343 «يوم الاثنين 24 من الشهر الجاري الساعة العاشرة وربع...» ص 303. لكن إذا قمنا بتأويل بعض الأحداث المتسمة بأثر الواقع، يتبين لنا أن قسما كبيرا منها[22]، يجري في عقد السبعينات (المادة الحكائية سابقة على النص، ولكنها على مسافة قريبة جدا منه).

قد نتوهم أن البنية الزمنية للسرود الأصلية سائبة. أو أنها تجري في شهور متقاربة، في حين أنها تجري خلال سنوات محذوفة ضمنيا، لا يظهر منها إلا ما تم الإعلان عنه. توجد فترة زمنية بين لحظة الحفلة وبين زيارة سرحان للشيخ العوني وهي سنة. تغيب الخلوقي عن زيارة الصديقية مدة سنة كاملة. بمجرد ما يقترب الصيف إلى نهايته لا يحل محله فصل آخر إلا نادرا، بل تتم العودة إليه من جديد، وهذه العملية تكررت كثيراً.

لِمَ تعمد الكاتب عدم تحديد السنة التي تجري فيها السرود الأصلية؟ لقد ترك موضعها شاغرا ليملأه أي حدث جماهيري أفرزه الصراع الاجتماعي خلال المدة الزمنية الممتدة من 1968 (الزمن الذي استخلصناه من تأويل أحداث بعض السرود

الأصلية) إلى سنة 1986 (زمن طبع الرواية) وهي فترة تحيلنا على أحداث ساخنة وانفجارات اجتماعية. وإن كانت متباعدة في زمن وقوعها فهي متشابهة - بالطريقة التي تشخصها الرواية - في مظاهرها العامة. فعلى مستوى سطح الرواية نتوهم بالحركة والتنقلات والاتصالات والإنجازات، لكن على مستوى العمق يتجمد كل شيء ويتحكم فيه زمن المشابهة والامتثالية المعيق لأي تطور نوعي في المجتمع.

2-1-4 – يطلعنا مفتتح الرواية على الزمن الذي ستجري فيه بعض أحداث القصة وهو شهر مارس الذي يتسم بالطابع المتواتر itératit (حكاية مرة ما يقع في كل شهر مارس)[24]. وإذا كان هذا الشهر يرتبط حسب ما هو شائع ومتداول بمقومات [+ البهجة] و[+ الخصوبة] و[+ اليناعة] و[+ الحيوية] و[+ الاخضرار] و[+النضج]، أي ما يجعل منه زمنا منتجا[25] وموجها نحو المستقبل؛ فهو يرتبط حسب سياقه النصي بمقومات مناقضة لها : [+ الخوف] و[+ التردد] و[+ القلق] و[+ التقلب] و[+ الخطورة] و[+ الحر] و[+الاحتراق] (حسب هذين المؤشرين الأخيرين لا يوجد حدّ بين فصلي الربيع والصيف).

ولما نتأمل مختتم الرواية قد نتوهم بالتوقف النهائي للزمن[26](حظر الجمعية وتوقيف أنشطتها. . .)، لكن إذا قمنا باستقراء بعض المؤشرات الزمنية (خاصة الرشوم والإعلانات التي ترهص بما ستعرفه البيضاء من مظاهرات، والزمن التكراري الذي يشير إلى ما ستعرفه بعض المناطق من انفجارات)، يتبين لنا أن نهاية الرواية مزيفة[27]، وأن أحداث القصة لم تنته، إذ يمكن للقارئ أن يتخيل الإمكانات السردية وإطارها[28].

من خلال هذه العلاقة بين مفتتح الرواية ومختتمها، تتبين لنا المقصدية المتحكمة في توظيف البعد الزمني، وتتجلى في ارتباطها بالواجهة الاجتماعية والسياسية التي عرفها المجتمع المغربي خلال فترة تاريخية معينة، ويمكن أن تمتد الى ما بعد زمن الطبع الى حين توفر الشروط الكفيلة بخلق توازنات حقيقية داخل المجتمع، ووضع حد لكل الأحداث الساخنة (المظاهرات / البراكين)، والأزمنة المحزنة والمرتبطة بها (غير المنتجة، والمتقلبة، والحارة).

3-1-4 – خلخل الكاتب الحقيقي الزمن السطري التقليدي اعتمادا على تقنيات نجملها في ما يلي:

1 – على الرغم من الانفصالات الفضائية في بداية الرواية (الصديقية، قرية في ناحية بني ملال، القنيطرة، طنجة، البيضاء)، فإن الأحداث تجري في اليوم نفسه (الأحد)، وفي بعض الأحيان في أوقات متزامنة. وبما أن الخطاب يتميز بالسطرية فهو يتعذر عليه أن يقدم تلك الأحداث دفعة واحدة، بل هو ملزم على ترتيبها متتالية واحدة بعد الأخرى، مما يترتب عليه التحريف الزمني[29]. حتى ولو تقصد الكاتب تسلسل الأحداث، فإن حدثا واحدا يتطلب منه صفحات كثيرة. ومع ذلك لا يمكن أن يسلم من الفرجات والانقطاعات والقفزات المباغتة من زمن إلى آخر. قد يُعْلَنُ عنها (الحذف المعلن)، وقد تبقى مندسة تتطلب من القارىء التنبه والتفطن لها (الحذف الضمني). ونجد هذا النوع الأخير يتخلل كثيرا السرد الأصلي. ماذا فعل شعيب بين انتهائه من الوضوء وبين ركوبه الحافلة المتوجهة الى البيضاء؟ ماذا كان يفعل المختار وشان قبل استماعه خبر إجراء المقابلة الدولية بالملعب الشرقي؟ ماذا كانت تفعل خميطة قبل وجودها في مطعم المنزه؟ يتبين لنا أن للقصة أبعاداً متعددة في حين لا يتوفر الخطاب إلا على بعد واحد[30]. نلاحظ أن حدثي استيقاظ شعيب وعلي نور من النوم يجريان في أوقات متزامنة تقريبا، لكن نظرا لسطرية الخطاب يتعذر سردهما في الآن نفسه، إذ لابد من ترتيبهما وتخطيبهما.

2 – تم تكسير سطرية الزمن بتوظيف محكيات كثيرة ضمن المحكي – الإطار، مما ترتب عليه اللعب بالزمن (استرجاعات، واستشرفات، وبؤر زمنية تحيل على مرجعيات مختلفة (حكائية ودينية وتاريخية).

3 – لقد تم تضمين في السرود الأصلية (التي لا تشير صراحة الي تاريخ محدد) تواريخ كثيرة تحيل على مرجعيات تاريخية متنوعة (الجاهلية والإسلام

والنهضة الأوربية والحرب العالمية الثانية. . . الخ). لم يتم التعامل معها كحقائق موضوعية بل كحقائق ذاتية مشبعة بالعينات الايديولوجية والنوايا الجديدة للمتكلمين، ولم يتم كذلك إقحامها داخل الرواية بطريقة فجة وسطحية، بل تم تذويبها في قالب فني وتشخيصها في بناء متراص ومتلاحم العناصر.

2-4 – الوعي بالزمن عند المتكلمين :

يوظف الكاتب الضمني[31] الزمن لبيان المناخ السياسي والاجتماعي العام الذي يكتنف الصديقية. وهو مناخ متقلب ومضطرب يتسم بعدم استقرار الوضع على حال واحد. ويتخوف الكاتب (تخوف نستشفه من الرشم التالي: «أخفقت [البيضاء] في محاولتها الأولى وقد تعيد الكرة بعزيمة أقوى وتصميم أدق وتنجح» ص 341.) من مثل مظاهرات البيضاء (لأنه في حالة تكررها ستدخل المجتمع برمته في آفاق معتمة ومآزق خطيرة) ويدعو إلى ضرورة وضع حد للأزمنة الساخنة. «اقبضوا على هذا الصيف الملحاح المعاكس. اطرحوه أرضا وكبلوه واتوني بسكين» ص 319.

رغم اتخاذ سرحان موقفٍ من أمثلة الماضي **Idéalisation du passé** ورتابة الزمن في فضاء عتيق، فهو لم يتمكن من التخلص من ثقل الزمن التقليدي، لأنه أصبح لا يقدر على تمييز الفصول الأربعة؛ وأضحى مشدودا الى الزمن النوعي (الاستغناء، مثلا، عن المنبه واستبداله بصيحات فريق شعيب إبان الفجر، وبآذان المؤذن، أو بمواعيد الصلاة)، ومقتنعا بالصدفة نظرا لعدم وجود منطق متحكم في سيرورة الحياة والأفراد «إن كل سيرة تتسلسل بكيفية لا تشبه أية سيرة سواها» ص 154.

إن اصطدام فكر سرحان بزمن تقهقري يُفضي الى استرجاعات تهم أساسا علاقته بغيثة، وتدل على فشله في اتخاذ موقف تاريخي. قرر في الأخير وضع حد لهذا الموضوع وكأنه بذلك وعى بضرورة الانتقال من الحب الى التاريخ[32].

يعطي شعيب أهمية كبيرة للزمن الذي يتحكم فيه البعد النوعي (مواعيد الصلاة)، ويقسمه تقسيما مدققا لتهيىء الفريق جيدا للمقابلات التدريبية القادمة: منع القيلولة على اللاعبين تحسبا لإجراء المقابلة ما قبل العصر، وتقسيم الفريق الي مجموعات عمل للقيام بالتداريب المطلوبة حتى الفجر، وتنظيم الدورات التدريبية حسب مخطط المدينة (الموزع عبر فضاءات تقليدية). يقدم لنا الشيخ العوني خلاصة استذكارية (الدعوة الإسلامية)، تعتبر من أهم وظائفها «حكاية حقبة ماضية بسرعة»[33]؛ وفيها يؤمثل الماضي ويعتبره «المورد والمبدأ الوحيد لكل ما هو مفيد في الأزمنة المستقبلية»[34].

يحذر الخلوقي مما تعرفه الصديقية من تقلبات، ويتخوف من تجاوز العتبة المسموح بها قانونيا (حسب فهمه)، لذا يتابع بدقة خطوات الفريق. وهو مشبع بالزمن التقليدي المشخص عنده في الفضاءات التقليدية (السوق والصديقية ودرب الشيخ العوني ومبيلا . . .)، وفي نصائح الشيخ العوني التي تَحُضُّهُ على اتباعها، وفي رؤية الأشياء (المطابقة والامتثالية). إن الزمن الذي يرتبط به علي نور يتشخص في حالات شعورية جماعية، تتمثل في عهد التجارب المخفقة وضيق النفس والمآسي التاريخية، وعدم التمكن من القبض على الموضوع الملائم القادر على إخراج المجتمع من المآزق والورطات التي يعيش فيها. بمجرد ما انثالت المشاكل الذاتية على عمر، فقد الوعي بجدوى الزمن، وأصبح يعيش في غيبوبة، وانغمس في حياة العبث لنسيان ما يعيشه من تمزقات نفسية.

5 – موضوعاتية اللعب الزمني :

يتعلق السرد الأصلي بسيرورة الحدث المتعلق بتكوين الفريق الجديد، وتتخلله المفارقات الزمنية ووقفات أصلية (حالة الفضاءات والجو، صفات الشخصيات)، وتشاكلات زمنية (المشاهد الدرامية)، وفرجات زمنية للتخيل بين فصل وآخر (البياض الطوبغرافي لا يعني قطيعة في الزمن الحكائي على نحو ما بين مقطعي 18

و19، يوجد بينهما ارتباط سببي، ماذا فعل شعيب والخلوفي بعد أن غادرا منزل عمر؟ لقد ركبا السيارة متجهين من حي أكدال إلى حي مابيلا).

1-5 – بنية الاسترجاعات :

يتفرع الاسترجاع كمفارقة زمنية عن السرد الأصلي محيلا على أحداث سابقة عنه، ويتم توظيفه لملء الفجوات التي خلفها السرد وراءه بتقديم معلومات عن سوابق شخصية أو تقديم خلاصة استذكارية عنها، والعودة من جديد الى أحداث سابقة للتذكير بأهميتها أو منحها تفسيرا جديدا.

1-1-5 – تحفل الرواية بالاسترجاعات التكميلية التي ترد بعد فوات الأوان لملء ثغرة سابقة[35]، وتقديم إضاءات على سوابق الشخصيات. وما يمنحها الملاءمة هو تعلقها بشخصيات ناضجة تجر وراءها ماضيا مجهولا. فإما يقوم الناظم الخارجي بتدارك الموقف أو تكلف الشخوص بذلك لتسليط الأضواء على حيواتهم الداجية والغامضة. وهي إما ترد متقطعة لا تصبح لها دلالة إلا بعد الانتهاء من قراءة النص، وإما ترد مجملة ومقتضبة أي عبارة عن خلاصات.

2-1-5 – يعطينا الاسترجاع المتقطع صورة عن بعض الشخصيات ومعلومات حميمة عن علاقاتها المنزلية والاجتماعية والمهنية، وهو بمثابة زمن سيري تحليلي[36].

تتحدد مفارقة الاسترجاع الذي يقدمه عمر عن نفسه بسنتين. وهي عبارة عن إحالات عما عاشه من اضطرابات نفسية. يتزامن الماضي المتصل بالحاضر بخلفية التمزق ويطفو على السطح الماضي البسيط[37]. وهكذا تتواتر موضوعات تتعلق بتصدع علاقته مع مريم وانجذابه وراء الفتاة الفاتنة. إذا كان الزمن يرتبط بماضي شخصيته كاشفا عن نفسيتها المضطربة والمهتزة، فهو بالمقابل يرتبط بفضاءات متباعدة (ايطاليا وسويسرا وروما وفلورانسا) أو متناقضة (أوربا # السويقية)، توضح عمق ما يعانيه من صراعات نفسية حادة مع نفسه ومع الآخرين (خاصة مع مريم والفتاة).

تقدم لنا الرواية استرجاعات متعلقة بماضي شعيب (انفصاله عن زوجته)، وعلي نور (تعطشه لقراءة القصص، وإخفاق تجاربه الإبداعية)، وسرحان (تتعلق بطفولته وعمله وحبه لغيثة، وبرحلاته عبر ربوع العالم) . وهي استرجاعات مشحونة بالتأملات الفكرية والفلسفية، وهي في الآن نفسه بمثابة بؤر زمنية يتداخل فيها الواقع بالحلم والاسترجاع بالاستشراف .

3-1-5 ـ الاسترجاع المقتضب والملخص أو ما يسميه جنيت بالخلاصة الاستذكارية . ومن أهم وظائفها « حكاية حقبة ماضية بسرعة » . ندرج ضمنه النبذة الموجزة عن حياة الأستاذ الذي انتقل من الصديقية إلى الرباط بحثا عن الاستقرار النفسي، فوجد نفسه يعاني مما كان يعانيه من قبل إلى أن قتلته شاحنة . وتم تقديم في أربع صفحات ملخص يتعلق بسوابق الخلوقي منذ أن كان تلميذا حتى توظف وتزوج إبنة الشيخ العوني . ويتسم هذا الملخص بتسريع الأحداث وبالحذف المعلن « وتتابعت الأيام . . . » ص 89 وبالحذف الضمني الذي لا يخلو منه أي عمل روائي، والذي يتطلب من القارئ أن يجهد نفسه للكشف عما يدسه ويخفيه من أحداث خاصة، وخاصة لما يتعلق الأمر بحدث إذا لم يكشف عنه يستحيل عليه فهم الأحداث المسرودة .

ويوجد داخل هذا الملخص ملخص آخر أكثر اختزالا واقتضابا منه، ويتعلق بحياة الشيخ العوني الذي قضى ثلاثين سنة حبيس منزله دون الخروج منه، معبراً عن عزوفه وإعراضه عن الدنيا وملذاتها .

كما يقدم لنا شعيب نبذة عن حياة أغرام منذ فوزه بالشهادة الإبتدائية إلى أن وظف في مصلحة البريد، وذلك لبيان صبره وعصاميته وطموحاته .

4-1-5 ـ نجد في الرواية كذلك الاسترجاع التكميلي : يلونه وشان بإحالات لإضاءة بعض الجوانب الداجية من حياته، وهو بمثابة استطراد وإطناب وعودة السرد ـ بطريقة جلية ـ إلى آثاره الخاصة . وهو ينطبق في النص أساسا على ما يقوم به وشان من تفريغات نفسية لتقديم شروح عن حياته العائلية المتصدعة، وبيان مختلف الأطراف (الأم، الزوجة، زميل) التي تدخلت في حياته لتعكير صفوتها . ويرتبط هذا

الاسترجاع بفضاءات متنوعة تكشف عن تأزم نفسيته : البيت (موطن الخدعة والصراع)، والعمل (تصدع العلاقات الاجتماعية، تفكك النقابة)، ومولاي ادريس (قمة الصراع مع الزوجة : محاولة تحليفها)، والقنيطرة (تعقد العلاقات الاجتماعية)، وشرق المغرب (رغم ارتباطه الوجداني به أرغم على مغادرته بسبب الشكوك التي انتابته حيال زوجته).

مما تقدم يتبين لنا أن الاسترجاعات المتعلقة بماضي الشخصيات، هي أزمنة سيرية تحليلية تكشف عن أسرارها وخفاياها وأمزجتها، وذلك بالنفاذ إلى أعماقها الداخلية، وإلى فضاءاتها الأكثر حميمة (المنازل مثلا).

2-5 – بنية الاستشرافات :

نتناول فقط الاستشرافات المتماثلة حكائيا مع السرد الأصلي، وخاصة المتعلقة بالموضوعة المركزية (تكوين الفريق). فقبل الإعلان عن تأسيسه كانت مجرد تمهيدات amorces خالية من أي استباق حتى ولو كان تلميحا. فهي بمثابة رشوم لا تتضح ولا يمكن معرفة قيمتها إلا في وقت لاحق وبطريقة استذكارية[38]. ويكمن دور القارىء الحاذق في معاينة ظهورها ومتابعة نموها إلى أن تصبح ذات معالم واضحة وذات دلالة. وعندما تم الإعلان (الإخبار صراحة عن جملة من الأحداث سيشهدها السرد لاحقا) عن تكوين الفريق، ارتبطت بنية الاستشراف التكراري (الإحالة مسبقا على أحداث ستفصل فيما بعد) بخطوات (برامج سردية) يجب اتباعها. تتعلق الخطوة الأولى بالمشاريع التالية : تعاطف أولاد البلد مع فكرة شعيب، وتنظيم حفلة تجمع شملهم، وإخبارهم بتأسيس الفريق. وتتعلق الخطوة الثانية باختيار العناصر الشابة والفعالة، ومباشرة التداريب. لقد خلقت هذه البرامج في ذهن القارىء حالة من الانتظار والترقب. ولما تحققت الإعلانات المرتبطة بالخطوتين السابقتين بدأ التفكير في خطوة ثالثة : تنظيم المقابلات التدريبية لامتحان قدرات الفريق، ومدى تطبيقه للنصائح والتعليمات والخطط المقدمة له. وفي هذا الصدد يرد الإعلان التالي : « اليوم... يرفع الستار عن مقابلة تجريبية فريدة من نوعها كثر الكلام حولها من

أيام...» ص 313. وهو إعلان سيحدد مصير المشروع ككل. إما سينتصر الفريق وبالتالي ستترتب عليه تحولات إيجابية، وإما تكون النتيجة عكسية فتنهار كل الأحلام والمجهودات، ويتخلخل التنظيم الداخلي للجمعية وتتاح لخصمها الفرصة المناسبة لاحتوائها أو حظرها. ويقترن هذا الإعلان بسؤال: هل ستكون له علاقة بجملة من الرشوم والإعلانات المرهصة لأحداث خطيرة؟ (على نحو ما يرهص به الحلوقي في ملفوظاته)، وهو سؤال يثير الترقب والرغبة في معرفة ما سيحدث؟ فعلا حدثت تلك المظاهرة وتأكدت مصداقية تلك الإعلانات والرشوم، وبالتالي تم وضع نهاية مؤقتة، حسب ما توحي به بعض الرشوم المؤطرة (بالمعنى الذي يعطيه أو صبنسكي لهذه الكلمة المضغوطة)، لكل الآمال المعلقة على أهمية العمل الجمعوي لتجاوز العتبة.

نستخلص، مما تقدم ،الخلاصتين التاليتين :

1 – تم ربط الزمن بفضاءات حميمة (كالمنازل) لتشخيص الحالات الشعورية والفكرية للشخوض، وبفضاءات عمومية (كالنادي والملعب) لإبراز الصراعات الاجتماعية بين مجموعة من الشرائح الاجتماعية من جهة والسلطة من جهة أخرى. تبين الفضاءات الأولى صعوبة تجاوز العتبة على المستوى الفردي (الانفراجات النفسية وتبديد الإخفاقات الشخصية)، أما الفضاءات الثانية فهي تبين صعوبة تجاوز العتبة على المستوى الجماعي (الإخفاق في الانتقال من وضع سيء الى وضع أحسن منه).

2 – لم يتم التعامل مع اللعب الزمني كتقنيات جوفاء ومجردة، بل كبنيات محملة بدلالات وعينات إيديولوجية تتعلق بالرؤية الجماعية للعالم (انفلات التاريخ من قبضة الشخوص، مما ترتبت عليه إخفاقات فردية وجماعية)، أو برؤية كل متلفظ للعالم (تجربته الزمنية وموقفه من الزمن).

هوامش الفصل الثاني

(1) نعطي بعض الأمثلة عن بعض المراجع لبيان ملامسة السرديين للجانب الموضوعاتي :
أ ـ نلاحظ أن جيرار جنيت في الفصل المخصص للزمن (صور III ـ 1972 من ص 77 الى ص 182) وإن كان يخوض في الجوانب التقنية، فإن ذاك لم يمنعه من تناول محتوايتها (انظر على سبيل المثال بين الصفحتين 124 و167) أو اقتراح مفاهيم تقوم أساسا على الجوانب الموضوعاتية مثلا الحذف الموصوف (إضافة خبر ذي محتوى حكائي الى المؤشر الزمني الخالص » ص 189، والتمييز بين الزمنين : المتماثل والمتباين حكائيا على أساس طبيعة المحتوى الحكائي. إما تكون علاقة تماثل أو تباين بين ما يسميه جنيت السرد الاول والسرد الثاني (المفارق له).
ب ـ رغم اقتداء هارالد فاينرش Harald Weinrich في كتابه (الزمن، سنة 1973) باللسانيات النصية، فقد تناول المتضمنات الموضوعاتية لبعض التقنيات الزمنية خاصة في الفصلين الرابع والخامس المخصصين للإبراز (سنعود إلى هذه المسألة في الهامش رقم 37).
ت ـ هناك دراسة أعطت الأهمية للبعد الدلالي (النفسي) أكثر من البعد الزمني وهي : جون بويون Jean Pouillon « التعبير عن الزمن »، الزمن والرواية، غاليمار، ط، 2. 1946. قسم هذا الباب الى فصول :
1 ـ فصل الاحتمال : إن احترام الزمن هو معيار لفهم النفس، وأن وراء تنظيم الاحداث (الاحتمال) يكمن الاختيار النفسي. ويعني الاحتمال امكانية الانتقال بالزمن من اتجاه زمني إلى آخر، وبالتالي يتحيل إلى شيء آخر (مثلا زمن L'imparfait يصبح له دور زمن الحاضر).
2 ـ فصل (روايات المدة) يقصد بالمدة الزمن المعيش، بحيث يؤكد ترابط الحقيقة الزمنية والنفسية. انطلاقا من التحليل الذي قام به استخلص نوعين من الروايات : نوع يتطلب مفتاحا نفسيا لفهم السيرورة الزمنية (في النوع الذي تكون فيه الرؤية إما من خلف أو من الخارج) ونوع آخر لا يحتاج إلى ذلك لأنها هي ذاتها تفسر كل شيء (الرؤية مع).
3 ـ فصل (روايات المصير). يعنى بالمصير هنا ليس الزمن بل طريقة عيشه : إن تأكيد مصير شخصية هو تأكيد ضرورة التتابع الزمني، وهو غير منفصل عن نفسيتها. ومن خلال التحليل الذي قام به على الروائي فولكنر بين أن موضوعة المصير عنده تمكن من فهم نفسية أبطاله واستخلص منها شرطين : الأسبقية الأنطولوجية للحاضر واحتمال التسلسل ص 25.
(2) انظر :

ROCHE, Anne.- "Temps idéologique et temps narratif dans la grande gréve de Malato". In Littérature, n° 20; 1975.

دراسة انصبت على عقد من الزمن حافل بنضالات العمال : أحداث 1882 والاضراب الضخم سنة1892 .
(3) استثمر ذلك سعيد يقطين في محاولة توسيع الزمن داخل ما سماه بالبناء النصي الذي قسمه قسمين : البناء على المستوى الداخلي (الامساك بالوعي الزمني عند الكاتب)، والبناء على المستوى الخارجي (انتاج دلالات النص من طرف القارىء). وحاول في إطار التركيب بين البناءين الاجابة عن السؤال كيف أن للنص بنية دلالية تنتجها ذات. انظر انفتاح النص الروائي، ط 1، المركز الثقافي العربي، 1989، ص.ص 88-41.
(4) انظر على سبيل المثال موضوعة الظلام في :

BAL, Mieke. "La Thématique du temps." In Narratologie, Mes Vitgves - Postbus - Utrecht, 1988, pp. 13-14.

(5) ريزوهازي « الزمن والمجتمع » ترجمة محمد الداهي في : عيون المقالات، عدد 12، 1989، ص 48.
(6) « يصبح الزمن كثيفا ومتراصا ومرئيا بالنسبة للفن، ويمتد الفضاء ويذوب في حركة الزمن والذات والتاريخ ».

انظر:

BAKHTINE, Mikhail : Esthétique et théorie du roman, trad Daria Olivier, - Paris, Gallimard. 1978 - p. 237:

(7) Ibid. p. 237.

(8) ميتران، هنري. - «الكرنوطوبيات الروائية: بصدد جيرمينال»، تقديم وترجمة وتلخيص يوسف شكير العلم الثقافي، عدد 772، 1992، ص 5، ع 2.

(9) التزامن هو مكون متفرع عن التركيب الخطابي (التخطيب) يحيل على آليات الانفصال والاتصال (المتعلقة بركن التلفظ) يتكون من جملة من الاجراءات : 1 - البرمجة الزمنية التي يتحدد طابعها الاساسي باستبدال محور الاقتضاء (النظام المنطقي لتسلسل البرامج السردية) بمحور التتابع (النظام الزمني وشبه السببي للاحداث). 2 - التعيين الزمني (التزمين بالمعنى الدقيق للكلمة) الذي يستعمل إجراءات الانفصال والاتصال الزمنيين. يقطع وينظم التعاقب الزمني. ويعمل التزمين على انتاج المعنى (الزمنية)، وعلى تحويل التنظيم السردي الى قصة.

انظر:

GREIMAS, Algiudas-Julien; COURTES, Joseph.- Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, Hachette, 1979, - pp. 387-388.

(10) مادة «صيف» - ابن منظور، - لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الاول للكلمة يوسف خياط، - بيروت، دار الجيل، دار لسان العرب، 1988، - ص 501، ع2.

(11) BAKHTINE Mikhail : Esthetique... Op. cit, p. 389.

(12) فيما يخص التمييز بين الزمن النوعي (التقليدي) والزمن الكمي (العصري) انظر رويزهازي. - الزمن والمجتمع. م.س.ذ.ص.ص. 4643.

(13) داخل هذه الطبقة من الدليل اللغوي يتمفصل ما يسميه لويس يالمسلف Louis Hjelmslev بمفهوم التثمين الاجتماعي. فمثلا لا يوجد اختلاف بين الأمم حول شكل محتوى الكلب(له أربع قوائم وذيل وأذنان...) بل يوجد اختلاف على مستوى ماهية المحتوى (الكلب عند الايسكيمو حيوان يجر العربات، وعند الفارسيين حيوان مقدس، وعند العرب حيوان حقير... من خلال هذه الامثلة يتبين لنا التمفصل الاجتماعي في الدليل اللغوي وعلاقة اللغة بالمؤسسات الاجتماعية وبعلم الأناسة الاجتماعي «فشيء مادي واحد يمكن أن يستقطب مواصفات دلالية متباينة جدا حسب الحضارات».

انظر بحوث لغوية، منشورات منوي، 1971، - ص 61.

(14) RICOEUR, Paul : Temps et récit, Paris, Seuil, 1983, p.252.

(15) BAKHTINE, M : Esthétique... Op. cit., p. 451.

(16) PICARD, Michel : Lire le temps, Paris, Ed. Minuit, 1989,- p. 80.

(17) BAKHTINE, M : Esthétique... Op. cit., p. 397.

(18) يقطين، سيعد: انفتاح النص الروائي. م.س.ذ. ص 45.

(19) PICARD; Michel : Lire le temps, Op. cit, p. 8.

(20) BOURNREUF, Roland/OUELLET, Real : L'Univers du roman, Paris, P.U.F, 1981, - p. 129.

(21) نطلقها على ما يسميه جنيت بالسرود الأولى، ومنطلق السرود الفرعية على ما يسميه بالسرود الثانوية، لاننا لاحظنا أن المفهومين يتضمنان أحكاما قيمية قد توحي أن السرود الأولى هي أكثر أهمية من الثانوية. ونشير في هذا الصدد إلى أن من بين الانتقادات الموجهة لجنيت فيما يخص الخطاب السردي هو ما لاحظه Van Rees من إعطائه الامتياز للسرد الاول موضوعاتيا على حساب المقاطع المفارقة له. انظر: جنيت : الخطاب السردي الجديد، سوي، 1988 ص 20.

(22) «فتح عمر التلفاز كان الكلام على تشكيل الحكومة الانجليزية بعد فوز ولسون في الانتخابات العامة على مخلفات زلزال بليدة وعلى إنشاء الخدمة المدنية... »ص 58.
«المفاوضات بين إسرائيل من جهة وبين مصر والاردن تحت رعاية الامم المتحدة» ص 262.
نضيف إلى الحدثين فضاء الملعب الشرفي (قبل تغيير اسمه) وأسماء أعلام فريق الجيش الملكي المتسمة هي الأخرى بأثر الواقعي، والمحيلة على فترة السبعينات وبداية الثمانينات.
(23) يقطين، سعيد : انفتاح النص الروائي. م.س. ذ. ص.ص. 41-87.
(24) حكاية مرة ما وقع عدة مرات. جنيت : صور III، م.س، ذ. ص147.
(25) BAKHTINE, M : Esthétique... Op. cit., p. 352.
(26) أوسبنسكي، بوريس : «شعرية التأليف»، نظرية السرد، ترجمة ناجي المصطفى، منشورات الحوار الاكاديمي، 1989، ط1، ص 98.
(27) المرجع نفسه، ص 91.
(28) انظر دلالة الإطار في عملية إدراك وفهم العمل الأدبي. المرجع نفسه، ص.ص. 91-94.
(29) TODOROV, Tzvetan. "Les Catégories du récit littéraire". In Communication 8, Paris, Seuil, 1981, p. 145.
(30) تودوروف تزفيطان: الشعرية، ترجمة شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، الرباط، دار توبقال للنشر. 1987، ط1، ص 48.
(31) سنفصل الفرق بين الكاتب الضمني والحقيقي في الفصول اللاحقة من الكتاب.
(32) «عندما يخفق المجتمع ينغمس الإنسان في الحب. إذا كان التاريخ قد خرج من الباب فإننا ندخل الحب» أنظر العروي، عبد الله، الأفق الروائي (حوار)، مجلة الكرمل عدد 11، 1984، 178.
(33) بنتلي، فليس (نقلا عن لوبوك) انظر جنيت. صور III. م.س.ذ ص 132 (الهامش رقم1).
(34) BAKHTINE, M. : Esthétique... Op. cit, p.451.
(35) GENETTE, G. : Figures - III, Op. cit, p. 92.
(36) BAKHTINE, M. : Esthétique... Op. cit, p. 288.
(37) خصص هارالد فاينرش فصلين للإبراز. يعرفه على الشكل التالي: ابراز نص هو عرض محتوياته على الصعيد الاول وإخفاء أخرى في الخلفية ص 107. ففي قصة الوحداني لبرانديو يكشف زمن Imparfecto (زمن الصعيد الثاني) عن الانتظار (ترقب أربعة رجال امرأة تملأ حياتهم العاطفية، وتبدد أحزانهم ومعاناتهم. أما المقطع الوحيد الذي يؤطره زمن Passo Remoto (زمن الصعيد الاول)، فهو يتزامن وقرار انتحار واحد منهم. في قصة السرير (29) لموباصان التي هي عبارة عن علاقة حب بين قائد عسكري وفتاة يدور زمن L'imparfait (الخلفية) حول مغامراتهما الغرامية منذ وصول الفيلق العسكري الى روين. أما زمن P. Simple (الصعيد الأول - السطح) يدور حول تعكير الحرب صفوة حبهما.
يمكن تطويع الإبرار حسب خصوصية الزمن العربي اعتمادا خاصة على معنى الجهة التي تفصح عنها اصطلاحات البعد والقرب والانقطاع والاتصال... الخ. فزمن L'imparfait يمكن أن يلائمه الى حد ما الماضي البعيد والمنقطع والماضي المتجدد والماضي المنتهي بالحاضر والماضي المتصل بالحاضر. أما زمن Passé Simple يمكن أن يطابقه الماضي البسيط.
انظر تمام حسان: «الزمن والجهة» اللغة العربية معناها ومبناها، النهضة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 245.
(38) GENETTE, G. : Figure III. Op. cit., p 113.
(39) «يعني أن نحكم بنتيجة اليوم أو نتيجة الغد. اليوم لا بأس. تتبنى فرقتكم وحتى عشر مثلها. لكن الغد فيه ما فيه» ص 287.

الفصل الثالث

التنــــــاص

تمهيد :

ما يشيد النص ليس بنية داخلية ومغلقة، وإنما بنية منفتحة على نصوص وشفرات ودلائل أخرى[1] أو بعبارة أخرى ما يبني صرحه هو ظاهرة التناص. إنها ظاهرة لغوية معقدة وآلة هدم وبناء تجعل النص ضفيرة من نصوص متباينة، وبنية متناسلة لا تعرف النهاية. ليس التناص إعادة إنتاج النصوص كما هي، بل عملية امتصاصها وتحويلها في سياقات مختلفة. وإذا كان التناص يذوب النصوص الأخرى في بنية متراصة، فهو لا يُنَحِّي أو يخرس أصحابها. فالنص ما هو إلا توليف تناصي لا يمكن لأي أحد أن يدعي السلامة منه، ففيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة. وأخرى فاضحة لا تخفى عن الجاهل المغفل[2]. نجد بذور الظاهرة التناصية في التراث العربي الإسلامي. اختلف النقاد في تقويمها. فهناك من اعتبرها عيبا (سرقة، وغصبا، وإغارة، وسلخا..). وهناك من تلطف في تلك الألقاب تحرزا من الخطإ، وإحسانا للظن، فيسميها أخذا وتضمينا واستشهادا وعقدا وحلا وتلميحا وغير ذلك من الأسماء الرقيقة المهذبة[3].

قدم ميخائيل باختين تصورا جديدا للرواية يقوم أساسا على الخلفية اللغوية (التعدد اللغوي). وإن لم يستعمل في كتاباته مفهوم «التناص»، فهو قد وظف مفهوما قريبا منه وهو مفهوم «الحوارية». لاحظ تزفتان تودورف أن هذا المفهوم يمكن أن يثير حوله جملة من الالتباسات، وفضل استبداله بمفهوم التناص. ولما نعود إلى التصور الذي أعطاه ميخائيل باختين لهذا المفهوم نلاحظ ما يلي:

1 – إن العلاقة الحوارية (التناصية) علاقة دلالية بين جميع الملفوظات داخل التواصل اللفظي[4]، وهي ممكنة ضمن أساليب اللغة واللهجات الاجتماعية في حالة استيعابها كمواقف تفسيرية، وأنواع إيديولوجية ولغوية؛ أي في حالة استيعابها في منأى عن التحليل اللغوي الأحادي[5].

2 ـ لا يوجد أي ملفوظ أدبي مجرد من البعد الحواري (التناصي) . فالأسلوب ليس هو الرجل، وإنما هو ـ على الأقل ـ رجلان، أو بعبارة أدق الرجل وفئته الاجتماعية. وتمثل الرواية المتعددة الأصوات المجال الخصب لتفاعل الأساليب واللغات، أي مرتع الحوارية.

3 ـ هناك علاقات لا يمكن أن تكون حوارية، وهي العلاقات المنطقية والدلالية. «ومن أجل أن تكون حوارية يجب عليها أن تتجسد أو بعبارة أخرى أن تدخل في دائرة أخرى من الوجود : أن تتحول إلى كلمة (ملفوظ) وأن يكون لها مؤلف، أي خالق لتلك الكلمة المعبرة عن موقفه»[6].

يعتبر باختين التناص (الحوارية) مقولة اجتماعية، لأنه عبارة عن وساطة بين ما هو اجتماعي وأدبي، وعملية امتصاص وتشخيص اللغات الاجتماعية والخطابات الشفهية والمكتوبة في بنية أدبية متراصة، و« تعبير عن العلاقات بين الفئات (أو بين المصالح الاجتماعية) على الصعيد النصي »[7].

تعتبر رواية **الفريق** بنية منفتحة على نصوص متنوعة ومتباينة، قامت بامتصاصها وتحويلها. يحتاج معها القارىء الحاذق بالصناعة إلى تفكيكها وتحديد مرجعياتها المختلفة (دينية، وتاريخية، وأدبية. .)، وتشخيص الأصوات الخفية فيها (المالكون الحقيقيون للنصوص) بعد طمسها واحتوائها من طرف أصوات أخرى.

1 ـ النص الديني :

توجد في الرواية كثير من النصوص الدينية التي تمت أسلبتها وتذويبها في لغة واحدة. ورغم ذلك فهي لم تنس مواطنها الأصلية، ولم تتوقف عن إصدار رناتها الأولى. وعلى الرغم من التصرف فيها وبترها وحشرها في سياقات جديدة، فهي ما زالت محافظة على آثارها وعلامتها السابقة. قد نتوهم ـ على مستوى القراءة الأولية ـ أن رواية **الفريق** تنهل أساسا من لغة التواصل اليومي والسجلات الصحفية، لكن لما نمحص النظر في بعض صفحاتها نجد نتفا من اللغة العتيقة والمُفَصَّحة. ومن ضمنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

النص الروائي	النص الأصلي
تذكير بإسلام أزلي لب الأديان السماوية ص 293	« وأوصى بهـا إبراهيم بنيـه ويعـقـوب يا بـني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مـسلمون » سورة البقرة آية 131 « قـولوا آمنا بالله ومـا أنزل الينا ومـا أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيـسى والنبيئون من ربهم لا تفرق بين احد منهم ونحن له مـسلمون » البقرة، آية 135 .
« . . . اختلفت طقوسها، الاسلام دين الحنفاء غير ما آلت اليه » ث 243.	« قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » البقرة 134 . « وما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » آل عمران 27. « ما أمروا إلا ليـعـبـدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة ». سورة البينة، آية 5.
« الإسلام دائما غريب . . . » ص 293.	« بدأ الاسلام غـريبا وسـيـعـود غريبا فطوبى للغرباء » الحديث رواه مسلم عن ابي هريرة.
« اذا كان النبي العربي رسولا للانسانية جمعاء » ص 293.	« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » الأنبياء 107 . « إن الدين عند الله الاسلام ». آل عمران 19 .
« كان في المدينة نبيا مرسلا مبشرا ونذيرا » ص 199.	« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ». سبأ، 28.
« الخلافة . . . وهي بيد العلماء » ص 200.	« العلماء ورثة الأنبياء » حديث نبوي رواه أبو داود الترمذي.
« كلوا واشربوا ثم تفرقوا » ص. 126	« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » سورة الاعراف، 29.

النص الروائي	النص الأصلي
«بين أيديهم كلام لو تدبروه» ص 199.	«أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» سورة محمد، 25.
«أنا أعبد الله وأنت تخدمني» ص 196.	«ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا» الزخرف، 31
«اليد العليا أفضل من اليد السفلى» ص 196.	«اليد العليا خير من اليد السفلى» حديث نبوي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر.
«ألم تقل إن النبي العربي خاتم التاريخ القديم»، ص 294.	«ما كان محمد أب أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين». الأحزاب، 40.
«لا مساومة في شؤون الدين والعقيدة والله لئن وزنتموني ذهبا وفضة لما سايرتكم في غيكم لقد دقت الساعة» ص 118.	«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الدين ما تركته أو أهلك دونه» حديث نبوي
«الرجل يحرث المرأة» ص 122.	«نساؤكم حرث لكم» البقرة، 221.
«كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بعون الله» ص 128.	«كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله والله مع الصابرين» البقرة، 248.
«قالوا آمنا ولم تؤمن قلوبهم» ص 293	«قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» المائدة، 41.
«لا تجبروا الناس على الإيمان» ص 304.	«لا إكراه في الدين» البقرة، 255. «وجادلهم بالتي هي أحسن» النحل، 125. «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» يونس، 99.
«لقد خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ما قال لتتنابزوا وتتمايروا». ص 109	«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» الحجرات، 13

النص الروائي	النص الأصلي
«الدين نصيحة» ص 127	«الدين نصيحة» حيث نبوي رواه مسلم
«مهمته أن يشاهد كيف يخرج الله الليل من النهار والنهار من الليل» ص 137.	«تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي» آل عمران، 27.
«التين والزيتون، عنبة فوق جبنة، هو نحيف هي فتخا» 320.	«والتين والزيتون وطور سنين وهذا البد الامين» سورة التين، 1 ـ 2 ـ 3 .
إخفاق الإسكندر ومن سبقه من الحكام... قلنا ياذا القرنين»، ص. 203	«قالوا ياذا القرنين أن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن نجعل بيننا وبينهم سداً» الكهف، 90.
«ارتفع صوت الفتاة تحض الناس على البر والتقوى والرفق بالوالدين»، ص 126.	«وتعاونوا على البر والتقوى» المائدة، 2. «فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا» الإسراء، 23 ـ 24.
«النفس المطمئنة... لم يعلن العالم الجرماني رأيه بصراحة»، ص 359.	«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية» الفجر، 27 ـ 28.
«طاقت نفسي للجهاد. كيف نترك أرض الإسلام بيد عبدة الأصنام»، ص 127.	«وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله» التوبة، 41.
«لا يشاركنا فيها غيرنا والله مع الصابرين»، 123.	«أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فَتَفْشلوا وتذهب رِيحُكُمْ واصبروا إن الله مع الصابرين» الأنفال، 47.
«... اعبدوا الله بلا واسطة» ص 136.	«قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نَعْبُدَ إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله»، آل عمران، 63.

النص الروائي	النص الأصلي
«نتجه جميعا إلى رئيس العصبة ونطالب بتنظيم لقاء يفصل بيننا قالوا يا موسى..» ص 317.	«قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون» الأعراف، 138
«تتكون الجملة وفي الحال تبتعد عن الشعور الدفين... يسألونك عن الروح... طيب»، ص 263.	«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا» سورة الاسراء، آية 85.
«ادع الله أن يحشرهم مع الشهداء والصديقين»، ص 132.	«فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين» النساء، 68.
«قالوا بالسنتـ ـلم تؤمن قلوبهم ثم حرفوا وانحرفوا»، ص 3	«قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوأ ولكن قولوا أسلمنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الايمان في قلوبكم» الحجرات. 14 «يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم» الفتح، 11
«أما ما قيل فيه بعد أن رفعه الله فهو تأويل»، ص200.	«بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما» النساء 157.
«يصلي العشاء... خاطبا في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»، ص 211.	«المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» التوبة، 71.
إنا لله وإنا إليه راجعون	الآية رقم 155 من سورة البقرة
«إنما هو مكر الله. مكن لهم ثم أضعفهم ليفتح المجال للدولة محمد النبي»، ص 167.	«ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» آل عمران، 54. «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» سورة الانفال، 30.
«لا تخافوا ولا تحزنوا...»، ص 126.	«بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» البقرة، 111.
«يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»، ص 211.	«من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». حديث شريف

1-1 – مما تقدم يتضح أن الرواية اشتغلت على نصوص الدليل الشرعي. اكتفينا بعينات منها لبيان كيف تفاعلت الرواية معها. وإذا قارنا بين الخانتين يتبين أن قوانين التحويل تمت على النحو الآتي:

أ – تحويل التطابق: تم نقل نص من سياق إلى آخر مع الحفاظ على نظامه التركيبي ووحداته المعجمية، أو بمعنى آخر أكثر وضوحا تمت إعادة إنتاجه بتمامه إلى درجة لا نجد فرقا بين النص الأصلي والنص الذي حل مكانه، ويمكن أن نمثل بالعينات التالية: «يسألونك عن الروح»، «الدين النصيحة»، «إنا لله وإنا إليه راجعون».

ب – تحويل التصرف: يتم التصرف في النص الأصلي بالاستغناء عن بعض الكلمات أو الجمل، أو استبدالها بأخرى، أو حذفها تماما من السياق. وفي هذا الصدد نلاحظ ما يلي:

1 – إلحاق تغييرات طفيفة بالنص الأصلي، وذلك على نحو حذف بعض الكلمات وتعويضها بكلمات مرادفة لها إلى درجة قد لا نحس بوجود اختلاف بين النصين.

«اليد العليا **أفضل** من اليد السفلى» ص 196

«اليد العليا **خير** من اليد السفلى» حديث نبوي

«كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة **بعون الله**» ص 127

«كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة **بإذن الله**» آية 249، البقرة.

«قالوا بألسنتهم آمنا ولم **تؤمن قلوبهم**» ص 293

«قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**» آية 14، سورة الحجرات

2 ـ حذف بعض الكلمات من النص الأصلي وتعويضها بأخرى ليست مرادفة لها، وذلك على نحو ما يلي:

« كلوا واشرلوا **ثم تفرقوا** » ص 126 .

« كلوا واشربوا **ولا تسرفوا** » آية 31 سورة الأعراف .

3 ـ استبدال تركيب النص الأصلي بتركيب آخر مع الحفاظ على المعنى نفسه .

« **الإسلام** دائما **غريب** » ص 293

« بدأ **الإسلام غريبا** وسيعود **غريبا فطوبى للغرباء** » حديث نبوي شريف .

« الخلافة . . . . وهي **بيد العلماء** » ص 294

« العلماء **ورثة الأنبياء** » حديث نبوي شريف .

« ألم نقل إن النبي العربي **خاتم التاريخ القديم** » ص 194 .

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله **وخاتم النبيئين** » الآية 40، سورة الأحزاب .

ج ـ تحويل الاختزال : ثم نثر كثير من الصيغ اللغوية والقرآنية المختزلة في الرواية . ورغم محو الأطراف اللغوية الحافة بها وبترها واختزالها، فهي ظلت مرتبطة بسياقاتها ودلالاتها الأولية، وشاهدة على أصالتها، ووفية لمواطنها الأصلية .

« **قالوا يا موسى** » ص 317 .

« **قالوا يا موسى** اجعل لنا إلها كما لهم الآلهة » الآية 138، سورة الأعراف .

« **التين والزيتون** » ص 320 .

« **التين والزيتون** وطور سنين وهذا البلد الأمين » سورة التين، الآية 1/2/3 .

« **النفس المطمئنة** » ص 359 .

« **يا أيتها النفس المطمئنة** ارجعي إلى ربك راضية مرضية »، سورة الفجر، الآية 28،27 .

« تحض الناس على **البر والتقوى والرفق بالوالدين** » ص 126 .

« وتعاونوا على **البر والتقوى** »، سورة المائدة، الآية 2 .

« ادع الله أن يحشرهم مع **الشهداء والصديقين** » ص 132 .

«فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين» الآية 69، سورة النساء.

ترى جوليا كرستيفا «إن امتلاك النصوص الأخرى لا يتوقف فقط عند المستوى الدلالي للملفوظات، وإنما يتوقف أيضا عند مستوى اقتصاد تلفظيها: ما يجعل ملفوظا يتعارض مع آخر، ليس هذا المقوم أو ذاك، وإنما المتلفظ»[8] نعتمد هذه القولة كأرضية لتناول اللعبة التناصية من الزاوية التلفظية التي بإمكانها أن تعطينا نظرة عن طبيعة تعامل المتكلم مع النصوص الغائبة التي يوظفها للتعبير عن مقاصده وتحقيق أغراضه ومآربه. وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن المتكلم إما يمحو حدود النص الغائب داسا في تلافيفه أجوبته وتعليقاته، وإما يحرص على تمييز الخطاب المستشهد به من كلامه بوضع حدود واضحة بينهما.

1 ـ 2 ـ النص المؤسلب :

ا ـ نظرا لامتلاء ذات الشيخ العوني بالإيمان واعتكافه في منزله وعزوفه عن مشاغل الدنيا، فقد شفرات اللغة اليومية والمشتركة، وأصبح يتحدث بلغة عتيقة، تنهل تراكيبها وبنياتها المعجمية والدلالية من الدليل الشرعي. فهو لا يستطيع الكلام دون التحرر من قبضة المحفوظ وحمولة الذاكرة. وهذا ما يجعل كل جملة يلتفظ بها تجد صداها في القرآن الكريم خاصة، وترن برنينه وتكرس دلالته. وتدخل علاقة الشيخ العوني مع مجمل النصوص التي تنثال عليه في إطار الدعوة إلى إسلام مثالي يعود بنا إلى العصر الذهبي.

ب ـ يوظف سرحان وعلي نور والكاتب الضمني والكاتب الألماني الآيات القرآنية لخدمة أهداف جديدة. يلوكها سرحان في صمت للاستهزاء من أمثال الشيخ العوني الذين يجعلون من الإسلام دينا فوق الصومعة أودينا كباقي الأديان، وتتردد على أيديهم أصداء الهزائم والنكسات. ويستثمر الكاتب الضمني ـ الذي ينكسر في أصوات بعض الشخوص ـ بعض الآيات ويلونها أحيانا بتلوينات ساخرة لبيان أن

شعيب والشدادي يساهمان في التفرقة، ويتناقضان حتى مع المبادىء التي ينطلقان منها والتي تدعو إلى الوحدة والتكتل. ومن خلال بحث العالم الألماني عن « النفس المطمئنة » يتبين أنه ينطلق من أسئلة قبلية ومسبقة، يريد أن يجد لها جوابا في واقع خضع لتغيرات عميقة، ولا يمثل فيه الشيخ العوني إلا صوتا من الأصوات المتناحرة والمتصارعة داخل المجتمع. ويصاب بخيبة أمل لما يحتك بالواقع، ويختلط بمثقفين مشبعين بقيم متحررة (على نحو سرحان)، إذ يتأكد بأنه انطلق من أسئلة متعالية ومثالية لمعالجة واقع جديد. لا يتصادى كلام علي نور إلا نادرا مع الآيات القرآنية. ويمكن أن يبرر ذلك بدعوى أن ثقافته غربية، ولم يحتك بالشيخ العوني، ولم يكن يتردد على النادي. كان منشغلا بالموضوع الضائع والمنفلت، وغارقا في العلاقة التي توطدت بينه وخميطة.

1 ـ 2 ـ النص المستشهد به :

تتضمن الرواية آيات قرآنية محصنة من تسرب أية أسلبة حرة إليها. وهي نصوص فاضحة لا تخفى على الجاهل، مسورة داخل مزدوجات وأقواس مزخرفة تنبه القارىء إلى أنها كينونات قائمة بذاتها وبيئات مفصولة عن محيطها، وأن لها أركانا تلفظية واضحة وحدوداً قارة وثابتة تقاوم أن تختزل أو تخدم نوايا « أجنبية ». فهي تريد أن تبقى مستقلة حتى يمكن لها أن ترحل من سياق إلى آخر. إنها تمنح للنص قيمة تنميقية وجمالية، وترجع المجهول إلى المعلوم[9]. لكن إذا قمنا بقراءتها من المنظور الأفقي (التوليف) يتبين أنها تقيم علاقة متوترة مع محيطها الجديد، وأنه بمجرد الاستشهاد بها أصبحت نصوصا مُفْتَسَلَةً تستمد جذورها من هذا المحيط، وتنسج معه روابط عضوية[10].

أ ـ رغم أن كلام الشيخ العوني هو صدى لآي القرآن، فهو يصرح أحيانا ببعض الاستشهادات التي تعزز قوله، وتجعله أكثر صدى ووقعا، وتمنحه الشرعية والسلطة. ويؤكد انتماءها إلى النص القرآني بقوله: كلام الله، صدق الله العظيم، الكل في كلام الله، كل ذلك مذكور في القرآن؛ وبالتشديد عليها (تكون طباعته بحروف

مضغوطة)، وإحاطتها بأقواس مزخرفة. لقد حاول الكاتب بهذا الصنيع أن يبين مدى تعظيم الشيخ العوني للكلام القرآني.

ب ـ تم إدراج بقية الاستشهادات بين مزدوجات (وليس أقواس مزخرفة). وهذا ما يبين أن علاقة المتلفظين بها لا تماثل علاقة الشيخ العوني بها، وأنهم وظفوها لخدمة أغراض ونويا جديدة عكس الشيخ العوني الذي كان يحرص على تكريس معانيها الأصلية مشددا على أهميتها وملاءمتها لاستعادة قيم العصر الذهبي وأمجاده وبطولاته. وهناك استشهادات لا ترتبط بأية ذات. لكن من خلال السياقات التي أدرجت فيها تبدو كما لو كانت صادرة عن الرأي العام لمعالجة قضية تشغل باله. فعلى سبيل المثال، يوظف الرأي العام هذه الآية « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمومنون.. » ص 232؛ وذلك لمحاسبة الفريق على أدائه في المقابلة الحاسمة. إما ينتصر فيبرهن للجميع مدى فعالية التداريب التي تمرن عليها والتعليمات التي تلقنها، وإما ينهزم فيخيب آمال الجمهور.

2 ـ الأجناس الأدبية :

انفتحت الرواية على أجناس أدبية من قبيل الخطابة والمثل والحكاية الشعبية والشعر.

أ ـ قامت الرواية بامتصاص وتحويل نتف من الأساليب الخطابية والترسلية التي سادت في العصر العباسي (الحجاج بن يوسف الثقفي وابن العميد). وهي نتف ـ على ضآلتها ـ مسربلة بالمحسنات اللفظية (الجناس والسجع والطباق)، ومتشحة بألفاظ عتيقة (غرة الزمن، درر القرائح، بدائع الأفهام..). لكن تفاعل الرواية مع هذا النوع من الأساليب كان محدودا جدا، ولم يشغل إلا أسطرا معدودة ومساحات محدودة.

ب ـ استوحت الرواية حكاية من ألف ليلة وليلة (ما جرى لهارون الرشيد صحبة جعفر البرمكي ومسرور السياف)، وعارضتها بما جرى لعمر. وقد تمت المعارضة بين النصين على المستوى الموضوعاتي (الافتتان بجمال المرأة) والفاعلي

(هارون / عمر)، جعفر، السياف / الأم، رغبة الخليفة في الاستراحة بعد أن ضاق قلبه / رغبة عمر في إزالة الغم الذي اكتسحه إثر توتر علاقته مع مريم، الجارية / الفتاة) .

وتوجد كثير من الحكايات الشعبية مندسة في تلافيف الرواية، يصعب تحديد رسيسها وأصلها لأنها أصبحت مع مر الزمن ملكية جماعية مشاعة تجسد موقف الفئات الاجتماعية من كثير من الأحداث التاريخية والسياسية . وذلك على نحو استحضار شعب لطقوس المواسم في الصفحتين 199 ـ 167، وقيام أحد المقاولين بإبراز الدور الذي اضطلع به المغاربة لمواجهة المعمر في الصفحة 182، وتوهم سكان الصديقية بوجود حراس للمدينة يتصدون للشرور والأطماع، وموقف النساء من النادي ومن حضور الفقيه التواتي لمعالجة المرضى، وموقف المرأة المغربية التي زارت قبر النبي متأسفة على دفنه في ربوع الصحراء وعدم دفنه في أرض المغرب .

يمكن أن تدرج النكتة ضمن المحكيات الشعبية . لم تستثمر الرواية إلا نكتة واحدة تستصغر من مكانة الجبلي الذي حار في أمر غرس الشوكة بالزيتونة المتمنعة، وتستبعد إمكانة اندماجه في الوسط المديني .

ج ـ تتضمن الرواية أمثالا تضرب على سبيل التشبيه والتمثيل، وتعكس طباع شعب وعقليته، وهي حسنة المبنى تتميز بجودة التقسيم والإيجاز الشديد والإيحاء القوي . وإذا قمنا باستقراء الأمثال الكثيرة التي تحتويها الرواية نجدها تتوزع على الشكل الآتي :

1 ـ أمثال باللغة الفصحى، وهي غالبا ما تكون مسجوعة (ما حك ظهرك مثل ظفرك، تعليم الصغر كالنقش على الحجر، لما يفرح الفلاح يقرح السواح) .

2 ـ أمثال بالعامية يمكن أن تقسم إلى فئتين : فئة غير مسجوعة (الفلوس والزحام وحرقة الراس، كلكم عندي صبع عسل، أما اللي عرفوا حق الزمان وزنوا

الأمور بالدقيقة)، وفئة ثانية مسجوعة، وهو ما يسهل جريانها على الألسن (البز والفار لا توريه باب الدار، اكرز الحزام ما كاين كعام، الليل ما عندو فلوس كلامو مسوس، اللي ما حمد النعمة يعجل بالنقمة).

ج ـ تناصت الرواية مع أبيات شعرية، فحولتها داخل سياقات جديدة. ولما نلقى نظرة عليها نجدها إما من نوع تحويل التطابق: تحويل بيت المتنبي المقتطف من قصيدة نظمها لمدح ابن العميد الذي تدرج إلى المعالي وازداد فضلا وبراعة، ثم تحويل أبيات تدور حول كرة القدم (ص 127). وإما من نوع التحويل المختزل: هدم بعض الأشطر والأبيات، والاقتصار فقط على أجزاء منها. ومع ذلك لا يستقيم أمرها إلا إذا قامت الذاكرة بتذكر المحذوف. يحيل مقطع « روحي فداء الوطن » إلى أحد أبيات نشيد الاستقلال (علال الفاسي):

مغربنا وطننا روحي فداه **** ومن يدرس حقوقه يذوق مراره

كما أن عجز بيت من أبيات طرفه بن العبد (يأتيك بالأخبار من لم تزود) يستدعي بالضرورة صدره (ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا).

3 ـ النص التاريخي :

دست الرواية في تلافيفها نصوصا تاريخية متباينة في أزمنتها وفضاءاتها ومرجعياتها. ورغم ما تتسم به من أثر الواقع، فإنه لما تم امتصاصها وتحويلها أصبحت مطبوعة بالخيال، وقابلة للتأويل حسب ما تقتضيه السياقات التي تحتويها، وحسب علاقتها مع الذات التي تضطلع بالتلفظ بها.

ا ـ يقدم الشيخ العوني نبذة تاريخية عن ظهور الدعوة المحمدية، ويبين الدور الذي لعبه الرسول (ص) لتثبيت دعائم الإسلام. ومن خلال التحليل الذي يقدمه يتبين لنا أنه ينطلق من منطلقات سلفية تؤمثل الماضي، وتنظر إليه من منظور متعال لا يمت بصلة إلى متطلبات الواقع وروح العصر.

ب ـ يقوم أحد أفراد النادي بإطلاع زملائه على حكاية أكل المغاربة للحوم الكلاب. سادت تلك العادة مدة من الزمن إلى أن حسمت بحد السيف في عهد الموحدين أو في عهد الشيخ الجزولي. ثم نقل هذه الحكاية لإعطاء نظرة عن طبيعة الأخبار التي تستهوي المنخرطين في النادي، وبيان طبيعة الوعي ودرجته عندهم. كما تضطلع بوظيفة جوهرية تكشف عن طبيعة الصراع داخل المجتمع التقليدي بين المصلحين وعامة الناس.

ج ـ تدور المسرحية التي شخصها تلامذة مدرسة الهمذاني حول الصراع الذي دار بين المغاربة والبرتغاليين فيما يخص ثغر الصديقة (مهدومة). فبعد عجز السعديين عن تحريره جاء دور سيدي محمد بن عبد الله، الذي قهرهم وأرغمهم على مغادرته، بعدما مكثوا فيه أزيد من قرنين.

د ـ تتضمن النصوص التاريخية التي تعاملت معها الرواية تلميحات إلى معارك (الزلاقة، الحرب العالمية الثانية، القضاء على جيش رومل الثعلب) وأسماء تاريخية (يوسف بن تاشفين، ورمل، الادفونش، مولاي إسماعيل) ووثائق وكتب تاريخية تعرف المنخرطين بالنادي على الماضي المجيد لبلدتهم.

ولما ذوبت هذه النصوص في الرواية تبددت الذات الحقيقية لتصبح مجرد ذات فارغة [11] يمكن أن تشغلها ذوات خيالية، تضطلع بوظيفة السرد التاريخي، وتؤول الأحداث حسب منظورها الخاص ومنزلتها داخل الرواية. إنها «عفة التاريخ» بتعبير فومتيل Fustel

4 ـ النص الجغرافي والجيولوجي :

أ ـ فيما يخص النصوص الجغرافية نجد الإشارة إلى طبيعة الأرصاد الجوية وأحوال الطقس. ويغلب على الرواية الطقس الحار الذي نجم عنه الجفاف والقحط. وتندرج النصوص الجغرافية لدعم المقومين اللذين يسمان السياق العام للرواية. وهما [+ شدة الحر] و[+ التقلب].

ب ـ نجد التلميح إلى البركان والزلزال والهزات الأرضية والعصور الجيولوجية. وتدخل عملية امتصاص النصوص الجيولوجية وامتلاكها في إطار استراتيجية محددة، وهي تسليط مزيد من الضوء على ما حدث في البيضاء، وتفسيره بالمقايسة والمشابهة. وقد تضاربت آراء المحللين والمتتبعين من داخل المغرب وخارجه للتّعليق على الحدث وتفسير ظروفه وأسبابه. ويوهمنا الأستاذ عبد الكريم الصياد بأنه يقوم بتحليل مطابق للنص الجيولوجي العلمي والمتعلق بالتركيبة الجيولوجية لمنطقة ميسور، ولكنه في العمق يعطينا الموقف الرسمي عما حدث بالبيضاء: استبعاد مدلول البركان (المظاهرة) لأن تاريخ المنطقة لم يعرف إلا براكين غير نشيطة (أفعال مفرد Actes isolés).

5 ـ النص الفلسفي :

تمد الرواية جسورها مع النصوص الفلسفية التي تتعلق بالقضايا الآتية:

أ ـ يعطينا سرحان تقريرا مقتضبا وموحيا عن العقلية الأمريكية، لكن السلطة لم تستصغه لأنه يكشف عن نواقص المجتمع الصديقي ورواسبه، ويحرض الناس على تغييرها وتنحيتها. أما فريق شعيب، فهو لم يفهم الأبعاد الفلسفية التي تضمنها عرض سرحان بالنادي. ومن خلال مناقشته وأسئلته يتضح ضعف مستواه الثقافي.

ب ـ نجد إثارة قضايا فلسفية متعلقة بكينونة الإسلام. وتتقاسمها رؤيتان متعارضتان : رؤية سلفية تؤمثل الماضي وتشيد بأعمال السلف الصالح (أمثال الشيخ العوني)، ورؤية ليبرالية تطالب بضرورة مسايرة الإسلام لروح العصر حتى لا يبقى دينا كباقي الأديان (ويأتي سرحان في مقدمة من يناصر هذه الرؤية ويدافع عنها).

ج ـ استلهمت الرواية نصوصا أبيقورية ورواقية عن اللذة. اتبع المسلمون الفلسفة الأولى، كانت اللذة ـ بالنسبة لهم ـ غاية الحياة. أما غيرهم فاتبع الفلسفة الثانية التي تحث على الإعراض عن الحياة والتغلب عليها بالتقشف. لا يدعو الإسلام إلى هجر الدنيا والانصراف عن طيباتها ومباهجها، وإنما يشترط فيها التعفف والزهد

والاقتصاد في تدبير البدن وسوس النفس. وإذا كان الأمر هكذا في الحياة الدنيا (نفي البدن ولذاته)، فكيف ستكون حياة الانسان في العالم الآخر لما يهن العظم وتتعفن الشرايين؟ يجيب سرحان على هذا السؤال - الذي طرحه بطريقته الخاصة - كما يلي: «ذلك الإنسان، إذ يفنى في هذه الفانية عن بدنه وشهواته، بعض فناء فلكي يستعيدهما ويبقى فيهما أبد الدهر في الباقية. فهو يستعيد إذن ما فقده هنا أضعافا مضاعفة هناك، بحسب ما تذكره بعض الآيات القرآنية والأحاديث المروية. هكذا يقتصد المرء في لذاته لكي ينال منها المزيد في جنات النعيم، حيث العالم الذي يتحرر فيه الإنسان من الضوابط والمعايير والكوابح، من أجل أن يلتذ لذة عظيمة دائمة ولكن محسوسة جسمانية»[12].

د - يطرح علي نور قضايا تتعلق بالتاريخانية، فيقارن وضع المغرب حاليا بوضعية ألمانيا سابقا لتدارك التأخر التاريخي واللحاق بالدول المتقدمة، ويبين كيف استطاع المجتمع الألماني أن يعالج الفراغ الذهني الذي كان يعاني منه، وذلك بفضل بعض المثقفين والحركات، فتحقق التوازن بين الشكل والمضمون. في حين أن المجتمع المغربي ما زال يعيش تحت تأثير ذلك الفراغ الذهني، ويزداد وقعه على أنفس الكتاب لما يتعثرون في إيجاد المضمون الملائم الذي يمكن أن يملأه.

6 - النص الصحفي :

تحفل الرواية بالنصوص الصحفية سواء أكانت مذاعة أم مكتوبة. وقد تمكنت من التقاط دقائقها وتفاصيلها، واستيعاب بنياتها وتراكيبها.

أ - فيما يخص النصوص المذاعة عبر الأثير، نجد الإعلان عن المقابلة التي دارت بين الفريق الوطني المغربي وفريق زائر، وندوة صحفية حول كرة القدم بالمغرب شارك فيها بعض المختصين، والنقل المباشر لأطوار المقابلات سواء أكانت وطنية (الفريق الصديقي وفريق آخر)، أم دولية (الفريق الوطني المغربي وفريق آخر، الفريق الإيطالي والفريق الألماني).

ب ـ نصوص مكتوبة على أعمدة الصحف : مقال الشدادي (سبب الإخفاق) يحض الجمهور الرياضي على الدخول إلى الملعب الشرفي لمشاهدة العروض الجميلة التي سيقدمها لهم الفريق الصديقي وكله أمل وعزم لتحقيق الانتصارات ورد الاعتبار لكرة القدم المغربية، ثم مقال (لاسلحبية للسيدة بلانشو) يدور حول الجريمة التي تعرضت لها زوجة عالم الاجتماع الكندي، ثم مقال (ربائب الشيطان) يخبر بتمكن المسؤولين من القبض على بعض الرؤوس المدبرة « للمظاهرة » التي عرفها الملعب الشرفي بالدار البيضاء.

7 ـ المستنسخات اللغوية :

تتوفر الرواية على كثير من الصيغ اللغوية والتعابير المستنسخة والمسكوكة التي تستدعيها الضرورة ومراسيم الكلام والمقامات المناسبة. ولا يستطيع أي فرد أن يتخلص من سلطتها ويتجنب تفاعلا حيا معها. « وحده آدم الأسطوري وهو يقارب بكلامه الأول عالما بكرا لم يوضع بعد موضع تساؤل، وحده آدم ذلك المتوحد كان يستطيع أن يتجنب تماما هذا التوجه الحواري نحو الموضوع مع كلام الآخرين »[13]. وهي صيغ طائشة تنتقل من فم إلى آخر، وتنتمي إلى الذاكرة الجماعية، وتتخذ أغلبها مسحات دينية وأخلاقية. سنوزعها في شكل موضوعات حتى تتضح عملية امتصاصها وتحويلها بطريقة متطابقة.

ـ الثناء على الفرد : الله يرضي عليك ويزين أعمالك جازاك الله خيرا، الله يزيد في عمرك، تبارك الله عليك، الله يجزيك بالخير، الله يكمل.

ـ الذم : العياذ بالله، لعنة الله عليك، الله على شوهة، لعن الله الجهل والجهال، عدو الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، عيبك عليك.

ـ الترحيب : أهلا زارتنا البركة، صباح الخير، خير إن شاء الله، صباح النور، صباح الربح، مرحبا بك، جابك الله اجلس واشرب معنا كاس نعناع.

التعزية : رحمها الله، البركة في راسك، إنا لله وإنا إليه راجعون، رحم الله عبدا اعترف بذنبه، الله تفكرك.

الدعاء : الله يفرج الكربة، يقبلها الله منك ويجعلها كفارة لنا جميعا، رجانا في الله، عيان الشكوى لله، نطلب الله يخرج الجرة بسلام، الله يعفو علينا.

التوجه إلى الله : أستغفر الله العظيم، باسم الله الرحمان الرحيم، لا يعلم الباطن إلا الله، على بركة الله، الله يحفظك من عين الشيطان، البركة من الله رب الأرباب، الحوقلة، الحمدلة، السبحلة، يارب اقبل عذرنا واعف عنا يا أرحم الراحمين.

8 ـ تأليفية الخطابات :

انصب اهتمامنا في إطار التفاعلات اللفظية أو الحوارية على إبراز هوية المتكلم وكلامه، وتبين لنا أن رواية الفريق تحفل بجحافيل المتكلمين والمتلفظين، الذين نقلوا إلى فضائها لغاتهم الخاصة والفردية وعيناتهم الإيديولوجية. سَنُصَنِّفُ المناصات في شكل خطابات ذات كفايات وتجليات معجمية وتأليفية خاصة، ثم نستخلص اللغات الاجتماعية (خطابات) التي بإمكانها أن تعطينا صورة عن الوضعية الاجتماعية واللغوية.

1 ـ الخطاب المحلي :

ـ لغة الإرصادي : يقدم تقارير ونشرات عن أحوال الطقس. ويستخدم معجما خاصا، على نحو : التقلبات الجوية، ارتفاع درجة الحرارة، انخفاض معدل الحرارة، مقاييس سقوط المطر، الجفاف.

ـ لغة الواصف الرياضي : يتكلف بنقل المباريات الرياضية بلغة بسيطة وشفافة ومتقطعة في تراكيبها. ويضطلع بإعطاء تقارير عنها، واستجواب بعض المختصين أو أعضاء العصبة.

ـ لغة مقدم الأخبار : يتلفظ مقدم الأخبار بنشرات إخبارية موجزة تتسم أغلبها بأثر الواقع، وبإرساء مجريات الأحداث في فترات زمنية وتاريخية محددة.

ـ لغة المحقق الصحفي : أنجز المحقق الصّحافي تقارير حول ما جرى بميسور مستجوبا شهود عيان وبعض المختصين للتحري في الخبر والإلمام بالموضوع من الجوانب جميعها.

ـ لغة البلاغ الصحفي : يتحدث الصّحافي كما لو كان ناطقا رسميا لإبراز خطورة ما وقع بالبيضاء، وتحميل المسؤولية لزمرة من «المشاغبين»، والتنويه بدور رجال الأمن في إعادة الهدوء إلى رحاب الملعب.

2 ـ **الخطابات الخاصة** : وهي اللغات الاصطلاحية التي يستعملها المتخصصون.

أ ـ لغة القانون : يستخدمها المحامي الزبير، الذي تكلف بالدفاع عن ملف الفريق لاستدفاع التهم الموجهة لأعضاء لجنة المساندة. كما نجد نفحاتها في التقارير التي يكتبها الخلوقي لرصد تحركات الفريق قبل أن ينشغل بمرض صهره الشيخ العوني، وفي تتبع الناظم الخارجي للحالة الصحية للمختار وشان وإبراز موقف المشرع من تماديه في التمارض.

ب ـ لغة الطبيب : وهي لغة خاصة تنفرد بمصطلحاتها. يتلفظ بها الطبيب المكلف بمعالجة عمر وفحصه.

ج ـ لغة الإعلانات : تتوجه إلى المسرود لهم (أولاد البلد) بألفاظ طنانة وجذابة، وذلك لحفزهم على تأسيس جمعية تجمع شملهم، وتوحد صفهم على السير قدما لتحقيق أهداف مشتركة تعود بالنفع العميم على بلدتهم.

د ـ لغة المؤرخ : تحيل على أحداث تاريخية وحقب زمنية.

هـ ـ لغة الفيلسوف : وهي لغة تنزاح بالرواية من مستوى التخييل إلى مستوى التحليل المباشر، وتقدم المعلومات بطريقة تعليمية لإكساب المنخرطين ثقافة حداثية.

و ـ لغة الجيولوجي : تعطينا معلومات ومصطلحات دقيقة عن التركيبة الجيولوجية لمنطقة ميسور، وعن طبيعة الهزات الأرضية التي وقعت بها.

ز ـ لغة المخبر : يترصد المخبر بطريقته الخاصة تحركات أعضاء لجنة المساندة (وفي مقدمتهم شعيب وسرحان) وما يروج في النادي من أنشطة، ويبرز تأثير المشروع الرياضي على سكان الصديقية، ويكتب تقارير لإخبار مديره عن المستجدات والطوارىء.

ي ـ لغة المتصوف : وإن كانت لا تشغل إلا حيزا ضئيلا، فهي تستقطب اهتمام ذوي التوجه الحداثي (خاصة سرحان) لمعرفة أسرارها وجاذبيتها، وذوي التوجه التقليدي (مسيرو الفريق) للاسترشاد بنورها في مخاطبة الغيب، والتبرك لاستدفاع الشرور والهزائم.

ط ـ لغة ممثل السلطة (الباشا) : له معلومات دقيقة عما آلت إليه الأوضاع بالصديقية، يضع نفسه حكما للتوفيق بين أنصار الفريق القديم (أعضاء المجلس البلدي، والشرفاء) وبين معارضيه (أعضاء لجنة المساندة)، يتظاهر بالغيرة على المصلحة العامة وبالديمقراطية لإخفاء شكوكه وتحفظاته من تصرفات الفريق الجديد، ولإبراز لممثلي السكان وشرفائهم أنه لم يصدر عن هذا الفريق أي فعل خارج القانون يقتضي تدخل السلطة. وقد استغلت هذه الأخيرة أعمال التخريب التي قام بها المتفرجون لتصفية الحسابات مع النشطاء في أعضاء لجنة المساندة، وحَلِّ الفريق وتحريم اللعب.

3 ـ **الخطاب الأدبي** :

أ ـ لغة القاص المتمكن من أدواته التعبيرية، وفيها نجد تلميحا إلى ثنائية الشكل والمضمون، وبحثا عن الموضوع الغائب والمعجز. انتبه علي نور إلى هذا الموضوع ـ الذي أرق العرب في ملاحقته منذ عقود في ربوع خالية ـ لمّا كان يصغي إلى تعليقات الجمهور قبل بداية المقابلة «فكر علي نور. النار في الحطب.. الموضوع هو ما أسمع الآن، ما يقال وراء ظهري، ما يطرق سمعي رغما عني» ص 331.

ب ـ لغة الخطيب : لا تشغل إلا حيزا ضئيلا، وهي تبدو نشازا داخل المهرجان اللغوي نظرا لاتسامها بمحسنات بديعية.

ج ـ لغة الشعراء : لم ترق بالكتابة الروائية إلى مستوى الانزياح نظرا لقلتها، وطابعها التقريري، وافتقارها للجانب البلاغي والإيحائي.

هـ ـ لغة المحكيات : تسهم في إضفاء التخييل على الرواية، وتوسيع بنية التخريف، وإبراز دور الرموز وتجليات القدسي في مواجهة السلوكات اليومية وتدبير المعيش.

4 ـ **الخطابات المعتادة :**

تستحضر الرواية مستويات اللغة المعتادة : لغة الخدم التي تخضع تراكيبها للتراتبية الاجتماعية (الخضوع للسيد)؛ ولغة الجمهور التي هي عبارة عن جمل طائشة وشعارات ومواضيع مستطردة؛ ولغة الإنسان العادي المنشغل بهمومه الذاتية، والمؤمن بالقوى الغيبية في النجاة والصلاح والفلاح، وغير المكترث بالقضايا الكبرى التي تهم وطنه.

من خلال ما سبق يتضح أن التناص آلة لتحويل النصوص، واستثمار لغاتها المتباينة في مستوياتها وسجلاتها لإنتاج أثر المعنى، وإقامة حوارية بين ثقافات متعددة وعينات إيديولوجية ودلالية متضاربة في توجهاتها ومشاربها. ويتبين مدى انطباق اسم الرواية المتعددة الأصوات على الفريق. «لأنها تحفل بكثير من الكيانات اللغوية الملموسة والحية والمفردة اجتماعيا»[14] ويمكن أن نستخلص من ذلك المهرجان اللغوي المنظم فنيا ثلاثة مستويات تعبيرية[15].

أ ـ لغة التواصل : تكمن في تجرد الرواية من الانزياحات اللغوية والصور الشعرية الإيحائية، واعتماد اللغة الثالثة بوصفها نموذجا للحكي.

ب ـ لغة تحدد أسلوب الكاتب : إن رهان الكاتب الضمني هو جزء من الرهانات الممكنة داخل الرواية، وأسلوبه هو ضفيرة من أساليب مختلفة ومنضدة. ومع ذلك لابد للقارىء من استنتاج تفرد الرواية بأسلوب معين (هو أسلوب الكاتب الحقيقي)، يجعلها مختلفة عن الروايات الأخرى في تقنية الكتابة والتعبير.

ج ـ لغة الشخوص : تميز هذه اللغة الشخوص حسب انتماءاتها الاجتماعية والطبقية، وتبرز كفاية كل واحدة منها في توظيف الخزان اللغوي، والتعبير عن مواقفها الشخصية.

ويمكن أن نستخلص أيضا من ذلك المهرجان اللغوي الوضعية الاجتماعية واللغوية التي تقربنا من طبيعة اللغات الاجتماعية التي تفاعلت فيما بينها خلال الفترة التي تدور فيها أحداث الرواية (من 1968 إلى 1985). وهي : **اللغة الاجتماعية الليبيرالية، اللغة الاجتماعية الرياضية، اللغة الاجتماعية الدينية، اللغة الاجتماعية للرأي العام، اللغة الاجتماعية للسلطة.**

ويرى بيير زيما أن الوضعية الاجتماعية واللغوية تبقى عامة ما لم يتم تشخيص الذوات الاجتماعية والتاريخية الفاعلة لغويا. كثيرة هي الزمر (أحزاب سياسية، مثقفون، نقابات، مؤسسات) التي تطور معجمها وبلاغتها حتى تتميز عن التجمعات الأخرى وتعارضها[16]. ولذا ارتأينا إضافة اللغة الاجتماعية التي تصهر في بوتقتها لغات الفئات السيميائية والاجتماعية المنخرطة في الجمعية الرياضية.

الهوامش :

1 - Barthes (Roland) : “Analyse textuelle d’un conte d’Edgar Poe”, in Sémiotique narrative et textuelle, Larousse, 1973, p32.

2 ـ أبو علي الحسن بن رشيق القرواني، العمدة، تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة، ج1 /2، دار الكتب العامة، ط 1، 1983، ص 453 .

3 ـ بدوي طبانة، السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، دار الثقافة، ط3، 1984، ص 34 .

4 - Todorov (Tzvetan) : Mikhaïl Bakhtine, Le princpe dialogique, Seuil, 1981, p96.

5 - Bakhtine (Mikhaïl) : Poétique de Dostoïevski, Seuil, 1970, p242.

6 - Ibid p 261.

7 - Zima (Pierre) : L’ambivalence romanesque, Proust Kafka Musil, Le sycomore, 1980, p 50.

8 - Kristiva (Julia) : La révolution du langage poétique, Seuil, 1974, p347.

9 ـ عبد الفتاح كليطو : الأدب والغرابة، دار الطليعة، ط2، 1983، ص 77 .

10 - Topia (Andréà) : “Contrepoints joyciens” in Poétique, n° 27, 1976, p253.

11 ـ أنظر إلى قضية التلفظ في الخطاب التاريخي :

Barthes (Roland) : “Le discours de l’histoire” in Poétique n° 49, Seuil, 1982; pp12-16.

12 ـ علي حرب : « نصوص عربية في اللذة »، الفكر العربي المعاصر، العدد، 67-66، 1989، ص ـ ص 101 ـ 102 .

13 ـ ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الأمان، ط2، 1987، ص ـ 45 ـ 102 .

14 ـ نجد كثيرا من الكتاب يعون أهمية تفريد اللغة الروائية تفريدا اجتماعيا حتى تعطينا صورة عن معضلة صورة اللغة .

يقول عبد الله العروي : « لا يمكن للقاص أن يخترع لهجة، ولكن عليه فقط أن يمكن من تمييز الأشخاص حسب أساليبهم ، بحيث يميز بين أسلوب الكاتب وأسلوب الشخص الفلاني. أما عندما نقرأ قصة ونجد الفلاح يتكلم مثل عالم من القرويين فهذا مشكل كبير » مجلة الكرمل، العدد ، 11، 1984 ص 177 .

يقول ميخائيل نعيمة : « في عرفي .. يجب أن يخاطبونا باللغة التي تعودوا أن يعبروا بها عن عواطفهم وأفكارهم، وأن الكاتب الذي يحاول أن يجعل فلاحا أميا يتكلم بلغة الدواوين الشعرية والمؤلفات اللغوية يظلم فلاحه ونفسه وقارئه ومسامعه، لا بل يظهر أشخاصه في مظهر الهزل حيث لا يقصد الهزل، ويقترف جرما ضد فن جماله في تصوير الإنسان حسب ما نراه في مشاهد الحياة الحقيقية، هناك أمر آخر جدير بالاهتمام يتعلق باللغة العامية وهو أن هذه اللغة تستر تحت ثوبها الخشن من فلسفات الشعب واختباراته في الحياة وأمثاله واعتقاداته » الغربال، ط12، مؤسسة نوفل، 1981، ص 34 .

يقول عيسى عبيد : « .. أما إذا كانت المحادثات [الحوارات] قصيرة ومقتضبة فيحسن بنا أن ننقلها كما هي كما تصدر عن رطانتهم الأعجمية .. » من مقدمة مجموعته القصصية، إحسان هانم، 1921، ص 18 .

15 ـ وهي تتكون من اللغات الآتية : « واحدة تؤسس الموضوعية وهي وسيلة الاتصال، والثانية تحدد الكاتب، وأخيرا لغة أو عدة لغات تستخدم لإعطاء خصائص الشخصيات » . عبد الله العروي : الإيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني، ط3، دار الحقيقة، بيروت، 1979، ص 160 . يستلهم عبد الله العروي ملاحظته من رواية القرن التاسع عشر بأوروبا، التي يطلق عليها الرواية الموضوعية. ويرى أن الرواية العربية نادرا ما تشتمل على لغتين. وهذا ما يفسر رتابتها وتجريديتها وعدم دقتها.

16 - Zima (P.V) : Ambivalence, op. cit, p48.

الفصل الرابع

اللغات الاجتماعية

ينهل الفاعل لغته الفردية من دليل جماعي (اللغة الاجتماعية) متميز بسماته الصوتية وخصوصياته الثقافية والإيديولوجية، ويتضمن كلامه العينات الإيديولوجية (idéologémes) للفئة السيميا ـ اجتماعية التي ينتمي إليها، وتحدد موقفه من الوجود. فكل فئة لها معجمياتها ومتاعها اللغوي المشترك، باستثناء المفردات القاعدية المشتركة بين الفئات والمجموعات اللغوية كلها. ويمكن لفرد واحد أن ينتمي إلى عدة فئات سيميائية، ويضطلع بعدة أدوار سيميا ـ اجتماعية بحسب الفئات التي ينتسب إليها»[1].

استمد بيير زيما P. Zima مفهوم اللغة الاجتماعية من الحقل السيميائي[2] مضفياً عليه الطابع الاجتماعي، ومستبدلا به مفاهيم ما قبل ـ سيمائية (على نحو الرؤية للعالم، والإيديولوجيا..) لدعم المحايثة النصية والدفاع عن أطروحة مفادها أن البنيات الاجتماعية ملازمة للنص الأدبي، وأن العلاقة بين الاجتماعي والأدبي تتشخص على المستوى اللغوي (التناص). ويعتبر بيير زيما الإيديولوجية بنية خطابية (لغة اجتماعية) يتحكم فيها مفهوم الملاءمة بريتو (L.J. Prieto) في اختيار الألفاظ والمعجميات الدالة وتنظيمها وترتيبها وفق فعل تصنيفي موزع على تشاكلات دلالية. وعليه تتحدد اللغة الاجتماعية بوصفها «دليلا معجميا مشفرا، أو بعبارة أخرى مبنيا حسب قوانين ملاءمة اجتماعية خاصة»[3]. وفي هذا الصدد يتفهم زيما جيدا الخلفية التي تحكمت في «اعتبار ميخائيل باختين M. Bakhtine وفولوشينوف Volohinov المجتمع مشهدا للمنافسات والنزاعات البلاغية على المستوى اللغوي. فكل شفرة أو لغة اجتماعية، لا سيما في المجتمع الحديث وفي المجتمع المتعدد الأصوات، إلا وتحيل ضمنيا أو ظاهريا إلى الشفرات واللغات الاجتماعية المتنافسة، إن لم نقل المتعادية فيما بينها»[4]. ولا يمكن أن تتحدد معالم اللغات الاجتماعية (الليبرالية، والإنسانية، والاشتراكية..) في منأى عن التخطيبات التي

تتخذ أشكالا متباينة، ولهذا يرى زيما أن «إمكانية تشييد، انطلاقا من شفرات ودلائل معجمية منسجمة نسبياً، خطابات مختلفة جدا يحتمل أن تتعارض في نقاط معينة»[5]. فما زالت النقاشات «الداخلية» بين الكاثوليك والاشتراكيين والليبراليين والماركسيين مثار جدال، وتبين أن الانسجام النسبي للغة الاجتماعية (مفرداتها وشفراتها) لا تلغي الخلافات الخطابية[6].

مما سلف يمكن أن نثبت الملاحظات التالية:

أ ـ تتحدد اللغة الاجتماعية بواسطة العناصر التالية: الدليل المعجمي، والشفرة (الملاءمة والتصنيف)، والتخطيب (التجلي التجريبي للغة الاجتماعية).

ب ـ إن تشخيص اللغات الاجتماعية للمصالح والتناقضات الاجتماعية يستتبع تعريف الإيديولوجية بوصفها بنية خطابية.

ج ـ تتحدد اللغة الفردية بوصفها أداء شخصيا، أما اللغة الاجتماعية فتتجسد بكونها جماعا من الخصائص التي يشترك فيها أفراد فئة سيميا ـ اجتماعية محددة، وموقفا جماعيا من الوجود. وأحيانا لا يلعب الانتماء الاجتماعي والطبقي أي دور في إكساب الفرد سمات وبنيات لغة اجتماعية ما. فبلزاك ـ على سبيل المثال ـ كان ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية، في حين كان في رواياته متضامنا مع اللغة الاجتماعية للطبقة العمالية. وتنطبق الملاحظة نفسها على الكونت تولستوي الذي يوجهه الفلاح الخفي حين يتخيل عالما روائيا. وهذا ما حذا بجورج لوكاش أن يعتبره «أديبا فلاحا»[7].

1 ـ الخطاب الليبرالي:

يعبر هذا الخطاب عن تطلعات الفئة الاجتماعية السيميائية الليبرالية. وقبل تقديم البنية الذهنية والفكرية لهذه الفئة ارتأينا رصد رؤيات بعض الجماعات المنضوية تحتها.

1 ـ 1 ـ يمثل الكاتب الضمني ـ الذي يتشخص كجزر لغوية متناثرة عبر فضاء الرواية ـ جماعة سيميائية واجتماعية خاصة. وهي جماعة عاجزة عن الفعل، تكتفي فقط بالكلام. ويكشف خطابها عن هول «الفراغ الاجتماعي»، و«تكدر نفسية الجماهير الشعبية»، و«خوف السلطة من أي تغيير». ويرى أن المظاهرات الاجتماعية هي ردود فعل على إخفاقات فردية وجماعية، يمكن أن تؤدي بالمجتمع إلى آفاق مسدودة وأخطار مرعبة. وهذا ما يتطلب تقويم الواقع بموضوعية وحصافة لفهم أسباب المظاهرات / البراكين التي حدثت بالمغرب ما بين سنة 1968 وسنة 1985، والبحث عن حلول ناجعة حتى لا تتكرر مرة أخرى، ولتجنب فرض على المجتمع تقليدية جوهرية تضمن صيانة القيم والأنساق الثقافية والاجتماعية الماضوية[8]. وإن كان ـ في نظر هذه الجماعة ـ يتمثل في مستتبعات «الفراغ الاجتماعي»، فإن معالجته تقتضي دمج الفرد في سيرورة الحداثة، وجعله واعيا بما يحيط به من تطورات حضارية (الذهنية الأمريكية)، ومسترشدا بالنموذج الألماني لتدارك التأخر التاريخي الذي يعاني منه المغرب بالقياس إلى الدول المتقدمة.

1 ـ 2 ـ ينتمي سرحان إلى جماعة تدخل في صراع مع الفكر السلفي، يسخر من لا تاريخيته وأمثلته للماضي، وانسياقه مع الفلسفة الأبيقورية، وتعامله مع الإسلام كما لو كان دينا كالأديان (دين فوق الصومعة ينتظر وعد الله). إن هذه الجماعة لا ترى في الإسلام إلا «الطهارة» (استقامة الفرد في علاقته مع الآخر). وتنتقد جمعية شعيب ناعتة إياها بالزاوية التي تنشر الأفكار التقليدية. ورغم ذلك، فهي تحرص على عدم حلها أو احتوائها من طرف السلطة، لأنها تمثل أداة من أدوات الحركية الاجتماعية لدمج الفرد، وإعادة الأمل إليه. إنها جماعة تبحث عن «النغمة المفقودة» داخل المجتمع، والتي بدونها تبقى الحياة الاجتماعية موسومة بالفوضى والتفكيك، وخاضعة لقانون «الصدفة والاتفاق». وهي جماعة مشدودة إلى النموذج الألماني الذي يتعامل مع الحياة بجد وشعور عميق بالمأساة. وينور أفراد هذه الجماعة المنخرطين في النادي بالمكتسبات الفكرية المعاصرة (النموذج الأمريكي). لكن نظراً لتجريدية أفكارها الفلسفية، فإن المنخرطين يجدون صعوبات في تمثلها واستساغتها.

وإن فهموا بعض جوانبها فإن ذلك يتم من خلال ترسيمات وتمثلات تقليدية. ورغم وعي هذه الفئة الليبرالية بخطورة مشروع شعيب، فهي تنخرط فيه، وتدعمه بالتأطير النظري، وتقدم النصائح والتعليمات للمنخرطين فيه. وبحكم ارتباط أعضائها بالفضاء التقليدي، ومعاشرتهم للزعماء التقليديين، فإن إشعاعهم الفكري انحسر وفقد بريقه وقدرته على التأثير في الواقع.

1 - 3 - ينتمي علي نور إلى جماعة اجتماعية سيميائية ليبرالية، تنتقد هي الأخرى «الفراغ الاجتماعي» الذي ترتب عليه الانتحار على المستوى الفردي والإخفاق على المستوى الجماعي. وترى الحل في خلق أدوات تأطيرية عصرية (مكونات المجتمع المدني) لإدماج الفرد اجتماعيا وطمأنته، وضمان أشكال التضامن والتوادد بين الأفراد. وتعطي الدليل على ذلك بالمجتمع الألماني الذي عرف كيف يتدارك تأخره التاريخي. وترى هذه الجماعة بأنه لا يكفي استعارة الأشكال والأدوات الحداثية من الغرب، وإنما ينبغي الحرص على ملئها بالمضامين المناسبة حتى تؤدي وظيفتها التأطيرية داخل المجتمع.

1 - 4 - يمثل صاحب الرسالة المجهولة (شَبِيهُ إدريس) جماعة ليبرالية جريئة في طرحها مقارنة مع الجماعات السالفة. تصدع بعدم رغبتها في الانخراط داخل جمعيات تقوم على «العصبية المحلية» و«الكشف المبافت»، وتراهن على «تجاوز مكتسبات العصور الأخيرة» وجمع شتات «أولاد البلد». تنتقد عملية إفراغ الأدوات العصرية من محتوياتها الأصلية (التعاون، التضامن، الادماج الاجتماعي) وإحلال محلها محتويات تقليدية (العرق، ضروب الاستقطاب التقليدي، التعايش مع الزعامات التقليدية) تفضي بالمجتمع إلى اللاتاريخ، وتتخذ مواقف حاسمة من اللغة والتاريخ والتقليد(9).

ومما سبق يتضح أن الجماعات تتفق على إمكانية اقتباس الثقافة لتدارك التأخر التاريخي، وضرورة الانفتاح على المكتسبات الفكرية الغربية، والإيمان بصيرورة الحقيقة ونسبيتها، وأهمية الأدوات التأطيرية لدعم المسار الحداثي. وتتباين مواقفها

في التعامل مع «الجمعية». هناك جماعات تحس بخطورة محتوياتها، ومع ذلك تدعمها لتطوير أدائها، وسد الفراغ الاجتماعي، والمساهمة في الحركة الاجتماعية. وهناك جماعة واحدة ترفض التعامل معها أو دعمها، لكونها تحيي النعرات القبلية، وتكرس المحتويات التقليدية، وتشكل خطرا على المسار الحداثي.

2 ـ الخطاب الديني :

2 ـ 1 ـ يعتبر كلام الشيخ العوني صدى لجماعة من العلماء الدينيين الذين سئموا الدفاع عن «الخلافة الإسلامية» و«الجهاد»، فانصحبوا من الحياة الاجتماعية مكتفين بالدفاع عن دور المسجد والأمة الإسلامية في رد الاعتبار للقيم الروحية. ويعتبرون ما يجري في الحياة اليومية لا يمت بصلة إلى الإسلام الحق الذي يتبرأ من كل الممارسات التي تتمسح به وهو ينتظر وعد الله. وكما نلاحظ من كلام الشيخ العوني فإن هذه الجماعة اتخذت قرار التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود. تنهل مبادئها وأصولها من القرآن الكريم وتستوحي منهجيتها في الحياة من السنة النبوية. وهي جماعة تحظى ـ من طرف أغلب الجماعات السيميائية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها ـ برأسمال رمزي نظرا «للعلاقة الموجودة بين خصائص كلامها وصفات المتلفظين وسمات المؤسسة التي كلفتهم بأمر التلفظ والإلقاء»[10]. تنفي هذه الجماعة صيرورة الحقيقة والزمن، وترفض الاحتكام إلى الواقع والتجارب العمومية بدعوى أن النظام الذي تصبو إليه لا يمكن أن يطبق إلا إذا عاد المسلمون إلى إسلامهم الأصلي.

2 ـ 2 ـ لا تستعمل جماعة شعيب لغة واحدة، وإنما تنتقل عبر أنساق لغوية متباينة: تتكلم لغة في المنزل، ولغة أخرى في النادي، وتضطر إلى مخاطبة السلطات المحلية بلغة ثالثة. إنها تعيش وسط عدة أنساق لغوية غير مترابطة حواريا. قد ينخدع القارىء بأن كلامها حول تكوين الفريق الصديقي لا يستبطن نويا وأغراض إيديولوجية. لكن لما نستقرىء الوحدات المعجمية المستثمرة (رياضة النفس والجسم، المجاهدة، الخفة في الإيمان، مسابقة العدو، رؤية انفلاق الفجر، ترديد عبارة

الله حي، زيارة الأولياء) نجدها تنتظم داخل تشاكل/ديني/. وتختلف هذه الجماعة عن المتصوفة في خروجها من العزلة إلى الحياة الإجتماعية، ومن الخلوة إلى الصراع الإجتماعي، ومن الوحدانية إلى استقطاب مريدين داخل أدوات حداثية لبسط نفوذها، وإشاعة عيناتها الإيديولوجية، ورفع شعارت دينية متطرفة لمناهضة «الوضع القائم». وتعتمد على «المقدس» الذي هو بعد من أبعاد المجال السياسي، بحيث يمكن أن يصبح الدين وسيلة للنفوذ وضمانة لاكتساب الشرعية، ووسيلة مستخدمة في إطار المنافسات السياسية[11].

2 ـ 3 ـ تقوم الجماعة التي ينتسب إليها موسى بودميعة[12] على مقومات ميتافزيقية: الرياضة والمجاهدة والإيمان. وترتكز على أبعاد خرافية للتغلب على القوى الشريرة (كتابة حرز للفريق)، وتعتكف بالخلوة «ليرفع الحجاب»، ويظهر «الحق»، وتتحقق «الانتصارات» التي ينتظرها الجمهور بشغف كبير.

2 ـ 4 ـ تندرج اللغة الاجتماعية لفئة الجمهور (تلاميذ، باعة متجولون، عاطلون..) ضمن الخطاب الديني لأنها تمتح وحداتها المعجمية منه. لا تظهر هذه الفئة غير المتجانسة على مسرح الأحداث إلا إبان وقوع المظاهرات. تسهم في إشعال فتيلها وتأجيج زندها للتعبير عن سخطها على الأوضاع الاجتماعية، وتذمرها من كثرة الهزائم والإحباطات (إضرام النيران، التخريب). يتضح من شعاراتها أنها لا تتوفر على مطالب محددة وواضحة، وأنها تستلهم عبارات من المتصوفة (المدد المدد يا مولاي إبراهيم، ما لغيرك ارحيلنا يا حبيب الله، النجاة يا رسوب الله)، وتستغيث بالقوى الغيبية.

تستلهم اللغات الاجتماعية السابقة رؤيتها من الدين الإسلامي، وتعتمد عليه في انتقاد الوضع القائم، والسعي إلى تغييره؛ وذلك إما برياضة النفس والجسم على المجاهدة (جماعة شعيب)، وإما بالاحتجاج (الجمهور)، وإما بالاعتكاف في الأضرحة (جماعة موسى) وإما بفصل الدين عن اليومي المبتذل (جماعة الشيخ العوني).

3 ـ خطاب السلطة :

رغم اختلاف الجذور الاجتماعية لبعض المتلفظين (الخلوقي ، الباشا ، أعضاء المجلس البلدي ، الشرفاء ، عبد الكريم الصياد) ، فهم يتكلمون لغة اجتماعية وسيمائية واحدة (خطاب السلطة) . تتسم هذه اللغة ، على المستوى العميق ، بازدواجية القيمة (مع / ضد) ، وعلى المستوى السطحي ، بالتأرجح بين المساعدة والإعاقة . وبعبارة أخرى ، توهم تلك اللغة باظهار شيء ، في حين أنها تخفي أشياء مغايرة له .

3 ـ 1 ـ يؤمن الخلوقي (مسؤول سام في قطاع الأمن) ظاهريا بأهمية أدوات التأطير العصرية لإنقاذ الفرد من « فردانيته » ومن « اليأس » الذي يدفعه دَفْعاً إلى « الإجرام » ، و« التمرد » ، ولمنحه « جنينة خاصة به » ، ويرى بأنه بدون تلك الأدوات يكون المجتمع بدون رائد . لكنه على المستوي العميق ، يحس بخطورة « التكتل الجديد » بالصديقية ، وبأهمية فحصه ورصده لمعرفة أغراضه ودواعيه ، وبضرورة رد الاعتبار إلى أعضاء الفريق القديم .

3 ـ 2 ـ يظهر الباشا وأعضاء المجلس البلدي والشرفاء بأنهم في « خدمة السكان » وفي « مصلحة الجميع » ، وفي « مقدمة السكان » لإضفاء الحركية على المدينة وإيقاظها من سباتها ، لكنهم على المستوى العميق يعملون على عرقلة الجمعية بالتناور على « تغيير قيادتها » و« احتوائها » ، لأنها تشكل ـ في نظرهم ـ خطرا على « الاستقرار الاجتماعي » .

3 ـ 3 ـ تخفي الصحافة الرسمية حقيقة ما وقع بالبيضاء ، وتحاول إظهارها بأنها مجرد « فوضى » أو « شغب » ، كانت وراءه جماعة من « المشاغبين » المعروفين عند السلطة . ويحاول الصياد إيهامنا بأنه يحلل ما وقع بأسلوب علمي (المطابقة بين التصور والحقيقة) ، في حين أنه يحلله بأسلوب إيديولوجي (اللاتطابق بينهما) يمرر عبره مواقف الخطاب الرسمي (محاولة تعتيم ما وقع لإخفاء ملابساته ودوافعه وتداعياته) .

يوهم خطاب السلطة ومن يدور في فلكها بأنه «حداثي»، في حين هو «تقليدي» يخاف من أي تطور [13]، ومن أية محاولة اجتماعية تسعى إلى تجريده من طابعه القدسي (la désacralisation). تعتمد السلطة على أشكال الترابط الاجتماعي والتلاحم التقليدي، وتراقب حركية المجتمع، وتضطلع «بضبط السلوكات»[14]، وتحرص على الامتثالية وتكرر الأشكال الاجتماعية والثقافية(15).

4 ـ خطاب الرأي العام :

هو مجموع آراء الشخصيات ووجهات نظرها في الحياة العامة، وحتى لا يبقى هذا المفهوم عاما عملنا على حصره وتحديده حسب نوعيته (قطاع معين في المجتمع) ومحتواه (تأثره بالأحداث اليومية ومجريات الأمور والإشاعات، ومدى معرفته واطلاعه على حقيقة الموضوعات والقضايا)[14]. يدور خطاب الرأي العام حول الفريق الجديد والنادي والأضرحة والشيوخ. فكل الآمال معلقة على هذا الفريق وزاويته (النادي) لجلب الانتصارات ودفع كل أشكال الإحباط واليأس وإعادة الثقة إلى الجمهور.

يتسم خطاب الرأي العام بالسطحية والمحدودية في فهم الأحداث الجديدة التي تعرفها مدينة الصديقية. ويضطلع بوظيفة مزدوجة تفسر الوضع القائم بمفاهيم تاريخية، وتبرره بإعطائه قاعدة أخلاقية، وتقدمه كنسق مشيد على الحق[15] بمفاهيم ماضوية اتكالية ومدغدغة للمشاعر والاستيهامات.

5 ـ الخطاب الرياضي :

يرتبط هذا الخطاب بفئة تتكون من شخصيات مختصة في المجال الرياضي (المدرب، اللاعبون، رئيس الفريق، رئيس العصبة، المعلق، والواصف الرياضي). قد نتوهم على المستوى الظاهر باستقلالية هذا المجال، وبأن العقلنة (بتعبير ماكس فيبر) تلازمه : تكوين مدونة من القواعد الخاصة وهيئة من المسيرين المختصين بألقابهم

المحددة اجتماعيا ومهنيا[16]. لكنَّ ـ على المستوي العميق ـ نكتشف بأن مجال المنافسة يتعارض فيه الفاعلون الذين لهم مصالح عامة مرتبطة بالمواقع التي يشغلونها [17]، ومجال لمختلف الصراعات الاجتماعية[18]توظف فيه مفاهيم مستوحاة من المعجم الحربي والعسكري (التكتيك، الاستراتيجية، الدفاع، الهجوم، المعترك، المعسكر، التربص، الخطة، التدريب. . .).

ينتظم المعجم الرياضي ظاهريا في تشاكل / رياضي / يدور حول تكوين فريق جديدلإعادة الثقة إلى الجمهور الصديقي. أما باطنياً فهو يتناسل في تشاكل / سياسي / يتشخص في بنية تصارعية بين فريق شعيب وفريق السلطة. كل طرف يحاول استغلال المجال الرياضي لصالحه. فالسلطة تدافع عن فريق «النصر» رغم عدم فعاليته، لأنه يشكل بالنسبة لها الإطار الشرعي لمنافسة الإيديولوجيات الأخرى، ولما أحست أن الفريق الجديد بدأ يكتسح المدينة، علمت كل ما في وسعها لشل حركته واحتوائه. أما فريق شعيب، فاستغل هزائم الفريق القديم وتذمر السكان منه للظهور بمظهر البديل المنتظر.

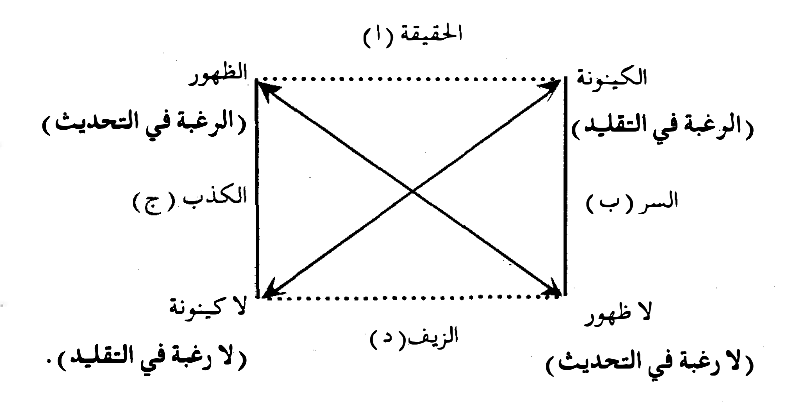
6 ـ خطاب الجمعية :

تساهم الجمعية في تأطير المجتمع وتغيير بنياته الاجتماعية والذهنية. وتضطلع كباقي أدوات التأطير الأخرى (النقابات، التعاونيات، الأحزاب) في تحديث المجتمع، و« تغيير البشر، وإعادة بنية العلاقات الاجتماعية، وخلق شكل جديد من الوعي والأخلاق »[18]. تتشكل الجمعية الرياضية من فئات وسيطية (Groupes intermédiaires)، توهم بأن لها أهدافا حداثية، في حين أنها تعتمد على وسائل تقليدية لتقوية وتعزيز التلاحم بين أولاد البلد، وكسب ثقتهم وودهم. وباعتبارها ذاتا جماعية، فهي تضم فاعلين جماعيين يتناوبون على المستوى المركزي على تنشيطها وتوجيه دفتها. ولكل فاعل جماعي رغبة اجتماعية يسعى إلى تحقيقها بواسطة الجمعية التي انخرط فيها.

وتتعايش داخل الجمعية لغات سيميائية متضاربة في توجهاتها ومشاربها.

وتسعى كل لغة إلى فرض برنامجها السردي وخطابها الإيديولوجي. واللغة التي تسعف على ذلك هي اللغة الدينية نظرا لتحكم القيادة التقليدية في تسيير الجمعية، واعتمادها على الاستقطابات التقليدية، ودفاعها عن برنامج أخلاقي وحماسي يقوم على المقومات الآتية: المجاهدة، والرياضة، والخفة، والإيمان، والتبرك ببركة الأولياء الصالحين، واسترجاع أمجاد بلدة الصديقية. وإذا كانت الجمعية تدافع عن تقليدية جوهرية (جمود لغوي، وثوابت فكرية مستوحاة من الماضي)، فإن السلطة تتبنى تقليدية صورية (الحفاظ على المؤسسات والأطر الاجتماعية والثقافية التقليدية مع تغيير محتوياتها والأهداف المتوخاة منها)[19].

ويمكن تشخيص موقف الجمعية من الحداثة والتقليد في المربع السيميائي الآتي:



الهوامش:

1 - Greimas (A.J) : Sémiotique et science sociale, Seuil, 1976, p154.

2 - أعطى كريماص (1976، ص 53/55) دورا وظيفيا للغة الاجتماعية، إذ جعله مطابقا للغات المختصة التي تستخدمها فئات في شبكة من تواصلاتها المحدودة. وبعد ذلك جعلها في مقابل اللغة الفردية. «فهي بمثابة لغات تحتية معروفة بتغيراتها السيميائية التي تجعلها تتعارض مع أخرى (صعيدها التعبيري) وبإيحاءيتها الاجتماعية التي تصاحبها (صعيد المحتوى)؛ فهي تتكون في شكل صنافات اجتماعية مضمرة في الخطابات الاجتماعية» (1979، ص 354).

3 - Zima (P) : Manuel de sociocritique, Picard, 1985, p. 34.

4 - Ibidem.

5 - Ibid p. 135.

6 - Ibidem.

7 - لوسيان كولدمان: المادية الديالكتيكية وتاريخ الأدب، ترجمة نادر ذكرى، دار الحداثة للطباعة والنشر، سلسلة قضايا أدبية 1981 ص 23.

8 - Balandier (G) : Anthropologie politique, PUF, 1967; p203.

9 - عبد الله العروي: أزمة المثقفين العرب، ترجمة ذوقان فرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1978، ص 166.

10 - بيير بورديو: الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، ط1، 1986، ص 166 (مع شيء من التصرف).

11 - Balandier (G) : Anthropologie politique, op. cit p 137.

12 - ينضم إلى هذه الجماعة الفقيه التواتي الذي يعتمد هو الآخر على الجوانب الخرافية: التعزيم، كتابة الحرز، الاعتكاف بالخلوة.

13 - وهي فكرة نجدها مضمنة في الحوار الذي أجراه محمود معروف وأمينة البقالي مع عبد الله العروي، «التعايش بين التقليد والحداثة غير ممكن»، أنوال الثقافي، العدد 500، سنة 1988.

14 - الإعلام والرأي العام، عمل جماعي، ترجمة محمود كامل المحامي، دار النهضة، ط1، 1985، ص/ص 6-7.

15 - تصرفنا في القولة بتحويلها من الجمع إلى المفرد:

Balandier (G) : Anthropologie politique, op. cit p 139.

16 - Bourdieu (P) : "Comment peut-on être sportif?, in Questions de sociologie, Minuit, 1980, p 178.

17 - ibid p 174.

18 - Greimas (A.J) Sémiotique et sciences sociales, Seuil, 1976, p118.

19 - استعرنا مفهومي التقليدية الجوهرية والتقليدية الصورية من كتاب جورج بلانديه، انتروبولوجية سياسية، م.سا ص 203.

الفصل الخامس

اللغة الثالثة

(لغة اجتماعية)

تعتبر رواية **الفريق** اللغة الثالثة[1] نموذجا للغة المحكية التي تستمد تراكيبها من الكلام الشفهي[2]. وهي لغة تحاول الترخص في بعض الخصائص النطقية والتركيبية والمجتمعية حتى تكون مفهومة لدى الفصيح والعامي على حد سواء[3]. إنها ـ في مجملها ـ عبارة عن مزج لغتين اجتماعيتين على الأقل داخل ملفوظ واحد. ولا تعتبر هذه المزاوجة بين اللغات لعبة لفظية مجردة، بل هجنة واعية وقصدية لا يتوخى منها الكاتب الحقيقي سوى التمكن الأدبي من تنظيمها وتشخيصها بطريقة دقيقة ومنظمة ومفكر فيها بإمعان، حتى تتميز عن التهجين السطحي والعفوي والمبتذل، وعن النزعة الجمالية المشخصة فقط لمتكلم واحد ـ بدل متكلمين ملموسين ومحددين تاريخيا واجتماعيا ـ هو منتج ايديولوجي للاستتيقا[4]. إن اللغة الثالثة هي لغة اجتماعية تعطينا صورة شاملة أو جزئية عن الوضعية الاجتماعية اللغوية، قد تكون متداولة بين أفراد معينين (لها إيحاءيات اجتماعية وتلوينات محلية)، أو بين فئات خاصة (تنم عن إيحاءيات طبقية)، أو بين أشخاص مختلفي النحل والأصول الاجتماعية. وفي هذه الحالة الأخيرة نجدها تنتقي من التراكيب الشفهية ما هو متفق عليه ومشترك حتى تضمن تواصلا حيا وفعالا بين الجميع. أفردنا لها هذا الفصل من الكتاب للتحدث عن بنياتها التركيبية والمعجمية والصوتية، والتوقف ـ إن اقتضى الحال ذلك ـ على ايحاءياتها الطبقية وألوانها المحلية (بيان مع أية طبقة (أو فئة) أو إقليم (أو منطقة) يتفاعل ويتعامل الكاتب الحقيقي لغويا).

1 ـ المستوى النحوي والتركيبي

1 ـ 1 إن كثيرا من الجمل بالعامية مرصصة حسب قالب تركيب الفصحى نَفْسه وتحتمل قراءتين: قراءة لا تعير أهمية للحركات الإعرابية، وأخرى تعيرها أهمية حسب

مواقع الكلمات في الجملة. إن اختيار مثل هذه التراكيب بَيْنَ بَيْنَ يجعل الفصحى مقروءة ومستساغة بالنسبة للقراء العاديين، ويرقى بالعامية الى مستوى التواصل الحي والفعال بين أقطار عربية متباعدة. ويمكن أن نستدل بأمثلة على النحو الآتي:

العامية	الفصحى
مَاتَتْ الْقَوَاعدْ في بْلاَدْ الْغِيبَة.	مَاتَتِ الْقَوَاعِدُ فِي بِلاَدِ الْغِيبَةِ.
هَذَا فَنْ واللَّهْ فَنْ الله يْكَمَّلْ بالسَّلاَمَة.	هَذَا فَنٌّ وَاللهِ فَنٌّ اللهُ يُكَمِّلُ بالسَّلاَمَةِ
أَنَا سَيْد لا تَطَلُّعْ لِي وَلاَ طُموحَ	أَنَا سَيِدٌ لاَ تَطَلُّعَ لِي وَلاَ طُموحَ.
عُمْرُه مَا كَانَتْ فِيه فَائِدَة دَائِماً زَايدْ نَاقِصْ	عُمْرُهُ ما كَانَتْ فيه فَائِدَةٌ دائماً زَائِدٌ نَاقِصٌ
طَقَسْ غْرِيبْ غير مُعْتَادْ فِي الْمَغْرِبْ	طَقْسٌ غَرِيبٌ غيرُ مُعْتَادٍ في الْمَغْرِبِ
الْوَالِدَة مَا زَالَتْ سَاكْنَة مَعَكْ؟	الْوَالِدَةُ مَازالتْ سَاكِنَةً مَعَكَ؟
حَالِي هُوَ حَالَكْ يَاسِّي حْمِيدَة. عَنْدِي طِفلْ والْوَالِدَة هيَ الْقَائِمَة بَهْ.	حَالِي هُوَ حَالُكَ يَاسِّي حْمِيدَة. عِنْدي طِفْلٌ وَالْوَالِدَةُ هِي الْقَائِمَةُ بِهِ.

1 ـ 2 إن الاسم الموصول للغة الثالثة هو «اللي» تنعدم فيه علامة التطابق الدالة على العدد والجنس، وبذلك يختلف عن الأسماء الموصولة في اللغة العربية التي تفرد وتثنى وتجمع وتذكر وتؤنث حسب صياغتها واستعمالاتها في التعبير.

اليد اللي ما تقدر تعضها قبلها. ص 194.

خلي الكبار اللي ما بقى فيهم فائدة. ص 79.

الأدوار اللي قمت بها. ص. 80.

اختاروا الراجل اللي عندكم به علاقة. ص 194.

بعد كل الجهود اللي قمنا بها. ص 255.

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن اسم الموصول « اللي » يتفق مع الأسماء الموصولة في الفصحى، وذلك في أنه اسم يدل على معرفة لكنها مبهمة غير واضحة؛ ودلالته على المعرفة لا تكتمل الا إذا وصل بجملة فعلية (ما تقدر تعضها ـ ما بقى فيهم ـ قمت بها ـ قمنا بها)، أو اسمية تذكر بعده وتتمم معناه (جمل الصلة) على نحو (عندكم به علاقة). كما يتفق معها في وجود عوائد (ظاهرة أو مستترة) تعود على الاسم الموصول نفسه، وتفيد الربط بين الموصول وصلته وهو قريب في نطقه ووظيفته من تلك الأسماء الأخرى.

1 ـ 3 إذا تأملنا الأمثلة التالية :

1 ـ نشرب القهوة ونفرق اللغى

2 ـ سمعت الاذاعة وأقوال الناس وتعليق رئيس العصبة.

3 ـ كنا نخرج كل جمعة بعد الظهر على الخيل وبالكموة.

4 ـ جيت على قبله وطلبته.

نلاحظ أن[2] متناسبة المتعاطفين لأن لها الدور الموضوعاتي نفسه، والمركبات متماثلة من حيث النمط المقولي والجانب الدلالي. في حين أن 1 ـ 2 ـ 4 لم تلتزم بعقد تناظر الوظائف الدلالية، فالوضع الذي يحيل عليه محمول « شرب »، لا ينتمي إلى الوضع نفسه الذي يحيل عليه محمول « نفرق »؛ فالأول دال على المشرب والآخر على الكلام. فنحن أمام وضعين مختلفين في حقليهما الدلالي، ومع ذلك جاز العطف بينهما كما هو الشأن في الفصحى « فوحده الحقل الدالي بين المتعاطفين ليس شرطا دلاليا ضروريا، خاصة اذا علمنا أن المتكلم يمكن أن يتوسع في المعنى، فيسقط تصوره لحقل على حقل بناء على أن هناك تعميما عبر الحقول الدلالية. »[5]

نجد طائفة أخرى من الجمل مفصولة (إسقاط أداة العطف)، ولها مواضع خاصة نذكر منها موضعين: أن يكون بينها اتحاد وتآلف تام، ذلك بأن تكون الجمل المتوالية توكيدا أو بيانا للجملة الأولى أو بدلا منها. ويقال حينئذ إن بينها كمال

الاتصال «الأصلة والتأصيلة امرأة ونص... خدمت غير في الديار الكبار... لابد حتى مول الحانوت يسمع... مرة أخرى يعرف مع من يتكلم» ص. 11. وقد يكون بينها كمال التباين وشدة التباعد لعدم وجود مناسبة فيما بينها ويقال حينئذ إن بينها كمال الانقطاع[6]. «يعني توسيع لما كنا نقوم به حتى الآن. كنا نرى مقابلات... الآن سنرى لعب فريق يعيش في ظروف قريبة من ظروفنا...» ص.15.

1 ـ 4   1 ـ نشطوا والله نشطوا

2 ـ نعم أنا في طنجة

3 ـ خويت له المحل (تنطق الكلمة المضغوطة في الدارجة المغربية على هذا النحو : لو)

4 ـ كولوا واشربوا ثم تفرقوا

5 ـ دخله الشيطان وصورها له حقيقة معكسة

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة إما يكون الضمير ظاهرا 1 ـ 2 ـ 4 أو مستترا 3 ـ 5 وإما متصلا 1 ـ 4 أو منفصلا 3. ويمكن أن يحيل على مسافات (أغلب الحالات) ويمكن أن يحيل إحالة منفصلة عن الإحالات الممكنة داخل الجملة (الحالة الأخيرة)[7]. كما نلاحظ أنه يحتمل في 3 ـ 5 خرقا في المقبولية من حيث استعمال استراتيجية العائد (التلفظ بالهاء مع الالتزام بإثبات الحركة المناسبة: خويت له ـ دخله ـ وصوره له...)، أو من حيث العمل باستراتيجية الحذف أو الثغرة[8] (عدم التلفظ بالهاء كأنها غير موجودة: له ـ دخلو ـ وصور هالو)

1 ـ 5   1 ـ هذي حكاية.

2 ـ هذا رجل يسأل عليك.

3 ـ هؤلاء ناس رضعو الحيل مع أمهاتهم.

4 ـ ذيك المرأة ـ ذيك ميمونة.

تتخلل اللغة الثالثة أسماء تدل على المعرفة بالإشارة، وتدل على المشار اليه (حكاية رجل ناس) حساً أو معناً. وما يمكن أن نلاحظه أنها مستمدة من الفصحى، وخاضعة لقواعدها. (ذي) للمؤنث، (ذا) للمذكر المفرد، (هؤلاء) للجمع المذكر والمؤنث، وقد سبقت هذه الأسماء هاء التنبيه. أما في الحالة الرابعة فتم تجريد اسم الإشارة (ذي) من هاء التنبيه وإلحاق كاف الخطاب به، فيكون المشار إليه بعيدا (عكس اللغة الفصحى يكون متوسطا، أما في حالة البعد فيكون اللام).

6 ـ 1 ـ لو كان الناس بحال سيدي.

ـ نزل علي كلام بحال الماء البارد.

ـ لكن [المقابلة] بحال الفايتة

إن الجمل الثلاث عبارة عن تشبيهات تتوفر على أركان التشبيه التالية (المشبه/المشبه به/ أداة التشبيه)، وهي من نوع التشبيه المرسل (ذكر الأداة). ونلاحظ أن الكلمة العامية (بحال) هي أداة تشبيه بين طرفين يشتركان في صفة مشتركة. يمكن للفصحى أن تكيفهما في تراكيبها الخاصة، دون أن يخل ذلك بنظامها من الأساس، كأنها تعني الصفة والهيئة والكيفية. فعندما نقول مثلا (نزل علي الكلام بحال الماء البارد) فأداة التشبيه (بحال) تعني اشتراك المشبه (الكلام) والمشبه به (الماء البارد) في صفة البرودة.

تفضي اللغة الثالثة في بعض الأحيان إلى مجاوزة التراكيب اللغوية، وتهجين الفصحى ببعض الوحدات العامية ذات الطابع المحلي، فإلى جانب أدوات الاستفهام المتعارف عليها (كيف، وأين، وما، ومن) نجد أدوات ذات قالب دراج (على نحو علاش، آش، فاين، ياك). على العموم نلاحظ أن اللغة الثالثة متأثرة بالفصحى في صوغ تراكيبها.

2 ـ المستوى المعجمي :

3 ـ 1 نجد في كثير من الروايات (ضمنها **الفريق**) وحدات معجمية كانت لا تنتمي أصلا الى اللغة العربية فهي معربات وافق بناؤها أبنية كلام العرب وحمل عليها[9]. في الرواية نجد الوحدات التالية: الصندوق، الاسطوانة، السروال، الدولاب، الشطرنج... الخ. و« من السنن الاجتماعية المسلمة، أن اللغة إذا تقادم عهدها بالغ الناس في تقديسها... كما أن اللغة الكاملة المطردة النقية لم تعرف إلا في العصر البدائي وأن لغاتنا الحديثة المتطورة عن تلك الأصول البدائية ليست إلا تحريفا وفسادا »[10]. ومن السنن الاجتماعية كذلك أن تلك الوحدات تمت ـ بنوع من التهجين التاريخي العفوي والمعتم ـ داخل تيار القوى الجابذة نحو مركز اللغة العربية، وأصبحت مع مرور الأيام جزءا منها، مطبوعة بطابعها وخاضعة لأبنيتها وأقيستها. إن الهجنة التي نبحث عنها تختلف جذريا عن الهجنة التاريخية العفوية في كونها « نسقا من توحيد اللغات، منظما أدبيا، نسقا موضوعه إضاءة لغة بمساعدة لغة أخرى، وتشكيل صورة حية للغة أخرى »[11].

3 ـ 2 تم تهجين المعجم الروائي بكثير من الوحدات العامية ذات الطابع المحلي: « ما كان وقت لتحضير **الحريرة** بقواعدها » ص. 58 « أنا رجل بلحيتي ولعبت بي امرأة **عقروشة**» ص. 298 ـ « أخرج في الأخير من تحت **البزطام** ورقة مطوية غير مظروفة » ص. 299، « مغبرة كأنها خارجة من **الفران**» ص 298 « رايحة الشحمة في **الشاقور**» ص. 244. « عند أصحاب **الكراريس** في الزنقة » ص. 115 « هذا العام ما كانت **صابة** ما كان حليب » ص. 115 « صليت على **هيدورة**» ص. 195 « لا يزال في عهد **الخطوبة**» ص. 21 « هذه النكرة، هذه الثقالة، هذه **الطفاية**» ص. 54 « طاولة كبيرة تزينها **زهريات** وتغطيها **صحون** » ص. 147... الخ.

3 ـ 3 كما تم تهجين المتن اللغوي للرواية ببعض الوحدات العامية المستمدة من لغات أجنبية:

أ ـ من الفرنسية : «خرجت من البنيقة حتى **البوسطة**» ص 36، «الكتاب مطبوع على **الماكينة**» ص 36، «أما ماشيا على الأقدام وإما **مستقلا كرويلة**» ص 45، «**يزاوج** بين القميص **والكَرفاتة**» ص 45 «أصحاب **الكارطة والضامة والبيرة**... وآلات **الفلبير**» ص.ص 76-77، «هي التي كانت تجيني **بالطاس**» ص 397، «كان الخلوقي **يعرف** بين تلاميذ ابتدائية الصديقية **بالجنرال**» ص 77، «**الكريز** بتعبير الشاوي ولد **الزنى الكوكتيل** المذكور» ص271، «لم تنس المعطف **والشال**» ص 147، «وأن الناس **يتسابقون** الى **التاكسيات**» ص 48، «**الصالة** الرئيسية ـ توقفت في كَراج مدفون في **الأرض**» ص 50. «نزع عمر ثيابه محتفظا بالتسبيقة **والكالسون**» ص. 46... الخ.

ب ـ من الاسبانية : «**بومبا أطوميكا ـ طوروس/ طوروس**». ص . 23.

ج ـ ومن الانجليزية : «يخرج منها مرة **ساندويتش بيض**» ص 22 «لن أسبح **أبدا بالسموكينغ**» ص 50. «قد تطورت بالبلاد الانجليزية كما تشهد بذلك أسماؤها : **فوتبول، هندبول، باسكتبول، تينس، غولف**... الخ ص.ص 175-176» هو «بطل **البيزبول** أو **الباسكتبول**» ص 177« فقالت خميطة **الماتش ثم أردفت**» ص 23.

بالإضافة إلى هذه الوحدات المتداولة بكثرة والمترسخة في حضن **المجتمع**، **إلى درجة** يصعب استبدالها بكلمات أخرى عربية، هناك **جمل وتعابير باللغة الإنجليزية**. **لكن** هذه المرة لا تتلفظ بها إلا شخصيات ملمة بشفراتها، ومتحكمة في ناصيتها **وهي** : شخصية الفتاة الأمريكية التي تعرف عليها سرحان لما كان بفرانسيسكو «**قطعت** كل علاقة مع أبي عندما اكتشفت أنه اشتغل مع الوكالة... **أي جيست هيت هيم**» ص357، وشخصية مستر بوكنان المخرج السينمائي الامريكي «وفتح فاه **وندرفول، تريفيك، استاوندينغ**» ص 152، وشخصية أغرام الذي تعلم الإنجليزية لما علم بمقدم الأمريكيين إلى المغرب، وأصبح لا يراسل مراسليه إلا بها : «**فري مورنينغ أي ريدتو بيجز فروم ذي**»... ص 36.

3-4 عملت الرواية على المتح من المتن اللغوي الشفهي متجنبة الغريب والمهجور من الألفاظ، ومستوعبة الألفاظ المشتركة بين الفصحى والعامية، والتي في مقدور جميع فئات القراء أن تفهمها دون عناء يذكر: «خزره الحارس ولم يقل شيئا» ص.31 - «سي موسى أنت هنا وشعيب يفتش عليك؟ عملة عملتها بقدك وقدرك غبرت كأن الارض بلعتك أو الشيطان خطفك من بين الحاضرين قل لي ما طرا لك؟» ص. 254. أوردنا هذين المثالين لبيان اعتماد الرواية على ألفاظ بين وبين؛ فكل لفظة من تلك الألفاظ إلا ولها المعنى نفسه في اللغتين: خزر - فتش - غبر - طرأ... الخ.

3 -5 في إطار الألفاظ المشتركة نفسها بين اللغتين، نلاحظ أن اللغة الدارجة، استطاعت تكييف بعض المسكوكات والمستنسخات اللغوية في تراكيبها، وهضم ما يتسرب إليها من الفصيحة. فإلى جانب مستنسخات الأدعية والاسترحام والترجع والتعزية والآذان والأذكار والتهنئات، نجد مستنسخات لغوية صماء وجامدة من كثرة استعمالها في مناسبات عديدة، والتي يعيد المتلفظ إنتاجها دون أن تكون له حرية التصرف فيها كما هو الشأن في التعابير العادية، وذلك حفاظاً على إيحاءاتها القوية: ودعه بحرارة، عنقه بحرارة، صباح الخير، أفراحنا دائما الحمد لله والشكر لله، أسلوب الديبلوماسيين الكبار، أنا عندي قول وقول، الله يكون في عونه، هذه الحالة تحمق العاقل، تنغصت عيشته.. الخ. فيما سبق تبين لنا أن اللغة الثالثة، على المستوى المعجمي هي عبارة عن تهجين قصدي للغات اجتماعية متعددة (انجليزية وفرنسية واسبانية وعربية فصيحة وعربية دارجة)، استطاعت أن تصهرها في بنياتها المنفتحة، وأن تجعل من تفاعلها معها مزية وخصيصة لها. وما يتحكم فى عملية التهجين هو قدرة الكلمات على التعبير الفني بغض النظر عن فصاحتها أو عاميتها أو أعجميتها، وتشخيصها أدبياً، ومقبوليتها داخل سوق لغوية على أساس قيمتها وقوة إيحائها.

3 ـ المستوى الصوتي :

إن الكتابة الروائية لا تسعف على إعطاء معطيات دقيقة ومتكاملة عن كيفية نطق شخوص معينة ببعض الحروف والكلمات. كما لا تسعف على تشخيص تغيرات وتبدلات النبرات الصوتية، وعلى الكشف عن البعد المستوياتي (يُقَوَّمُ فيه المتكلم بناء على مستواه الثقافي والاجتماعي وكذلك على مهارته وذكائه) والتضامني (يُقَوَّمُ فيه المتكلم على مدى قدرته على الانسجام مع المجتمع وتلقائيته وطبيعة تصرفه مع محيطه وكيفية تلفظه بالكلام (بخشونة أو بليونة، بنبرة رجولية أو أنثوية، بطريقة منفرة أو مثيرة... الخ))[12].

رغم رغبة عبد الله العروي في تمييز الشخوص، ليس فقط وَفْقَ لغاتهم الفردية، بل كذلك بحسب نبراتهم الصوتية وأشكال نطقهم، فلم يحقق من ذلك إلا العشرة في المائة، لأن الطباعة العربية لم تسعفه على تحقيق النسبة المتبقية[13].

3 ـ 1 ترتب على بعض الأغلاط المطبعية أو الأغلاط المتقصدة تحريفات صوتية ذات دلالة. فشعيب بدل أن ينطق أرسطو طاليس أسقط منها بعض الوحدات الصوتية الصغرى (الفونيمات) ونطقها رسطاليس إما لعدم تذكرها جيدا أو لثقلها على لسانه[14]، وبدل السين وضع الصاد في خرس « يتبايعون كأنهم خرص، تتكون الكلمات على شفاههم ولا تخرج الاصوات من حناجرهم » ص، 188. كأنه هكذا تعود على نطقها وسماعها. وبدل التاء وضع مكانها حرف الطاء في فعل تاق « لقد طاقت نفس مولانا إلى الجهاد » ص، 138 « طاقت نفسي للجهاد » ص، 137. ورغم وجود فعل طاق في اللغة العربية فهو لا يعني نفس ما يعنيه فعل تاق. فالفعل الأول متعد يعني القدرة على الشيء. أما الفعل الثاني وهو الملائم للسياق الوارد في النص، فهو فعل لازم يعني الاشتياق الى شيء ما. ونشير أنه ترتبت على الأغلاط المطبعية ـ وهي كثيرة ـ تحريفات صوتية، تصل في بعض الأحيان إلى حد الغرابة، وإلى حد

إحداث التعتعة أثناء التلفظ بها : « ثم يتكلم بإسهاب على **تكتكة** الروس » ص. 99 « رنَّ **الصرصار** فانفتح الباب كما لو كان مسيرا **اليكيرونيا** » ص 50 « **أنا جيت ببزمني** ص. 77 » . . . الخ.

3 ـ 2 نجد العدول عن بعض الأصوات وإحلال محلها أصواتاً أخرى، إما لتجسيد التثمين الاجتماعي في مادة صوتية(15). على نحو استبدال حرف الصاد في كلمة القصدير بالزاي « وراء السوق تمتد براريك **القزدير** بأزقتها » ص. 92، واستبدال حرف الضاد في فعل قبض بحرف الطاء « ما عندهم شي به **يقبطوا** ولا شي عليه يطلقوا. . . » ص. 362، وعدم التلفظ بالهمزة المثبتة في كثير من الكلمات كما هو معتاد في الاستعمال العامي (الراس، القايمة، نوكد له، حسبت بشي، فايدة، الفايتة، المايدة، المجاير، فطمينه. . . الخ)؛ وإما لتعليل الدليل، عدل شعيب عن الدليل المعتاد والمتداول بكثرة « الأسماء »، واستعمل دليلاً مهجوراً « الأسامي » « وأولاد البلد أساميهم مكتوبة عندك. . . » ص. 37. وبتقطيع الدليل الى وحدات صوتية دالة نحصل على الوحدات التالية : سام، السامي، أسامي، اسم، أسام، يسامي الخ. ومن خلالها تبين أن قائمة الأسماء التي يتوفر عليها أغرام تضم فقط الشخصيات المرموقة التي تحظى بالسمو والرفعة والفخر، وهذا ما يبحث عنه شعيب لإخراج فكرة تأسيس الفريق من القوة الى الفعل.

3 ـ 3 خضعت كثير من الكلمات الأعجمية الى تحريفات صوتية مقاومة لأي تصحيح أو تعديل، إنه رفض الأذن العنيد التقاط الشكل الصحيح المرفوض من طرف الذهن(16) لأنه هكذا تم التعود على سماعها ونطقها. حتى الفئات المثقفة لا تستطيع التخلص من تلك التحريفات رغم وعيها بخروجها وانزياحها عن الاستعمال الحقيقي والصائب : البيرة بدل une bierre، الكرويلة بدل la carriole، النمرة بدل le numéro، البوسطة بدل la poste، البوليس بدل la police، الكَرفاتة بدل la cravate، السكويلة بدل School. . . الخ.

نلاحظ أنه تم إثبات بعض الفونيمات كما تكتب لا كما تنطق كثومسون [الثاء بدل الطاء]، أو ثم التلفظ بكلمات كما تكتب بغض النظر عن كتابتها كمسيو (Monsieur)، أو ثم التلفظ بالكاسعة، on في كلمتي capitulation (كابيتولاسيون) و nylon (نيلون)، خلافا لنطق الكاسعتين في اللغة الفرنسية [د capitylasj] [د nil].

وتم تجاوز لثغة اللغة الفرنسية باستيدال الغين راء: على نحو الكَراج، البيرة ، النمرة. . . الخ.

إن كتابة اللغات الأعجمية خضعت إلى تحريفات صوتية في كثير من الفونيمات: فبدل حرف [V] في Villa و Evry، ثم إقرار حرف الفاء في موضعه (فيلا وإفري). وبدل حرف [dz] في page، وضع مكانه حرف الجيم والزاي (بيجز)، وبدل حرف [P] في Poste و Page وضع مكانه حرف الباء (البوسطة والبيجز)، وبدل الفونيم [⧗] في Wonderiful تم استبداله بحرف الراء (وندرفول)، وبدل [ch] في la machine تم وضع الكاف الماكينة (الآلة الراقنة)، أما اذا احتفظ بالفونيم الأصلي في الكلمة، فيُعنى بها القطار (الماشينة).

إذا قمنا باستقراء المستويات التركيبية والمعجمية والصوتية للغة الثالثة في محاولة استخلاص الإيحاءات الطبقية والإقليمية منها، نلاحظ ما يلي :

أ ـ على المستوى التركيبي : باستثناء بعض التراكيب ذات إيحاءيات إقليمية (الشاوية ودكالة) « جاني الوكيل » ص. 368، « أنا صحيح ماني فاني » ص. 321، « البنت اللي كانت تجيني بالطاس »؛ فإن أغلب التراكيب متداولة في الأقاليم المغربية جلها.

ب ـ على المستوى المعجمي باستثناء بعض الوحدات المتداولة فقط في بعض المدن (سلا ، مراكش، الجديدة) : « كخنقطيرة » و« الطاس » « والماشينة »، فإن أغلب

الوحدات («عقروشة» و«تقصيرة» و«الكانبو» و«الهيدورة» و«المقراج»... الخ) رائجة وشائعة في ربوع المغرب.

ت ـ على المستوى الصوتي لاحظنا بإن الكتابة الروائية لا تعف كثيرا على جسدنة التثمينات الاجتماعية والأصباغ المحلية في المادة الصوتية، فهي استثمرت بعض التحريفات الصوتية الشائعة في ربوع المغرب دون أن تحصر اهتمامها حول التحريفات والنبرات الصوتية المميزة لمنطقة أو لشخصية ما. على العموم نجمل أن اللغة الثالثة تعتمد على المتفق عليه من التراكيب والوحدات المعجمية، وتقوم على وسطية الرؤية: من جهة تعمل على تبسيط اللغة الفصحى مبتعدة عن الكلمات المهجورة والمستغلقة على الفهم. ومن جهة أخرى تعمل على إدخال بعض الوحدات العامية (أغلبها تكون مفهومة وقريبة من معجم اللغة الفصيحة: «غوبش» و«جلاليب» و«التأصيلة» و«يتقابح» و«السما» و«ثعبان»... الخ.) في التركيب العام للنص الروائي ليس على أساس عاميتها، بل على أساس شحناتها الدالية الخاصة، وإيحاءاتها القوية، وإمكاناتها للتعبير والتبليغ والتشخيص في مقامات وسياقات مُعَيَّنة. إنها لغة إجتماعية غير مرتبطة بطبقة أو فئة اجتماعية سيميائية محددة، لأنها منفتحة على الخصائص المعجمية والتركيبية خاصةً المستعملة من طرف معظم الفئات الاجتماعية ـ السيميائية (Socio- sémiotiques) .

الهوامش :

(1) - تسمى كذلك باللغة الفصعامية أو اللغة الديموقراطية أو اللغة المتوسطة أو اللغة الوسط... الخ.
(2) - محمد برادة : «الفريق رواية اللغة المشخصة»، الملحق الثقافي للاتحاد الاشتراكي، العدد 152، 1986.
(3) - فتوح أحمد : «لغة الحوار الروائي» الفصول، م2، عدد 2 .1982، العمود 1، ص .90.
(4) - ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الأمان، ط 2، 1987، ص 90.
(5) - محمد الرحال : «ظاهرة العطف في اللغة العربية». في : وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، منشورات عكاظ، 1987، ص 136.
(6) - علي الجارم ومصطفى أمين : «الفصل والوصل». البلاغة الواضحة، دار المعارف، لبنان، 1979 ص. 280.
(7) - د. عبد القادر الفاسي الفهري : اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال. ط. 2. 1975 ص. 172.
(8) - المرجع نفسه ص. 128.
(9) - فهي ألفاظ أعجمية مشهورة حلت محل الفاظ عربية منسية أو مجهولة، فكلمة الصندوق يونانية تعني الصوان... الخ، انظر أحمد عبد الرحمان حماد «المستعار من اللغات الأخرى». في: عوامل التطور اللغوي، دار الأندلس، ط. 1، 1983. ص.ص. 101L85.
(10) - د. صبحي الصالح: «تعريب الدخيل»، في : دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين. بيروت، ط .5. 1975. ص .112.
(11) - ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة م-س-ذ .ص. 110.
(12) - انظر مومين محمد الامين : «مواقف الناطقين بالغربية المغربية تجاه اللهجة البيضاوية» - في : وقائع الندوة... م-س-ذ-ص.. 339.
(13) - انظر عبد الله العروي : «الأفق الروائي»، في : الكرمل العدد 11، 1984. ص 177.
(14) - يرى الأنباري في شرح المقامات : «كثير ما تغير العرب الأسماء الأعجمية إذا استعملتها»، دون أن يدخل في التفاصيل - انظر احمد عبد الرحمان حمادة عوامل التطور اللغوي م-س-ذ، ص. 101.
(15) - Tzevetan Todorov : Mikhaïl Bakhtine: le principe dialogique, éd. Seuil, 1981, p.381.
(16) - Gérard Genette: "Proust et le langage indirect" in Figure II,Seuil, 1969, p.228.

الفصل السادس

إيحاءات اسم العلم

تقديم :

هناك مجالات متعددة تهتم بموضوع اسم العلم، وكل مجال يعالجه من زاويته الخاصة. سنعرض، بعجالة، لأهم تلك المجالات (المنطقية والتداولية والسيميائية)، لبيان مكامن الاختلاف في مقارباتها، وإظهار كذلك ما يتمتع به اسم العلم من غنى وسعة في عناصره ومكوناته. وفي آخر هذا المهاد سنعرض وجهة نظرنا - المتمشية مع الاتجاه الاجتماعي السيميائي - لمقاربة دليل اسم العلم، ثم نخصص حيزا لتحليل اسم العلم في رواية **الفريق**، وإبراز ما يستتبعه من دلالات ذات مرجعيات وشفرات متباينة.

1 - المقاربة المنطقية :

اهتم كثير من المناطقة (فريج Frege، إنجيل Engel، دونلان **Donnellan**، كريبك Kripke ... الخ) باسم العلم، قبل أن يهتم به الألسنيون. سنتطرق فقط لوجهة نظر كريبك وهي كافية لإعطائنا صورة شاملة عن المعالجة المنطقية لاسم العلم. تنتقد نظرية كريبك النظرية الوصفية للمرجع (فريج وإنجيل) التي ترى بأن «معنى اسم العلم هو مشكل من وصف محدد للشكل» أو من «جملة من الأوصاف للشكل». وحجة كريبك في ذلك هي أن اسم العلم لا يمكن أن يتشابه مع المواصفات المحددة، لأنه يعين الفرد نفسه في جميع العوالم الممكنة[1]. كما أنه مجرد من المعنى ومن الإيحاء. لا يهم اسم مدينة بما يوحي به من تجارب اجتماعية ومعاناة نفسية، بقدر ما تهم المواصفات الخاصة والمميزة تحيل على المدينة/المرجع. وينتقد كريبك

كذلك تحديد اسم العلم حسب المرجع الذي يحيل عليه (اسم نابليون بونابارت يعني الامبراطور الفرنسي الذي انهزم في معركة واترلوا)، وذلك لأن مرجعا واحدا قد يكون له أكثر من اسم واحد. هناك كوكب يظهر في الصباح يطلق عليه Hesperus ولما يظهر في المساء يطلق عليه Phosphorus. يهتم كريبك بالبحث عما إذا كان هناك شيء (أرسطو) يستجيب للخصائص التي تقترن باسمه[2].

دفعه هذا التساؤل للإقرار بأهمية الخصائص المحتملة والضرورية، أي الخصائص الجوهرية والمتكافئة مع مشكلة الهوية عبر جميع العوالم الممكنة[3]. فعندما يتم التلفظ باسم انشتاين، أول ما يتبادر إلى الذهن هو أنه صاحب نظرية النسبية (نحن إذن أمام اسم وصفة، قد تكون شبكة من أوصاف). فإذا كان هذا الوصف لا ينطبق إلا عليه ويستحيل أن نجد انسانا في عالم آخر ينازعه فيه، فإن كريبك يعتبره وصفا دقيقا. فالوصف هنا له طابع تمييزي ويصلح لتحديد المرجع والإشارة إلى الرجل الذي يرغب في الإحالة عليه[4]. وتتخذ الدقة عند كريبك شكلين: يعتبر اسم العلم من جهة معينا إشاريا دقيقا، في نطاق أنه يحافظ على الإحالة الدائمة والثابتة على فرد محدد، رغم جميع التبدلات الزمكانية والشخصية؛ ويعتبر من جهة أخرى معينا صيغيا دقيقا يضمن الاستمرارية بين العالم الواقعي وبين مختلف العوالم الممكنة للدلالة الجهية[5].

2 ـ المقاربة التداولية :

يعتبر فعل التسمية طقسا من طقوس المرور، تتحكم فيه جملة من الشروط الاجتماعية والنفسية. وهو فعل يزيح اسم العلم من مستوى الاعتباطية (العلاقة بين الدال والمدلول غير معللة) إلى مستوى القرابة الدلالية الطبيعية (العلاقة بينهما معللة). ويمكن أن تنضاف إلى الاسم الأول أسماء أخرى لا تقل عنه تعليلا، لأن أي اسم لا يطلق على عواهنه وبطريقة تعسفية، بل يطلق لأن هناك مبررات سياقية أو شخصية تمليه. عرف مثلا الخليفة الأول في التاريخ بأسماء كثيرة: أشهرها الصديق

كان يتولى أمر الديات وينوب فيها عن قريش قبل مجيء الإسلام. فما تولاه من هذه الديات صدقته قريش فيه وقبلته، وما تولاه غَيْره خذلته وتردد في قبوله وإمضائه؛ والعتيق لجمال وجهه، من العتاقة وهي الجودة في كل شيء: وقيل من العتق، لأن أمه لم يكن يعيش لها ولد فاستقبلت به الكعبة وقالت: اللهم أن هذا عتيقك من النار فهبه لي. فعاش فعرف باسم عتيق، وعبد الكعبة في الجاهلية، ثم عبد الله في الإسلام[6].

يؤمن كريبك كذلك بالنظرية السببية التي تولي أهمية قصوى للشروط الحقيقية، وكذا كل الشروط السياقية والاختبارية التي تفرض اسما دون آخر (أسماء المعمودية مثلا). أما إنجيل الذي تبنى النظرية الوصفية الاسمية فهو رغم إقراره «بأن المعنى الدالي الأدنى ضروري للوظائف التداولية في اللغة الطبيعية»[7]، فهو يقصي الفعل الأولي للتسمية من اهتماماته وانشغالاته الفكرية، ليهتم فقط باستعمالات الأسماء اللغوية. حدد جون ملينو Jean Molino أربع نقاط جوهرية في المقاربة التداولية لاسم العلم:

1 – إقامة تطابق بين اسم العلم وبين الفرد، يأخذ ذلك التطابق شكلين:

أ) أقدم لمن أتحاور معه اسم فرد يراه أو أضطر لوصف مرجعه (أقدم لك علي)،

ب) أبين له التطابق الحاصل بين فرد واسم معروف عنده (هذا هو محمد الذي يكتب القصص العجائبية).

2 – الاستعمال المرجعي والعادي لاسم العلم (جاء علي).

3 – اسم المعمودية (أسميك رونيه)، وهو يحيل على فعل اجتماعي في المقام الأول، وعلى عقدة مشيدة على فعل الإنجاز (أسميك / أطلق عليك - أناديك... الخ). فلما نسمع اسم رونيه، فإننا نستحضر الطقس الديني الذي أطره وطبعه بطابع تداولي خاص. يقترن الاسم عند عامة المسلمين بالذبيحة والاحتفال بالعقيقة في يوم أسبوع المولود (السابع)، ولا غرو أن نجد من يحمل اسمين، اسم معروف به داخل

أسرته واسم آخر مثبت في الحالة المدنية؛ وذلك لأنه في لحظة التسمية تم ذبح شاتين، كل واحدة منهما عللت اسما منهما.

4 ـ الاستعمال الصوتي يطلق عليه كرانجر G. Granger «المناداة»، ويرى مولينو أنه في هذا الفعل اللغوي، تتجلى الخاصية السيميائية لاسم العلم «علي! تجنب المشاجرة»[8].

يتضمن كتاب «الفكر المتوحش» للفي شتراوس Levi-Strauss إشارات تداولية دقيقة حول اسم العلم. يرى بأنه يصلح للتعيين والتصنيف والدلالة:

ـ على مستوى التعيين تظهر «شروط ضرورة اسم العلم»، ولا يمكن التحدث عن أي فرد إلا بعد تعيين وتحديد اسمه. وقبل معرفته يضطر المرء إلى تمييزه عن غيره بمواصفات (أعراض حسب محمد مفتاح).

ـ على مستوى التصنيف، يلاحظ شتراوس أن التسمية تخضع لمبادرة المسمي (كمر ما قبل الآخر). فهو الذي يختار من بين الأسماء المنظمة والمنسقة تقريبا اسما ملائما ودالا. فالأسماء ـ على عكس الأنواع الطبيعية ـ لا تخضع لصنافة تراتبية، بل هي صناف مستقلة ومتنوعة لا تصلح إلا لإثراء تعريفها الاجتماعي.

ـ على المستوى الدلالي يجب مراعاة شروط تلفظ اسم العلم وتلقيه والمستوى المحايد لوجوده، وهذا يتطلب معاينته في عين المكان[9].

هناك نظريات تداولية أخرى نذكر منها على الخصوص، نظرية إفان Evans وفاندلر Vendler. تقوم نظرية إفان على خاصيتين جوهريتين: 1) تتحدد اصطلاحية اسم العلم بمقصدية المتكلمين للإحالة على كيان، فيضطرون إلى استعماله. 2) إن الموضوع الذي يحيل عليه المتكلم هو الذي تنطبق عليه مجمل المواصفات. ترتكز علاقة السببية عند إفان بين حالات وأنشطة فلان من جهة، وبين جماع الأخبار والمعلومات التي يتوفر عليها المتكلم عنه من جهة ثانية[10].

إن الإحالة على مرجع - حسب فاندلر - تقوم حسب طبيعة علاقتنا الذهنية به. يميز نوعين من الذاكرة : ذاكرة التجربة التي تجعل الذات في احتكاك مباشر مع الأشياء (يسميها تشخيص اليد الأولى)، ثم ذاكرة لغوية تفرض على المتكلم معارف إضافية على معارفه المباشرة (يسميها تشخيص اليد الثانية)، وتحفزه على استخدام اللغة إن هو أراد تشخيص الأشياء المرجعية. يضيف فاندلر نوعا ثالثا من التشخيص يسميه خارج اليد : يعبر هذا النوع عن وصف علائقي (قاتل فلان)، ويضيف عز العرب بناني بأنه يعبر كذلك عن أسماء العلم الأسطورية « يمكن لي أن أتخيل شيرلوك هولمز، ويمكن أن أتخيل هويته؛ وذلك لأن لي فكرة عنه ليس باعتباره إنسانا آليا، بل مخلوقا بشريا، وبهذا العمل أكون متوافقا مع تشخيص موجود مسبقا عن الفرد »[11].

3 - المقاربة السيميائية :

قدمت اللسانيات للتحليل السيميائي المفاهيم القاعدية والجوهرية لمقاربة الدليل (وهذا هو السبب الذي جعل بارت يعتبر السيميائيات فرعا من اللسانيات قالبا بذلك معادلة سوسور). وإذا كان قد تبني التصور الألسني حول اعتباطيته فهو لم يسحب ذلك على اسم العلم لأن العلاقة بين الدال والمدلول تكون معللة. يرى بارت في هذا الصدد أن هناك « قرابة طبيعية » بين الطرفين، وأنه كلما تعلق الأمر باسم العلم، فهو يحيل على نسق معلل مبني على أسس علاقة المحاكاة وبهذا العمل يكون بارت قد دعم الاتجاه الكراتلي (نسبة إلي كراتيل)، الذي كان يرى أن خاصية الاسم تكمن في تشخيص الشيء كما هو[12]. يؤكد جنيت طرح بارت معتبرا العلاقة التي يقيمها بروست بين طرفي دليل اسم العلم، علاقة فعالة تحدد الحالة الشعرية للغة ويطلق على تعليل الدليل « الوهم الدلالي »[13]. وقبل الإشارة إلى بعض لتصورات السيميائية حول اسم العلم، ارتأينا الإحالة على التراث العربي الحافل بكثير من القضايا الدالة وذات أهمية ابستمولوجية، تحتاج فقط إلى من يتمثلها ويعيد النظر فيها حسب ما يمليه منطق العصر ومتطلبات الكونية. وبما أن المجال هنا لا يتسع لجرد

كل المحاولات التراثية العربية لفهم اسم العلم، فإننا سنقتصر فقط على محاولتين جريئتين. واحدة تخص النحو العربي والأخرى تتعلق بكتاب **الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة** لجلال الدين السيوطي. وما حفزنا على إدراجهما ضمن المقاربات السيميائية هو أن تحليلهما ينصب على الجانب الدلالي لدليل اسم العلم، ويقر بطريقة ضمنية بالعلاقة المعللة بين الاسم وما يدل عليه.

أفرد النحو العربي بابا للعلمية[14]، اعتبر فيه اسم العلم هو الاسم الذي يعين مسماه مطلقا بلا قيد في التكلم أو الخطاب أو الغيبية، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: اسم وكنية ولقب. والمراد بالاسم هنا ما ليس بكنية ولا لقب كزيد وعمر، وبالكنية ما كان في أوله أب أو أم كأبي عبد الله، وباللقب ما شعر بمدح كزين العابدين أو ذم كأنف الناقة. وينقسم كذلك إلى مرتجل ومنقول : فالمرتجل هو ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها كسعاد وأدد، والمنقول : ما سبق له استعمال في غير العلمية والنقل إما من صفة كحارث أو من مصدر كفضل أو من اسم جنس كأسد. وما يسترعي الانتباه أن بعض النحويين العرب القدامى اهتموا بالجانب الدلالي لاسم العلم، وصنفوه حسب نوعية الدلالة التي ينتسب إليها: فاسم الفضل يدرج ضمن دلالة المطابقة التي تعني « دلالة اللفظ الكلي على مجموع المقومات التي تؤلف الذات أو الكنه » .[15] وهو في الأصل مصدر ولا دلالة له إلا على الحدث وهو الوصف، واسم الحارث يدرج ضمن دلالة التضمن « دلالته على بعض المقومات لا كلها »[16] وهو اسم فاعل يدل على الذات والوصف، واسم النعمان يصنف ضمن دلالة الالتزام التي تتناول « لفظة ما على لازم مفهومها غير المقوم به »[17] فهو موضوع للدم، والحمرة لازمة له[18]. كما نجد ربط اسم العلم بالمقومات (خاصة الأعراض بتعبير محمد مفتاح) التي تميز انسانا عن آخر « علم الشخص فهو اللفظ الذي وضع للذات مع جميع مشخصاتها التي يتميز بها عن جميع ماعداها من الذوات. نحو محمد وعلي وأبي بكر... مع الصفات التي تتميز بها هذه الذات : من طول أو قصر وبياض أو سمرة... »[19].

انصب اهتمام السيوطي في كتاب **الرياض الانيقة في شرح أسماء خير الخليفة** على إبراز أن كثره الأسماء تدل على عظم المسمى ورفعته وذلك للعناية به وبشأنه[21]. وما يهمنا من الكتاب : أ) تضمنه لبعض النفحات التداولية «لما ولد النبي عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له : يا أبا الحارث ما حملك على أن سميته محمدا، ولم تسمه باسم آبائه فقال : أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض». ب) استثماره لدلالة الصيغ النحوية واشتقاقاتها؛ «المفضل صيغة مبالغة الإفضال وهو الجود والكرم، المصطفى مشتقة من الاصطفاء الذي يعني الاختيار من الصفوة وهي الخلاصة، المختار إسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء...» ت) تضمنه لإحالات تناصية على القرآن : فاسم الراضي يجد صداه في القرآن «فسوف يعطيك ربك فترضى»، واسم النور مقتبس هو الآخر منه «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين». ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن الأسماء التالية : الهادي والمهدي واليتيم والطاهر والزكي... الخ.

من أهم الدراسات السيميائية التي تناولت دليل اسم العلم نذكر عملين : **سميولوجية الشخصيات الروائية** لفليب هامون Ph. Hamon [22]، وبلزاك : **سميولوجية الشخصية الروائية** لرولان لو هونين وبول برون R. Le Huenen et P. Perron [23].

1 ـ انتقد فليب هامون مَنْ يخلط بين الشخصية والشخص، ويتحدث عن الشخصية الروائية كما لو كانت كائناً من لحم ودم، وينعت عمله بأنه مجرد اقتراح لنظرية الشخصية خاصة وأن السيميائية لا زالت في طور التأسيس والبداية. وتعامل فليب هامون مع الشخصية بطريقة منهجية يهمنا منها ما يتعلق بوجهي دليلها (دال الشخصية ومدلولها).

أ ـ مدلول الشخصية : إن الشخصية وحدة دلالية، باعتبارها مدلولا لا متواصلا، وهي بمثابة شكل فارغ تقوم المحمولات المختلفة بملئها (الأفعال والصفات). إن ظهور اسم العلم (نستثني الأسماء التاريخية التي تكون دائرة فعلها مفترضة، ويكون دورها داخل الحكاية أمرا متوقعا) في النص الروائي يخلق نوعا من البياض

الدلالي، لكن بمجرد التقدم في القراءة تتراكم وحداته الدلالية، ويمتلىء تدريجيا. ولا يمتلىء كلية إلا في آخر صفحة «حيث تتم مجمل التحولات المتنوعة التي كانت هذه الشخصية فاعلا فيها وسندا لها»[24].

يكمن المشكل الرئيسي للتحليل في استخلاص وفرز وتصنيف المحاور الدلالية التي تسمح ببنينة السمة الخاصة بكل شخصية، كما تسمح ببنينة مجموع النسق[25].

ب - **دال الشخصية** : يتم تشخيص الشخصية في بنية النص من خلال دال لا متواصل أي مجموعة متناثرة من السمات، ابتداء من العناصر الأكثر اقتصادية (الإشارات) إلى الأكثر غنى (الصورة، الوصف)، مرورا باسم العلم (الاسم، اللقب، الكنية). يملك الكاتب القدرة على تعليل سمة شخصياته ويكون هذا «التعليل مبني حسب قيمة الشخصية أي حسب مجموع الأخبار التي تعد هذه الشخصية سندا لها على طول الحكاية، إنها أخبار تبنى بشكل استعادي[26]. يلعب التعليل على الطرق التالية: 1 ـ بصرية (مرتبطة بالقدرات الطباعية للغة المكتوبة)، 2 ـ سمعية (إنها الأصوات المحاكية بحصر المعنى)، 3 ـ تمفصلية (يتم الحصول عليها من خلال حركة تمفصلية خاصة للأعضاء الكلامية)، 4 ـ صرفية (تتم من خلال بناء أسماء العلم وفق أساليب اشتقاقية واعتيادية).

2 ـ اهتم رولان هونين وبول برون[27] بالجانب التطبيقي، واختارا كمتن رواية **أوجيني كراندي** لبلزاك. وما يهمنا من هذا الكتاب هو مقاربته لدال الشخصية انطلاقا من ثلاثة محاور كبرى:

1 - المستوى الإشاري : يطلق هذا المستوى على كل «تسمية تعيِّن المرجع بطريقة أكثر اقتصادية وتواترا وبالتالي أقل تميزا»[28]، ويتضمن البعد الاجتماعي للتسمية «كل تسمية خاضعة بطريقة ما للسياق الاجتماعي»[29]، ومُقعَّدة وفق القيم الاجتماعية للنظام السائد»[30]

2 – المستوى الإسنادي : تأخذ التسمية في هذا المستوى شكل وحدة معجمية أو مركب مقتضب يستتبع حكم المتكلم معه (أو عنه) Délocuteur . إذا كانت التسمية في المستوى الأول تلعب وظيفة إشارية، فهي هنا تلعب وظيفة تعبيرية .

3 – المستوى الإسنادي الإجتماعي : يطبع هذا المستوى الرواية بطابع اجتماعي، ويمتح كثيرا من التمييزات ذات النظام العائلي والأبوي والمهني والطبقي من المجتمع الخارجي عن النص. والوظيفة التي تلائم هذا المستوى هي الوظيفة المرجعية التي تمفصل النص حسب تشفير ثقافي وأكسيولوجي[31] . رغم أننا حاولنا إيجاز هذا المهاد، فإننا لم نتمكن بسبب شعورنا بإجحاف حيال بعض الدراسات الهامة التي تناولت وقاربت اسم العلم من المنظور السيميائي. سنشير إليها بعجالة وبإيجاز شديدين. لا يختلف جون ميلي Jean Milly [32] مع بارت وجنيت حول الترابط المعلل بين الدال والمدلول، وحول توفر الروائي بروست على وعي كراتيلي بالأدلة وبالوظيفة الشعرية لأسماء الأعلام. اهتم ميلي في دراسته بالمماثلات الصوتية والتداعيات المعجمية والاشتقاقية والتصحيف والتجنيس والتقفية. يرى رونيه ديموريس René Démoris [33] أن اختيار أسماء الأعلام لا يكون نتيجة الصدفة، بل يكون نتيجة وعي بجمالية الطبيعي ومحتمل الوقوع ؛ وأنه يتوجب معاينة الدلالة المرفوضة والمكبوتة التي مكنته بطريقة لا واعية مِنْ اختيار اسم ما. وذلك بدراسة التداعيات المولدة من أسماء الأعلام والسلالات التي ينتمي إليها سواء من خلال الصوت أو المعنى[34] . ركز ديموريس على ما تتوفر عليه تلك الأسماء من طاقات صوتية دالة ومنسجمة مع كثير من موضوعات النص الروائي ككل، محاولا أن يستخلص منها منطقا توليديا (الصوامت المتكررة) أو معاني سرية (اللاوعي) أو جلية (الوعي) .

يؤكد محمد مفتاح ظاهرة الانتقال بأسماء الأعلام من الاعتباطية إلى المقصدية لتصبح لها قيمة رمزية. كما أكد أهمية الاشتقاق في تحديد الأعلام. ولرفع الالتباس عن بعض الأشخاص الذين يحملون الاسم نفسه، عمد إلى التحليل المقومي sé-mique.

أ - مقومات جوهرية أو ملاصقة، وهذه تكون في جنس الانسان.

ب - مقومات عرضية وقد تصبح جوهرية مثل الكنية واللقب.

ج - أعراض تفرق بين إنسان وإنسان تسعف على التميز بين أسماء الأعلام الواردة في قصيدة ابن عبدون الرائية[35]. رغم تأكيد حسن بحراوي على المقصدية التي تضبط اختيار المؤلف لاسم الشخصية، فهو لم يساير السيميائيين في تعليل الدليل «فالاسم الشخصي علامة لغوية بامتياز، إذن فهو يتحدد بكونه اعتباطيا»[36]. وانصب اهتمامه على الجرد الإحصائي لتوزيع الأسماء، ورصد نسبة تواترها وترددها في المتن الروائي المغربي. إن المعيار الذي اتخذه حسن بحراوي في دراسته لاسم الشخصية، هو معيار كمي وإحصائي. وإن كان قد مكنه من أخذ فكرة شاملة عن كيفية تواتر الأسماء وتوزيعها عبر جملة من الروايات المغربية، فهو لم يمكنه من النفاذ إلى متضمنات دليل اسم الشخصية وإيحاءاته الرمزية.

4 - ما سنقوم به في هذا الفصل لا يخرج عن المقاربة السيميائية باعتبار اسم العلم دليلا لغويا، يترابط طرفاه (الدال هو عبارة عن مجموعة من الأصوات والإشارات) والمدلول هو عبارة عن «معنى» أو «قيمة الشخصية») في علاقة جدلية وطبيعية ومعللة. فليست الشخصية الروائية شيئا آخر سوى أنها مجموعة من الكلمات واصطلاح و«لعبة أدبية». تشدد فرنسواز فان روسم كيون Françoise Van Rossum Guyon على اعتبار الشخصيات كلمات تحيل على شيء آخر، وتمكننا من فهم ومعرفة كل أنواع البشر الذين ماتوا أو ما زالوا على قيد الحياة[37]. إننا كذلك نشدد على البعد اللغوي للدليل وذلك انطلاقا من مساهمته في إغناء

التعدد الصوتي واللغوي والدلالي في الرواية. لذا ستنصب مقاربتنا على اعتباره نسقا من الدلالات الرمزية والإيحائية والشفرات المنظمة في تداعيات مبنية، أو محددا أساسيا لاتخاذ المتكلم موقفا من المتكلم معه (إذا كان حاضرا) أو عنه (إذا كان غائبا)، ولإقامة صنافات وتراتبيات تمفصل النص حسب تشفير ثقافي وأكسيولوجي.

1 ـ رمزية اسم العلم.

ليس اختيار اسم العلم اعتباطيا، بل هو مبني على أسس جمالية وإيديولوجية ولسانية ومنطقية[38]. لذا يتوجب التعامل معه كأنه صادر عن خلفية فكرية مسبقة والتوقف عند وضعه الاعتباري داخل النص الروائي لتفكيكه واستقراء مكوناته الصوتية والدلالية، ولبيان المقصدية المتحكمة فيه التي جعلت له قيمة رمزية. إذا كنا قد تحدثنا عن المتكلم وكلامه، فإننا هنا سنتحدث ـ بتعبير رونيه ديموريس ـ عن الكلمة «المتكلمة» والمفصحة عن أسرارها وألغازها.

شعيب : يمكن من باب التجوز (لأن الأصل في التصغير أن يكون في الأسماء المعربة الخالية من صيغ التصغير وشبهها) أن نقيسه على صيغة فعيل، وهي تصغير للاسم الثلاثي الأصول والمجرد. فشعيب هو تصغير للشعب واختزال لسلوكه وعقليته: الإيمان القوي بعلاقة القرابة والدم، والإلحاح على الرجوع إلى الأصل، والانخراط في المشاريع التقليدية لتبديد هول الفراغ الاجتماعي، والمعاناة من المشاكل الاجتماعية والعائلية المزمنة... الخ. وإذا استقرأنا معاني الشعب نجد مفهم Séméme "الصدع" أو "التفرقة". وهو ما يمكن استخلاصه من المادتين الصوتيتين (شع التي يتولد منها الشعاع ويعني المتفرق من الشيء): لما عاد شعيب إلى بلدته كون فريقا جديدا ينافس الفريق القديم، مما ترتبت عليه تفرقة بين أنصار الفريق الجديد (بعض «الأفاقيين» وسكان مدينة الصديقية) وأنصار الفريق القديم (السلطة)، كما أن

شعيب أصبح في نظر المسؤولين مصدرا للتفرقة والفتنة، وفي نظر بعض الحداثيين (خاصة صاحب الرسالة المجهول الهوية) مصدرا للعصبية والشقاق والتنابذ، وبعث القديم من مرقده، وتمزيق الأكفان التي احتوته قرونا طويلة.

إذا قمنا بتصحيف شعيب بوضع نقطة على العين نحصل على شغيب، وهو تصغير لكلمة الشغب، يراد به تعظيم شأنه وتضخيم خطورته. والشغب يمثل الموضوعة التي اتهم بها شعيب إثر الأحداث الخطيرة التي عرفها الملعب الشرفي، وشعيب لا يرى أنه مارس شُغَيْباً بل مارس حقه في الجهاد.

سرحان : هو اسم مستعار مطابق لمدلوله. فبما أن شخصية سرحان كانت تتسم بشرود الفكر أطلق عليها اسم يلائم حالتها الذهنية «الحقيقة أن زميلي المصري كان يقول لي دائما أنت سرحان... يتكلم الساعات وأنا واجم... يظن أني أتصنع فسماني سرحان» ص.148. كما أنه اسم يلائم عدم استقرار شخصية سرحان في مكان ما، وتجوالها في بلدان عديدة، وتنقلها عبر أصقاع مختلفة «اللي ساح في الدنيا وعاد لبلده في ذهنه ما يونسه... أنا سرحت وهو سرح ممكن نتفاهم» ص. 143. اسم سرحان يعني في كلا الحالين عدم الاستقرار النفسي وعدم الارتياح الذهني. وهو مصاغ على وزن فعلان وهي صفة مشبهة باسم الفاعل من مصدر الفعل الثلاثي اللازم (سرح) للدلالة على المعنى المجرد من صفة. وتدل صيغة فعلان عند النحويين على خلو وامتلاء من الصفات التي تطرأ وتزول ببطء. فصفة السرحان الفكرية لا تدوم طويلا تحدث لبضعة دقائق أو ثوان ثم يعود المصاب بها إلى رشده للتنبه إلى ما يقوله المتحاور معه، (فنلاحظ عدم شرود باله لما كان يتحاور مع الخلوقي يدقق النظر في كل سؤال ويتنبه لكل هفوة أو فلتة لسان). كما أن صفة السرحان عبر أصقاع الدنيا دامت لفترة زمنية وحان الوقت لتزول، لذلك اختارت شخصية سرحان المكوث بمدينة الصديقية للتسلية والاسترواح. وبين سرحان والاسترواح علاقة جناسية يتشابهان في تأليف الحروف ويختلفان في أداء المعنى، كما يحيلان على نمطين من حياة شخصية سرحان وطبيعتهما : حياة قوامها التنقل والتحرك وما

يصاحبها من تعب ومشقة، وحياة هامدة ورتيبة؛ اختارتها شخصية سرحان طلباً للراحة لكن سرعان ما شعرت فيها بتأزم وضيق نفسين.

إن اسما شفافا من نوع سرحان، يشتغل بوصفه تكثيفاً لبرامج سردية تسبق أو تصور بشكل قبلي قدر الشخصيات التي تحملها[39]. ويمكن تقطيعه على الشكل التالي سر + حان. وفعلا منذ أن ظهرت شخصية سرحان على مسرح الأحداث، وهي تقوم بأدوار معينة، وتحمل معها أسرارا ملغزة ومعتمة ظلت محيرة إلى نهاية الرواية. وهذا هو السبب الذي جعل السلطة تتخوف منه وتترصده بدقة «جانا رجل عمرنا ما سمعنا به» ص.190 «ما هو قانون عقلية غريبة عنا» ص. 143. «أما سرحان فظاهره كباطنه حسب التحريات» ص. 305. وبقيت كثير من الأشياء مكتمة وغامضة عنه. ما اسمه الحقيقي؟ لماذا اختار الاستقرار في الصديقية؟ ما السر في تناقضاته مع نفسه : يحكم على مشروع شعيب بأنه تقليدي، ومع ذلك يساهم فيه! يقرر الزواج بذات الاسمين ثم سرعان ما يتراجع عن قراره! يسخر من فكر أمثال الشيخ العوني ومع ذلك يلح على زيارته ومحاورته!... الخ. يمكن تصحيف سرحان إلى سرحان (كسر الحرف الأول ـ الذئب)، بحيث يتشاكل معه في المقومين العارضين التاليين [+ الحذر] و[+ الذكاء]. تمكن بهما من تحقيق بعض أهدافه : الاتصال بالشيخ العوني، وتدعيم فكرة تنظيم مهرجان العيطة، وترسيخ العلاقات مع أبناء الصديقية، والانفلات من قبضة السلطة التي كانت تبحث عن تلفيق تهمة له للتخلص من حضوره المخيف بالصديقية (قبضت عليه ثم **سرحته**).

الخلوقي : هو اسم مزيد في آخره ياء مشددة بعد كسر، ليدل على نسبته إلى المجرد منها، وهو منسوب إلى الخلوق التي يمكن استخراج واشتقاق منها خلوق (فعول) الدالة على صيغة المبالغة في الخلق. لكن لما نستقرىء أخلاق الخلوقي نجدها تتمفصل حسب مظهري الكينونة والظهور. فهو على مستوى الظهور يبدو متفهما لمشاكل الوافدين عليه من أبناء الصديقة، يستقبلهم في منزله ويساعدهم على حل مشاكلهم «كلما طرق مكتبه أحد من أولاد البلد خرج إليه مرحبا وقضى حاجته بعد

أن يسأله عن الكبير والصغير » ص .72. أما على مستوى الكينونة، يتعامل بمنطق صارم تمليه عليه مهنته، التي تتطلب منه كذلك كتم مواقفه الحقيقية، واستعمال أساليب الخدعة والنفاق. وهو الأمر الذي استغرب له شعيب الذي كان مخدوعا بمظاهر الخلوقي (الترحيب، الابتسام، البشاشة... الخ) « تفحص شعيب وجه الخلوقي، فأنكر ما رأى. لم تبق أي علاقة بين الشخص الجالس أمامه وبين الرجل الذي استقبله بحفاوة بالغة في الرباط واستدعاه إلى بيته وقدمه لأهله » ص.287. ويمكن أن نقول إنه يتخلق لكسب ثقة الصديقيين، والتمكن من معرفة كثير من الأمور عنهم، وكل ما يجري في بلدتهم « يهتم بكل ما يجري فيها »؛ وذلك لملء التقارير المكلف بإنجازها، وبالتالي ضمان النجاح والفلاح لعمله والترقي في مهنته. وبعملية التصحيف تتناسل من الخلوقي كلمة الخلوف (ويقال كذلك الخُلْفُ والخُلُفُ)، وهي نقيض الوفاء بالوعد. فالخلوقي أخلف بما وعد به شعيب «طبعا أنا معكم لكن لا يدرج اسمي في أي لائحة كيفما كانت. أنت عارف إنما المساندة فهي مضمونة» ص 75، لأنه أحس بخطورة مشروعه في مدينة الصديقية العتيقة والهادئة، وبضرورة فتح ملف حوله لترصده بدقة. وبتقدم الأحداث وتطورها، تحول الخلوقي من مساعد (حسب ما تبين من كلامه السابق) إلى معيق (الإخلاف بالوعد).

العوني : اسم منسوب إلى العونية وهي زاوية دينية كان ينتمي إليها الشيخ العوني «علمت أن بعض الأفراد اجتمعوا قبل سنوات وحاولوا تأسيس زاوية عونية. لازم تعرف أنه كان ينظم في الماضي موسم كبير يحمل هذا الاسم له علاقة بالجهاد. يجوز أن يكون هؤلاء الأفراد ينتمون إلى فرقة العونات» ص. 171. لكن الشيخ العوني اعتذر عن إعطاء الأوراد، وتخلى عن كل الأهداف السياسية والإيديولوجية التي كان من الممكن أن تقوم الزاوية بنشرها وإشاعتها، وفضل الانزواء في منزله والعزوف عن ملذات الدنيا ومباهجها، وأصبح لا يهتم إلا بالأمور العقائدية المحض، ولا يكترث بتسييس الدين؛ فالزاوية بالنسبة له هي المسجد، والجماعة هي أمة

المسلمين. يمكن أن نشتق من العوني «العون» فالشيخ كان رجلا معوانا يقدم المساعدات والنصائح لكل من حج إلى بيته للاستشفاء من الأمراض والاستبراك، ونختار من بين التصحيفات الممكنة لفظة «عيان» التي وردت في الصفحة 308. وإذا كانت هذه اللفظة في الفصحى تعني الكال والعاجز، فهي في العامية المغربية تعني حسب شروط تلفظها إما إصابة الفرد بمرض ما وشعوره بتعب قوي أو الموت. إن المتحدث مع الخلوقي هاتفيا، أراد ألا يعظم من حالة الشيخ حتى لا يصدمه. فاختار كلمة ملطفة تعني المرض والتعب الشديدين، لكنها موحية بالموت.

موسى العشوبي : موسى اسم نبي، وهو مركب من مو أي ماء وسا أي شجر، لأن التابوت الذي كان فيه وجد بين الماء والشجر، فسمي به وقيل هو يعني بالعبرانية الجذب. ونرجح هذا المعنى لأن موسى هو الآخر تم اجتذابه ليتكلف بتدريب الفريق الجديد «اللاعب المحترف الذي لبى دعوة شعيب» ص. 261. ومن باب التجوز يوحي لنا هذا الاسم بآلة الفولاذ التي تستعمل في الحلاقة وتستعار للدلالة على ذكاء الفرد وفطنته. تتميز شخصية موسى بهاتين الخاصيتين اللتيين تمكن بهما من ضمان استمرارية بعدتكليفه بتدريب الفريق، ومن تدويخ أعضائه بتعليمات رياضية روحية وميتافيزقية، وبوعود براقة. واسم العشوبي منسوب إلى العشوب وهو يعني إما بائعها أو المدمن استعمالها، وتقترن العشوب في الذاكرة الشعبية بالشعوذة والتخريف والسحر. وإن كان النص مجردا من مؤشرات لغوية التي تكشف عن بنيته الذهنية الخرافية وتعاطيه لطقوس غيبية وقراءاته للعزائم قصد جلب الانتصارات للفريق، التي يراهن من خلالها بيان للرأي المحلي كفاءاته وفعالية تعليماته.

عمر الغربي : يسمي العرب أحد أبنائهم بعمر تفاؤلا بالبقاء وطول العمر. نجد ما يبرر هذا تقريبا داخل سياقات النص الروائي فالشخصية الوحيدة التي تعرضت لحادثة هي شخصية عمر «زلقت داخل الدار بحال الدراري الصغار» ص. 25. وترتب عليها كسر في إحدى رجليه. ومن خلال تعليق الخلوقي عليها «الكسر اللي حصل له كان من حسن حظه» ص. 73، يتبين لنا أنها حادثة خطيرة كان سينجم

عنها عطب مهلك إن لم نقل الموت. لكن من حسن حظه أنه أصيب بكسر فقط. اسم غربي منسوب إلى الغرب وهو يحتمل معنيين كما لو أنَّه تورية، معنى قريب نسبة إلى غرب المغرب لأنه يقيم في الرباط، ومعنى بعيد وهو المقصود حسب ما تؤكده كثير من المؤشرات اللغوية؛ أي نسبته إلى الغرب كحضارة فهو متزوج بامرأة أجنبية (مريم التي تذكرنا بمريم العذراء لأنها لا تنجب أولادا، وهذا هو السبب الرئيسي في توتر علاقتها مع عمر) «فكرت مرارا أن أربي طفلا أو طفلة... لم تقبل. قالت من أين لك أن تعرف أهل اللقيط؟ وراحت تقص حكايات الورث والورثة. كلما كلمتها في الموضوع تشنجت بكيفية عجيبة» ص 55. كما أن عمل عمر مرتبط بأسفار عبر البلدان الأوربية وهو مفتتن بالذوق الايطالي في مجالي تقليعة الملابس والأناقة «كان التفصيل الإيطالي يظهره ممشوق القامة» «ا ة له الشيخ رب نعمته... وأطلعه على فوائد الزي الإيطالي» ص، 45. لكن إذا تتبعنا الخطوط العريضة لرؤيته يتبين لنا أن ارتباطه بالغرب كان سطحيا، لأنه كان مهتما بالمظهر (الملابس خاصة)، وأنه لم يكن في مستوى التعامل الراقي الذي كانت تعامله به مريم، خاصة وأنها كانت سبب اهتمامه بالأناقة والرشاقة والذوق الرفيع في الحياة «غابت عن حياته المرأة التي كانت سبب اهتمامه بكل هذه الأشياء» ص، 47.

أغرام العامري: يمكن أن نقول إن أغرام مغرم، ومبتل بجمع كل من له صلة بمدينة الصديقية «على م تجري حميدة؟ علي الإخوان أؤلف قلوبهم وأؤسس جمعية تجمع شمل كل من له صلة بالمدينة العتيقة» ص، 34؛ ثم تأطيرهم داخل إطار جمعوي ليحقق بعض أغراضه الذاتية. وهو غريم لأنه يطلب حقه ويلح عليه حتى يقبضه وهذا ما يمكن معاينة جزء منه طوال الخيط السردي، فلما عرض عليه شعيب فكرة تأسيس جمعية رياضية، تحمس لها لأنه وجد فيها وسيلة لجمع أولاد البلد، ومطية لخدمة أحلامه الانتخابية. والعامري نسبة إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان، ويعني كذلك اسم قبيلة. واسم العامري يقترن في الرواية بالقبلية ومقوماتها (العرق، التنابذ، العصبية... الخ). فأغرام الذي يراهن على طموحات سياسية (انتخابية أساسا)، لم ير بدا من تحقيقها إلا اعتمادا على النسب ومنطق

أولاد البلد والعقلية القبلية والعشائرية؛ ولذا ما فتيء يتصل بكل من له صلة بالصديقية ومراسلة شخصياتها السامية في المناسبات الهامة.

الباشدور : اسم أجنبي دخيل Amdassadeur، يحيل على الدور الذي تقوم به إحدى الشخصيات داخل الرواية، وفي كثير من الوثائق والمخطوطات المغربية نجد أن السفير كان يطلق عليه الباشدور. وإذا كان الكاتب الحقيقي لا يشير صراحة إلى مهنة تلك الشخصية لكن من خلال المؤشرات اللغوية نعرفها وهي سفير : «استقبال السفراء» «أسلوب الدبلوماسيين» حفلة استقبال على شرف ضيوف أجانب» ص. 106. كما أن تلك الشخصية تعيش حياة السفراء (كثرة الاستقبالات والانشغالات، يمتلك مغنى كبيراً وحراساً كثيرين... الخ).

المختار وشان : مختار اسم مفعول من فعل متعد اختار، يفيد أنه وقع عليه الاختيار والاصطفاء، وتوجد في الرواية كثير من المؤشرات اللغوية التي تثبت عملية الاختيار : هنأه الوزير على الخطبة التي قرأها أمامه، اجتاز عدة امتحانات وترشح وانتخب في المكتب النقابي (انظر ص. 79)، لكن لما بدأ منزله يعج بالمشاكل العائلية أصبح مختارا، أي خارت قوته. وبعملية التصحيف نحصل على محتار، ويؤكد مختار نفسه على موضوعة الاحتيار «هذه قضية حيرتني» ص. 77 «اللي همني وحيرني هو أني كنت عملت فيه الثقة» ص. 73. فهو أصبح محتارا إن لم نقل محيارا من جراء مشاكله مع الشيطانين : الشيطان البراني (عدوه في العمل) والشيطان الدخلاني (عدوه في المنزل)، فغشي بصره وجهل وجه الصواب، وضل الطريق، ثم تاه في الصديقية، وقرر عدم الرجوع إلى عمله بالقنيطرة. «أنا ما رجع للخدمة ولو حلا ماء البحر» ص. 302. يمكن اشتقاق وشان من مادة شيَ، وقد ورد الاسم على صيغة المبالغة (فعَّال) وهو يعني شدة الاستغلاظ: وهو معنى يلائم الحالة النفسية للمختار. فبعد تأزم علاقته مع زوجته اشتد وصعب، وأصبح لا يطيق الذهاب إلى عمله أو معاشرة زوجته تحت سقف واحد. وبالتلاعب بأصوات وشان نحصل على الشين (من مادة شان) وهي تعني القبح والسماجة والذمامة، إنها

مواصفات منطبقة على شخصية المختار الذي صورته لنا الرواية كما يلي « هو أعشى » « كالعادة يكمع برجله اليمنى » ص.ص79 ـ77 «حنو كتفه وتقوس ظهره» ص. 117.

إدريس : يسمى الرسول إدريس لكثرة دراسته كتاب الله، وسميت إحدى شخصيات الرواية بذلك الاسم لكثرة دراستها كتب الفلسفة «يكلمني عن أفلاطون وكامو» ص. 54 قال (إدريس) له «هذا كتاب عن آلهة اليونان» ص.22. وتم تحويله الى جمع تكسير الذي أتى على صيغة منتهى الجموع (أدارس) للتأكيد على سعة ثقافته وفكره. ولم يكن لشخصية إدريس دور كبير بالمقارنة مع روايات العروي الأخرى بحيث تم درسها، ويعلل شعيب ذلك بأنها خاصمت الخلق وخلت لنفسها.

الشدادي : اسم منسوب إلى الشداد (صيغة مبالغة على وزن فعال)، وهو يعني **الشدة** والقوة. وهما صفتان تنطبقان على ما تدعو إليه شخصية الشدادي. ينفخ كالثور ليحفز المسؤولين على المنتخب الوطني بأن يكونوا فريقا قويا **وشديدا**، يتقن فنون المشادة والمبالغة. كما يقوم **بشدات** وحملات إعلامية ساخنة للتعريف بفريق شعيب، ولحث الجمهور الرياضي على معاينة مقابلته المصيرية بالملعب الشرفي.

خميطة : صفة من فعل خمط. أورد الكاتب الحقيقي بعض اشتقاقاته التي يتبين لنا من خلالها وعيه بأهمية دلالة اسم العلم وبمقصديته «خمط طابت رائحته فهو خميط، خمطت الأرض، خمط الرجل، تكبر أو غضب، خمط الفحل. هدر البحر اضطربت أمواجه الخمط، ضرب من الارك الخمطة بين نور العذب وشبيهه» ص.261. يمكن أن نستخلص من هذه المعاني مقومين [+ الاضطراب] و[+ الطيب]. ففيما يخص المقوم الأول نقول فلان متخمط أو خمط، يعني شديد الغضب وثائر ومتوتر. وتوجد في الرواية كثير من المؤشرات اللغوية التي تؤكد توتر أعصاب خميطة «الآلة الجهنمية توتر أعصابها» ص. 26. «يدها التي ترتعش نهارا وتهدأ ليلا يد جميلة رغم الرعشة» «أعصابها متوترة أكثر من أعصابها» ص.27. وسيزداد توترها وغضبها لما ستعلم بانفجار مطبخها الذي هو مصدر عيشها وسبب توطد علاقتها مع

علي نور. وكل هذه الوحدات المعجمية الواصفة للحالة النفسية والجسمانية لخميطة (التوتر، الرعشة، الغضب) تتفق مع المقوم السالف الذكر [+ الاضطراب]، الذي أفرزته شروط ذاتية وموضوعية. فيما يخص المقوم الثاني نقول: فلان خمط أي ذو رائحة طيبة شبيهة بروائح النبق والتفاح. ليست هناك داخل الرواية إشارات مباشرة لروائح خميطة بل هي إشارات ضمنية، يمكن أن نستشفها من المؤشرات اللغوية التالية «أنيقة توافق اسم خميطة الحقيقي» ص. 27 «أنا أخاطب خميطة الطيبة» ص. 263 «امرأة ذات ألوان» ص. 268 «بشرتها صافية رغم ما تكدس على وجهها من مساحيق» ص. 330 فالكلمات التالية (الأناقة، الطيبة، المساحيق) تتفق مع المقوم [+ الطيب]، لكونها توحي بأن خميطة تعبق برائحة عطرة.

علي نور : علي صفة تفيد العلو والتعلي والرفعة في الشيء، وتفيد كذلك الشرف والتحلي بالصفات العليا. وهي مواصفات معللة، فعلي - رغم أنه معلم في منطقة قصية عند سفح جبل - إنسان طموح متتبع لقضايا الإبداع والنقد والتاريخانية، يحاول تدارك كبواته وإخفاقاته للتخلص من الحفرة التي يعيش فيها «سقطت في حفرة وما زلت فيها إلى الآن» ص. 140، والوصول إلى العلا. كما أنه يتحلى بصفات حميدة، فهو لم ينخرط في العمل الجمعوي لتحقيق أغراضه الذاتية ومآربه الشخصية، بل لتجذير وترسيخ علاقته بخميطة وهو أمر مستحب ومشروع داخل الأدوات التأطيرية المعاصرة لمساعدة الفرد على القضاء على شبح العزلة، وتمكينه من الاندماج الاجتماعي. وسمي بالنور لأناقته ووسامته ووضوح أمره وبيان دعوته، وتنوير القلوب بضرورة البحث عن المضمون الملائم لتدارك التأخر التاريخي الذي تعاني منه البنيات الفكرية والاجتماعية. والنور هو مصدر مشتق من فعل (نار) وهو يعني الضياء، فتلك الشخصية بمثابة نور داخل المجتمع الصديقي تبين حقيقة الأشياء وتطلع الأبصار عليها. وإذ استحال هذا النور ظلمة سيبقى المجتمع

تائها في ربوع صحراوية قاحلة. تحفل الرواية بأسماء معللة أخرى: فمصطفى (اسم رئيس المجلس البلدي) اسم مفعول يعني أنه وقع عليه الاصطفاء والاختيار لتحمل مسؤولية رئاسة المجلس البلدي. ومن خلال مواقفه وسلوكاته يتبين أنه ليست له تمثيلية شعبية وجماهيرية وأن السلطة هي التي اصطفته ليخدم أغراضها وبرامجها السردية. اسم البحبوحي يدل على رغد العيش وخياره. والتواتي نسبة إلى منطقة توات الصحراوية. وعبد الجليل (اسم الباشا) هو مركب إضافي يعني عبادة الله لكن يمكن أن نتناول كل عنصر من العنصرين على حدة: عبد تعني أن الباشا مجرد انسان، أما صفة الجليل فتعني أنه ذو جلال أو شخصية مجللة، نظراً لمكانته الاجتماعية، ومهنته السامية داخل المجتمع الصديقي.

2 ـ توزيع الدوال الاسمية :

لكل شخصية تقريبا أكثر من دال اسمي يحدد مرجعيتها، ويقوم بوظيفة إشارية إزاءها. وبما أن السطرية هي من مميزات اللغة البشرية، فإن تلك الدوال لا تأتي دفعة واحدة، بل تتناوب فيما بينها. إن الدوال الاسمية التي أشرنا إليها في النقطة السابقة هي المتواترة بكثرة، تعرف بها الشخصيات داخل الرواية، إلا أنه في بعض الأحيان تختفي لتحل محلها دوال اسمية لا تقل عنها دلالة وإيحاء (الدال يحيل على مدلوله في إطار علاقة معللة وطبيعية). يعرف شعيب بكنية أبي شعيب وبلقبي الفقيه والصباغ، فكنية أبي شعيب لها إيحاءات اجتماعية (رمز تقليدي يقود شعيباً، اسم مصغر يراد به تقليل عدد الشعب)، وإيحاءات دينية (أبو شعيب السارية الحميري الصنهاجي صاحب الطائفة الشعبية)، وإقليمية (يقترن الاسم بمنطقة دكالة التي تعتبر الصديقية جزءا منها). يستند لقب الفقيه على أحد الوظائف الأساسية التي يقوم بها شعيب. فإلى جانب تكوينه الديني وقيامه بواجباته الدينية بانتظام (الصلاة والصوم ... الخ)، ونهيه عن المناكر بمجاهدة الأعداء، فهو معروف بالتعزيم والتنجيم «أنا أكمله عن الكشف والتنجيم» ص. 54 «تعلمت

تعزم. أنا سمعت أنه كان معك في السجن فقيه من الساقية الحمراء علمك تبرقم مع شمهاروج» ص.35 «قال في عقله أني تعلمت ضرب الخط» ص. 105. وهذا هو السبب الذي جعله يحظى برأسمال رمزي ويتمتع داخل المجتمع الصديقي بالشرعية والاعتراف. لا يوجد في الرواية ما يفسر لنا لقب الصباغ (مهنة الصبغ) لكن من خلال إضافة الوحدة المعجمية «ولد» إلى لقب (ولد الصباغ) «سي بنعيسى شفت ولد الصباغ» ص. 189 يتبين لنا أن أباه كان يحترف حرفة الصباغة، وأنه من كثرة اشتهاره بها أصبحت تطلق على كل أفراد عائلته.

يقترن اسم سرحان في بعض الأحيان بالاسم الشخصي إبراهيم وهو اسم أعجمي قد يوحي بإيحاءات دينية (إبراهيم الخليل)، لكنه في النص يوحي بإيحاءات كونية (أبراهام، إبراهيم) ملائمة لعقلية سرحان الذي لا يريد أن يقوقع نفسه في محلية ضيقة جدا، وأن يبقى حبيس تصورات ميتافيزيقية؛ فهو يؤمن بإمكانية اقتباس الثقافة من المجتمعات الغربية المتطورة. ويمكن تحوير ابراهيم إلى البرهمة التي تعني إدامة النظر وسكون الطرف، وهما المعنيان المنطبقان تقريبا على شرود فكر سرحان.

يتناوب اسم الخلوقي مع اسم بنعيسى وبعض الأحيان يقترن به، وعيسى اسم عبراني ليسوع المسيح، وهو اسم أعجمي عدل عن لفظ الأعجمية إلى هذا البناء وهو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العجمة والتعريف فيه، ومنال اشتقاقه من كلام العرب أن عيسى على وزن فعلى. فالألف تَصلح أن تكون للتأنيث فلا ينصرف في معرفة ولا نكرة ويكون اشتقاقه من شيئين: أحدهما العيس والآخر العوس وهو السياسة، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها[40] من هنا نتأكد من تعليل دليل بنعيسى، أن هذه الشخصية تعمل في مجال الاستخبارات السياسية وتهتم بكل التحولات التي تعرفها مدينة الصديقية، فقد. خصصت ملفا خاصا مكتوبا عليه بخط واضح اسم الصباغ (شعيب) لترصد تحركات المنخرطين في الفريق الجديد. يلقب

الخلوقي بالجنرال لمسببين «كانت له فرقة يقودها في معارك الحق والباطل وكان أبوه قد خاض حرب الاندشين وتاه في أدغالها. كان الناس يقولون: لو ماتُو فِيَ بغتة لكان أول جنرال مسلم... طول صباه والخلوقي ينتظر سن الرشد واستدعاء الجيش ليحل محل والده» ص.87. لما وصل الخلوقي إلى سن الرشد، انخرط في سلك الجندية، وهو يحلم بأن يحل محل والده ويحظى هو الآخر بلقب الجنرال لكنه لم يمكث فيها سوى ستة أشهر، ليعود إلى الصديقية عاطلا، وبقي على هذا الحال إلى أن غيرت الأقدار مجرى حياته.

يرد اسم العوني مقترنا بلقب الشيخ وبعض الأحيان يتم الاقتصار فقط على اللقب (الشيخ) الذي يتوفر على «أل» التعريف العهدية الحضورية التي تضمن معنى إشاريا بكيفية أوضح. ويفيد اللقب من جهة الحالة التي أصبح عليها العوني بعد أن هرم واستبان فيه السن وظهرت عليه علامات العياء والتعب، ويفيد من جهة أخرى ما أصبح يحظى به من مكانة دينية وفقهية، ورأسمال رمزي أهلاه أن تكون له زاوية تسمي باسمه (العونية)، يهتدي فيها المريدون إلى طريق الاستقامة على يديه. لكنه فضل الإعراض عن الاشتغال فيها؛ وفضل الانزواء والانغلاق في منزله لمدة طويلة. ورغم هذا الهروب من الانشغالات والعلائق الاجتماعية، فإنه ظل يحظى بشهرة كبيرة إلى درجة أن الدرب الذي يسكن فيه أصبح يسمى باسمه. «عاد الخلوقي إلى درب الخرصة حيث كان يسكن عمه، الدرب الذي سمي فيما بعد بدرب الشيخ العوني، إكراما لهذا الشيخ الجليل» ص. 87. كما أن منزله هو محج مختلف الشرائح الاجتماعية، تزوره لمعرفة بعض مواقفه من الدنيا أو الاسترشاد بنصائحه العلاجية والروحية أو للاستبراك.

إن اسم خميطة هو اسم مستعار، ورغم ذلك فهو الاسم الذي تعرف به من طرف جميع الشخصيات. ولما تنبه علي لاسمها الحقيقي استفسرها عنه فأجابته بأن ذلك يحتاج إلى وقت أطول وإلى مجهودات كبيرة لاستنطاق أسراره. «وتفسرين لي

أيضا معنى اسمك الغريب المكتوب على الورقة... هذا يتطلب وقتا أطول ويقاس بأسرار أكثر» ص. 128، فاسمها الحقيقي الذي أصبح غريبا لعدم استعماله وتداوله هو بنت القاضي، واسمها الشخصي هو رحيمة (المبالغة في الرحمة خاصة مع علي نور)، وتعرف بالصديقية نسبة إلى بلدتها الأصلية، وبالطنجوية نسبة إلى مقر إقامتها واستقرارها.

تكتب شخصية تحت اسم مستعار ومعروف هو علي نور (يلائم طموحها الأدبي)، أما اسمها الحقيقي فهو علي الكرافس (يلائم وضعيتها المهنية والاجتماعية)، وهو اسم معلل يدل على مسيرة تلك الشخصية في الحياة بطريقة مقيدة وبنوع من التضيق عليها (دفعت دفعا إلى مهنة التدريس - فضلت العيش في حفرة حقيقية فطلبت التنقل إلى سفح الجبل - لم تتكيف مع المحيط الذي تشتغل فيه... إلخ)، وتعرف بالصديقية (نسبة إلى موطنها الأصلي)، وبالبيضاوية (نسبة إلى ترعرعها واستقرارها فيها منذ نعومة أظافرها).

إذا كان موسى هو الاسم الشخصي، والعشوبي هو الاسم العائلي فإن لتلك الشخصية لقبين معللين «الحزين» و«بودميعة». وبعض الأحيان ترد كل هذه الدوال الأسمية مجتمعة تقريبا. موسى بودميعة الحزين. ويوجد في النص ما يبرر اللقبين «كان يقطع الأرض وهو يندب حظ الناس ويبكي مآسي الدنيا». ولما انهزم الفريق الجديد الذي تحمل مسؤولية تدريبه على أرضية ملعبه وأمام جمهوره الساخط، قصد ضريحا وانزوى في أحد مغاراته للتعبد والتضرع إلى الله. ولما التقى به وشان تنبه إلى أن وجهه «كان معفرا بالتراب مبللا بالدموع» ص.254، فموسى المكلف بتزويد الفريق الجديد بالخطط الفعالة والمناسبة لم يفلح في ذلك، مما نتج عنه سخط الجمهور واحتجاجه، وهذا هو السبب الذي جعله أكثر حزناً واستدماعاً من الشخصيات الأخرى. فهو مدرب محيار في إيجاد خطة مريحة تعيد له الطمأنينة والارتياح النفسين، لذلك يعتمد على معرفته الخرافية واستغاثته بالقوى الغيبية لعله يجد منفذاً للأمل.

إن الاسم الحقيقي لأغرام هو حميدة (ما يحمد عليه أغرام هو اتصاله الدائم بأولاد البلد وتجميعهم بعد انقطاع صلتهم بالصديقية وتفرقهم عبر مدن مغربية متباعدة)، ويلقب بسيدي ريشة (وهو اسم ولي يوجد بالصديقية) لأن أي واحد من الصديقيين زار البيضاء إلا ويصادفه ويلتقي به «لا يصل أحد من سكان الصديقية إلى البيضاء في أي حي كان، إلا ويصادف أغرام فسمي سيدي ريشة» ص.33.

لا تُعْرَفُ شخصيتان إلا بالوظيفتين الاجتماعيتين والسياسيتين اللتين تقومان بهما (الباشا والباشدور)، فرغم أنهما تحملان الاسم نفسه (عبد الجليل)، إلا أن ما تقومان به من مهن يطغى عليه ويحجبه. فالاسمان (الباشا والبشدور) يُفرضان كسيادة تقتضي الاعتراف، ويستمدان شرعيتهما من السلطة الموكولة التي فوضت للشخصيتين حق التكلم باسمها، وهما اسمان طقوسيان ورسميان يرمزان إلى السلطة وإلى مكانتين اجتماعيتين ساميتين في التراتية الاجتماعية. إن اسم الباشا محاط بهالة من التبجيل والتعظيم، يفرض على المخاطب أن يوجه ملفوظه اجتماعيا (اختيار الألفاظ الملائمة) وأن يحترم بعض المراسيم الأولية: السيد الباشا - سعادة الباشا - ضمير المخاطب الدال على الجماعة (كم). إن هذا الإسم يقتضي مقاماً خاصاً (قصر البلدية - كرسي رفيع مرتفع بالنسبة لباقي المقاعد)، ومواصفات خاصة (افتتاح الجلسة - تدخين لفافات رفيعة - له ولاعة فضية - التحديق في عيون الحاضرين (علامة على اتزانه وثقته بالنفس) - التحدث باسم الجميع - التباهي بالدفاع عن مصلحة الجميع...). يتحول الباشدور من شخصية مرجعية سياسية إلى شخصية مجازية «مرت خميطة مصحوبة بعلي نور أمام الطربوش الأحمر...» ص.137 لتأكيد طابعه التقليدي، وتباهيه بالزي الرسمي داخل الحفل، وتميزه به عن الحاضرين حتى يجلب إليه الأنظار. وهنا يتماثل الدال الاسمي مع الدال في مجال التصوير الفوتوغرافي، ويكمن في وجود موضوع جزئي (السنان le punctun) يسترعي الانتباه، يصدم، يفرض قوة الامتداد. إن شخصية الباشدور معلّمة وموسَّمة بذلك الطربوش الأحمر،

الذي يوحي بأشياء خفية أرادت أن تعطي لنفسها طابعا رسميا مهيبا يليق بمهنتها ومكانتها الاجتماعية السامية، لكن من حيث لم تع أعطت عن نفسها (بالنسبة للعين المفكرة بتعبير بارت) صورة مبتذلة وغير ملائمة لمقام الحفل، توحي بطقسي الختان أو الزواج « . . كما لو كان استدعي لحفل زفاف أو ختان » ص 121.

3 ـ شفرات اسم العلم :

بعد أن قمنا، في ما سبق، باستخلاص الشفرة الرمزية المتحكمة في اسم العلم، سنحاول الآن أن نستخلص باقي الشفرات الأخرى. ولا تؤخذ الشفرة بمعناها العلمي الصارم، بل باعتبارها حقلا من التداعيات المبنية وفق تنظيم فوق ـ نصي Supratextuelle، ومن الملاحظات والأفكار المتضامة. ويمكن أن نوزع أسماء أعلام الرواية إلى الشفرات التالية: أدبية وتاريخية ودينية وسياسية وأخلاقية. . . الخ، كما يمكن أن ينتمي اسم واحد إلى شفرتين أو أكثر حسب طبيعة تعليله وطاقته الصوتية أو الدلالية، والوظيفة التي يقوم بها داخل النص الروائي ككل.

1 – **الشفرة الأدبية** : يُستخدم اسم العلم كمؤشر على مجموعة من الخطابات التي تحملها موضوعة، ويَفْرِضُ مفترضا وعالما أدبيين ضمنيين، ويشتغل كمتغير يمكن تصنيفه حسب محتواه الدلالي[41]. فأسماء إدريس وشعيب وعمر تحيل بطريقة تناصية على مفتراضاتها في المتون الروائية الأخرى لعبد الله العروي (**الغربة واليتيم وأوراق**). يمكن لأي مطلع على إحداها أن يتوقع أدوارها وطبائعها وبرامجها السردية. إنها بهذا العمل تشتغل كدلائل مزدوجة تحيل على نصوص أخرى. لما يتم استحضارها تثير في ذهن القارىء الرِّقْبَةَ وتمكنه من إدراك التماثل الحاصل بين النص الروائي ومرجعه النصي رغم الاختلافات الممكنة على المستوى الوصفي والسردي. فشخصية إدريس مثلا تحيل على كثير من المتون الروائية (نذكر منها على وجه

الخصوص **أولاد حارتنا** لنجيب محفوظ **إكسير الحياة** و**جيل الظمأ** لمحمد عزيز الحبابي التي يمكن أن تعطينا نظرة مدققة عن الْعَلَمِيَّةِ onomastique الروائية في فترة معينة، كما تعطينا كيفية استثمارها صوتيا ودلاليا (يتدخل اسم علم إدريس في رواية **أولاد حارتنا** صوتيا ودلاليا مع إبليس (الإبلاس يعني اليأس التام من رحمة الجبلاوي (الله) ومن العودة إلى الجنة)، في حين يمثل في باقي المتون (**جيل الظمأ - إكسير الحياة - الغربة**... الخ) وسيلة عقلانية لتسريب مدلول خفي (التوسع في العلم والثقافة) يلائم وظيفة الشخصية في المجتمع (ذو ثقافة واسعة ومكانة اجتماعية محترمة). تحفل الرواية بكثير من أسماء أعلام بعض الأدباء : همنغوي، فيتزجرالد، كامو، ابن العميد، كرونين، موم... إلخ، وهي بمثابة أدلة ممتلئة (ليست بيضاء أو فارغة كما هو شأن أسماء الشخصيات السابقة) بتراكمات دلالية أولية معروفة عنها مسبقا، فكل اسم يرتبط بمواصفات دقيقة وصارمة تحيل على مرجع محدد ولا يمكن أن تنطبق إلا عليه في أي عالم ممكن، فلما يطالعنا اسم ابن العميد مثلا فهو يحمل معه ضمنيا معلومات وأوصافا خارج النص: هو أبو الفضل بن العميد من أهل القرن الرابع الهجري، يرجع نسبه إلى أسرة فارسية، كان أبوه وزيرا وكاتبا، واستطاع أن يتحمل مسؤولية الوزارة لركن الدَّوْلَةِ البويهي... الخ. فوضعه الاعتباري محدد ومبرمج بشكل قبلي ومماثل لمثله خارج النص، لكنه لا يشكل داخل النص وظيفة كبرى، يمكن أن يُحذفَ دون أن يكون له تأثير سلبي على بنائه العام.

2 - **الشفرة التاريخية** : تعتبر أسماء الأعلام التالية (يوسف بن تاشفين - هتلر - رومل - الأدفونش - مولاي اسماعيل... إلخ) أدلة مرجعية تاريخية، ممتلئة بمعان ثابتة ومحددة في ثقافة ما. إن قراءتها (وقراءة أسماء الشفرة السابقة) ترتبط بدرجة استيعاب القارىء للثقافة التي تؤطرها، وباندماج الأدلة في ملفوظ يشتغل كإرساء مرجعي على النص الكبير للايديولوجية والمستنسخات أو الثقافة، إنها ضمانة لما يسميه بارت بـ« أثر الواقعي »(42).

إن مجرد الإشارة إلى اسم نابليون، يعني أن دائرة فعله مفترضة وأن دوره وبرنامجه ثابتان، وأنه يرتبط بأوصاف دقيقة وصارمة بطريقة مسبقة، تنطبق عليه جميع العوالم الممكنة. هو الامبراطور الفرنسي الذي انهزم في واقعة واترلو. إن أسماء الأعلام التاريخية تحيل بطريقة تناصية على أحداث تاريخية وقعت فعلا: تأخر هتلر في الدخول إلى موسكو ص 31، الفتح الإسلامي على يد محمد ﷺ ومنافسته لفرعون ونمرود وإسكندر وكسرى ص 200، انتصار يوسف ابن تاشفين في معركة الزلاقة، إجلاء سيدي محمد بن عبد الله البرتغاليين من ثغر مهدومة ص 126. ألا يمكن للشخصية التاريخية أن تضطلع بأدوار جديدة في الرواية؟ وما هو الاختلاف الحاصل بين الشخصية الروائية وبين شخصية شبيهة بالروائي أو بك [القارىء الضمني] أو بي أو بالملكة فكتوريا؟ [43]. إذا وصفنا الملكة فكتوريا في رواية ما بدقة كبيرة إلى حد أنها تماثل الملكة فكتوريا خارج النص الروائي وتكون هي نفسها، فإن المعلومات الروائية المتعلقة بها تصبح بقيمتها الواضحة والشفافة مذكرة [44]. يشترط فورستر Forster إضافة معلومات جديدة وغير معروفة وحميمة حتى نتمكن من أن نعاين شخصية جديدة لا تمت بصلة إلى الشخصية التاريخية. ويضع في هذا الإطار تمييزا بين الشخصية التاريخية (الشخصية في الحياة الخارجية) وبين الشخصية الروائية. فالشخصية الأولى نجهل عوالمها، ولا نعرف عنها إلا كل ما يتعلق بالعلامات الخارجية، أما الشخصية الثانية يمكن النفاذ إلى أعماقها الداخلية وفهم عوالمها الحميمة والاطلاع على أسرارها - إن أراد الروائي - أكثر ما يمكن أن نفعله مع صديق حميم[45]. إن أسماء الأعلام السابقة تم الحفاظ على شفافيتها التاريخية وعلى إرسائها المرجعي ودورها المتوقع سلفا.

3 - **الشفرة الدينية** : توجد في الرواية كذلك ألقاب وأسماء أعلام دينية. فيما يخص الألقاب نجد الفقيه ومولاي وسيدي والشيخ. يلقب شعيب بالفقيه لأنه كما سبق أن أشرنا له تكوين ديني ويقرأ العزائم ويلقن معارف دينية، ويلقب التواتي باللقب نفسه لأنه يُعيذُ الزوار الذين يترددون عليه (خاصة النساء). ويكتب لهم

الأحراز ليقيهم من الأمراض والأخطار المحذقة. يعتبر لقب الشيخ أكثر مكانة من لقب الفقيه، لأنه يعين شخصية متمكنة من أمور الدين ومتبصرة فيه، وتؤهله مكانتها العلمية والفقهية أن يكون لها مريدون وتعمر زاوية. وتقترن أسماء أعلام الأولياء والصالحين بسيدي ومولاي احتراما لمكانتهم الاجتماعية. فسيدي الصالح المصلح الديني لما استفسد من الأمور. سيدي الخلواني نسبة إلى الخلوة التي نشتم منها نفحات صوفية. أي اختلاؤه وانفراده في مكان بعيد عن السكان. الشيخ السارية هو لقب، أما اسمه فأيوب وكنيته أبو شعيب، ويعني الإكثار من الصلاة وإطالتها. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن بقية الأسماء : للا ميمونة، سيدي محمد، سيدي علي، سيدي ريشة... الخ.

كنا قد أشرنا، فيما سبق، إلى التكوين الصوفي لشعيب، ويمكن أن نستشف ذلك من اسمه: فشعيب اسم مشتق ومنسوب إلى الطائفة الشعبية التي تعرف باسم صاحبها أبي شعيب السارية الحميري الصمهاجي، المولود بقرية أيير سنة 462 هـ- 1069م، اسمه أيوب وكنيته أبو شعيب ولقبه السارية. عرف بانسلاخه عن الدنيا ومباهجها وإعراضه عن شرابها وأكلها اللذيذين وحفظه القرآن برواياته العشر وسباحته في بحور المجاهدات، وتنسب له كرامات وخوارق تدل على تقشفه وتصوفه، وكانت صلته وطيدة بمختلف فئات دكالة[46].

تشتغل أسماء اللاعبين المكونين لفريق شعيب كتكثيف لبرامج سردية، تسبق وتصور بشكل مسبق قدر الشخصيات التي تحملها: فهي أسماء دينية تراثية (محمد، علي، الحسن، الحسين، محمد الرضي، جعفر، اسماعيل، موسى... الخ). ترتبط بالجهاد «الرياضة جهاد فلابد من أسماء الجهاد» ص. 173، وبالبركة «لتصاحبنا البركة بعزة محمد وعلي» ص. 173. وهذا ما حذا بسرحان أن يشبه الفريق لما عرف تشكيلته بعنقود معنقد، أي أنه أدرك تراص الأسماء في شفرة واحدة، كما أدرك تماسك حامليها للدفاع عن أهداف مشتركة. ومن خلال هذه

الشفافية الاسمية نتأكد أن الوظيفية التي يضطلع بها الفريق الجديد هي دينية وليست رياضية كما يوهمنا بها سطح الرواية.

4 - **الشفرة السياسية** : تطغى المهن التي تقوم بها بعض الشخصيات على أسمائها لأن لها إيحاءات قوية، (الباشا، رئيس المجلس البلدي، نائبه، ممثل الزاوية... الخ)، وهي التي أعطت لتلك الشخصيات حضورا في السرد وتحملا لمسؤوليات جسام تكمن في مراقبة حركية المدينة وتطلعاتها. إن تلك المهن تمارس سلطة مادية (قابلة للتَّكْمِيمِ والحصر والقياس) على فئات واسعة،وتفرض عليها تبجيلا أو احتراما خاصا، يظهر حتى على المستوى اللغوي فيما سماه باختين بالتوجيه الاجتماعي للملفوظ. إن متطلبات التراتبية الاجتماعية هي التي أقرتها وبررت ما تستتبعه من فروق ومراتب، لكنه يجب أن يعترف بها بوصفها وظائف سياسية واجتماعية مقننة، وليس أدوات للترهيب والتدخل في كل شاذة وفاذة كما هو مشخص في النص. وردت فيه كثير من الأسماء المعللة سياسيا: بنعيسى (العوس-العيس: السياسة)، ونور (تنوير الأفكار العتيقة وتبديد الظلمات)، وشعيب (الصدع بالتفرقة وإعلان المجاهدة والمصارعة)، ومختار (تم اختياره في المكتب النقابي)، ومصطفى (تم اصطفاؤه لرئاسة المجلس البلدي)، والشدادي (المشادة والشدة).

وردت كذلك أدلة مرجعية سياسية (مثل ولسون وكنيدي) تتسم بأثر الواقعي، وتحيل على فترات تاريخية سيايسة خارج النص، وتحدد بعض تمفصلاته الزمنية.

5 - **باقي الشفرات** : لا تشكل باقي الشفرات حيزا كبيرا داخل النص، لذلك سنحاول إدراجها ضمن نقطة واحدة: الشفرة النفسية (خميطة اسم يدل على اضطراب الجسد وارتعاشه، وسرحان يدل على عدم الاستقرار النفسي، وأغرام يدل على أنه مغرم بقضية معينة... الخ)، والشفرة الجمالية (خميطة اسم يدل على التعطر بالروائح الجميلة)، والشفرة الرياضية (تتكون من أدلة مرجعية متسمة بأثر

الواقعي وتحيل على فترة زمنية من تاريخ كرة القدم بالمغرب وهي عقد السبعينات (علال، مالقة، عبد الله،خليفة، عبد القادر،مولاي ادريس، باموس، مصطفى)، والشفرة الاثنية، الاجتماعية (تتضمن الرواية أسماء أعلام أجنبية : (ريكاردو، وليم، خوان بلانشو... الخ)، والشفرة الجنسية ـ الاجتماعية (يتضمن المحور الدلالي للجنس أسماء أعلام أنثوية : مريم، فطومة، عائشة، فاطمة الزهراء، فاطنة، زينب... الخ)، والشفرة الاجتماعية (تشمل كل الألقاب الاجتماعية (السيد ـ مسيو ـ سعادة ـ سيدي، مولاي.... الخ) التي تحمل معها أثر الحقيقة الاجتماعية والواقع التاريخي: يكون للشخصية طابع اجتماعي، وتنتمي لمجتمع محدد تحظى فيه [بلقب ديني] (مولاي، سيدي) أو مدني[47] (سعادة، مسيو، السيد، حضرة)؛ والشفرة الخلقية (يتضمن اسم الخلوقي موضوعة التخلق)، والشفرة الإقليمية أو القبلية (اسم شعيب له إيحاءات إقليمية (دكالة) وقبلية (التنابذ والعصبية)، (اسم العامري تتولد منه مقومات قبلية)، (اسم التواتي منسوب إلى منطقة توات)، (اسم الطنجوية منسوب إلى مدينة طنجة)، (وأخيرا اسم الصديقي منسوب إلى مدينة الصديقية).

4 - المستوى الإسنادي لاسم العلم :

إن التسمية الإسنادية ـ التي هي عبارة عن وحدة معجمية أو مركب مقتضب ـ تستتبع حكم قيمة المتكلم على المتكلم معه أو عنه، وذلك بتثمينه وتقويمه وإظهاره في صورة خاصة. تقوم هذه التسمية بوظيفة تعبيرية داخل النص الروائي بحيث تتضمن إيحاءات انفعالية وعاطفية. إن المتكلم ـ وهو يبني محكيا (ملفوظا) ـ يمكن أن ينوع وضعياته متموضعا على التوالي في وجهات نظر مختلف المشاركين في المحكي، أو وجهات نظر أشخاص آخرين غرباء عن الأحداث[48]. إن تبنيه لوجهة نظر هاته أو تلك (التي تنجم عنها تسمية دالة) مرتبط بنوع من العلاقة التي يكنها للشخص موضوع الحوار، كما أن هذا الاختيار يؤدي وظيفة أسلوبية أساسية[49].

أطلقت الصحافة الباريسية على نابليون عدة أسماء (الوحش، الغول، الغاصب، الامبراطور.... الخ). فكل اسم يكشف عن وجهة نظر معينة، وعن قيمة المرجع في عيون المتحدثين عنه، وعن طبيعة المسافة المنتصبة بين الطرفين. وكل تغيير في التسمية يعكس حصول تحول في ذلك المرجع وقيمته.

شعيب ◄--- سنحاول بيان كيف يراه الآخرون، وبيان وجهة نظرهم التي تترتب عليها أحكام قيمية وتسميات إسنادية. أول شخصية تعطينا موقفا انفعاليا وعاطفيا منه هي زوجته التي تظهره في صورة الغباوة والتخلف والتقليدية « لا يفهم لهجة العصر »ص 8. أما باقي الشخصيات التي اتصل بها، فهي تقدره وتحترمه. ويتبين لنا ذلك حتى من التسميات المضفاة عليه : فقيه (أغلب الشخصيات)، رجل بركة (الباشدور، عمر الغربي)، ولد البلد الوفي لأصله (المجلس البلدي، والخلوقي). لكن لما بدأت تطفو بعض البراكين على سطح الصديقية، غيرت السلطة من موقفها إزاءه، فبدأت تنعته « برأس الفتنة » و« المشاغب » و« المشوش » و« العبثي » (لأنه تخلى عن وظيفه ليتسكع بين أزقة المدينة!!). يعرف عند الرأي العام « بالفقيه الصباغ » وبالتسمية الإسنادية نفسها تقريبا (بالصباغ أو ولد الصباغ) عند كل من يعرفه معرفة دقيقة (أعضاء المجلس البلدي) والخلوقي (الذي خصص لفريقه ملفا يحمل التسمية نفسها). لِمَ العدول عن اسمه الشخصي وتداول لقبه؟ تقصد السارد التمييز أكثر لأن هناك كثيراً من الصديقيين يحملون اسم شعيب « إن السكان هنا يحملون كلهم نفس الاسم : إما أحمد وإما شعيب » ص.171، فكان من اللازم اللجوء إلى أحد المقومات العرضية (اللقب) حتى لا يبقى التعيين مبهما. كما أن لقبه يعتبر الدليل الأكثر تجذراً عند الناس والأكثر تعييناً لشخصيته. والغريب في الأمر أنه متداول ومستعمل فقط من طرف من يسكن الصديقية (أعضاء المجلس البلدي والسكان العاديين)، أو من يتردد عليها باستمرار كأنه يعيش فيها (الخلوقي)، أما بقية الشخصيات « الأفاقية »، فهي تلونه تلوينات دلالية خاصة، يستعمل أغرام تسمية « الفقيه » بكثرة « تعال يا فقيه » ص.16 ـ « تفضل يا فقيه » ـ

«نورت الدار يا فقيه» ص. 34، ونستشف منها الحميمية والتجلة والتقدير، كما نستنتج منها نوع التثمين الذي يكنه لمخاطبه (مشبع بالروح الخرافية) يصرح به في أكثر من ملفوظ «أح عليك لقيت كنز سيدنا سليمان. تعلمت تعزم. أنا سمعت أنه كان معك في السجن فقيه من الساقية الحمراء علمك تبرقم مع شمهاروج» ص. 35 «الخط الزناتي ياك» ص.105. لكن لما يستعملها وشان (الذي يكثر منها هو الآخر)، فهو يقر بمكانة الفقيه اجتماعيا ويعترف بقدرته على معالجة المرضى وطمأنتهم نفسيا (إن التثمين هنا إيجابي على عكس التثمين السابق).

أطلق عليه سرحان «سيدي شعيب» لأن وظيفته الاجتماعية شبيهة بوظائف الأولياء والصالحين، وهي نشر الفكر العتيق والبالي داخل المدينة. كما أنه الشخصية الوحيدة التي تنعت شعيب بلقب الشيخ «شيخ بين الأشياخ» «المساهمة يا شيخ» لانه يعتبر النادي بمثابة زاوية ويعتبر المنخرطين بمثابة مريدين يتدربون على مقامات المعرفة ومحاكاة مثلهم الأعلى (شيخهم شعيب). ورغم هذا الموقف المتخذ من طرف مَنْ له ميول ليبرالية في حق من هو منغمس في التقليدية، فإن علاقتهما وطيدة جدا. وهذا يتبين لنا من وجهة المتكلم الذي ينعت المتكلم معه أو عنه بالنعوت الإيجابية. فهو صبور وذكي ونشيط لأنه أنقذ الفريق من قبضة السلطة التي كانت تنوي إحباطه وتشتيته.

سرحان ←--- تظهر شخصية سرحان في الرواية شاردة البال ومنعزلة، ولا تربطها إلا علاقات محدودة مع بقية الشخوص. أخرجتها شخصية شعيب من تقوقعها وفرضت عليها بعض المهام التي مكنتها من الاتصال ببعض الشخصيات. يحترمها شعيب نظرا لما تحظى به من رأسمال ثقافي وفكري، لذلك اقترح عليها إلقاء بعض المحاضرات التكوينية داخل النادي. وأثناء التحدث معها يستعمل اللقب الاجتماعي «أستاذ» أو «أستاذنا الكريم» احتراما لمكانته العلمية ومحاولة التقرب منه عاطفيا. في حين نجد السلطة مرتابة من تحركاته ومتخوفة من استقراره المفاجىء

بالصديقية. وهذا يتجلى حتى في التسميات المعطاة له: «براني» ـ «أفاقي» ـ «غريب» ـ «غامض» «ظاهر عليك براني» ص.142. ـ «ما هو قانون عقلية غريبة عنا» ث.143. «ابراهيم سرحان قالوا ولد البلد لكن رايحة الشحمة في الشاقور» ص. 190. «ظاهره كباطنه حسب التحريات». كانت السلطة ترصده وتراقبه بدقة لكن بعد الأحداث التي وقعت بالبيضاء تأكدت من عدم تورطه فيها، وهذا ما حذا بالخلوقي إصدار في حقه هذه العبارة المسكوكة «مرضي الوالدين» التي نستشف منها أن السلطة كانت تبحث عن أدنى شبهة لتلفيقها له والتخلص من حضوره المهيب بالصديقية، لكنها فشلت في ذلك، مما جعلها تستعطفه لمغادرتها تحت ذريعة أنها لا تليق بمستواه الفكري. «بالمقابل يطلب منك. ينصحك توسل بي أن أقنعك أن تعود إلى البيضاء. قال: كبر وتربى في البيضاء... عاش سنين وسنين في عواصم كبرى والآن دافن رأسه في الخلا الخالي... كيف تفسر لي هذا السلوك؟» ص.350.

الخلوقي ←--- هناك ثلاثة عوامل جعلت شخصية الخلوقي مصدر استقطاب أغلب الشخصيات: مهنته السامية في مجال الاستخبار، وتصاهره مع الشيخ العوني (تزوج ابنته فاطمة الزهراء)، وغيرته على أولاد البلد. ففيما يخص العامل الأول قصده وشان ليتوسط له قصد مساعدته على إيجاد حل لمشكلته الاجتماعية مع زوجته ومع أحد زملائه في العمل. قصدته فطومة (زوجة وشان) لمساعدتها على العثور على زوجها. تقرب منه شعيب قصد تمكينه من معرفة المعلومات الدقيقة عن الأسماء المقترحة لتشكيل لجنة المساندة. فيما يخص العامل الثاني يعتبر وسيطا لمن أراد الاتصال بالشيخ العوني وزيارته، فلابد من استشارته واستئذانه (سرحان، وشان، أعضاء المجلس البلدي). أما فيما يخص العامل الثالث فبابه مفتوحة لكل من قدم من الصديقية طلبا لمساعدته أو حل مشاكله الشخصية أو الاجتماعية.

يتحدد اسم تلك الشخصية حسب وجهة النظر التي يستعملها المتكلم، ونلاحظ أن استعماله يخضع لتعليل يتحكم فيه السياق النصي والمقام الذي يربط

طرفي عملية التلفظ. فلما يتعلق الأمر بقضايا سياسية يتم استعمال اسم بنعيسى المعلل سياسيا، ورد ذلك في حديث سرحان وأعضاء المجلس البلدي معها «مؤقتا يا سي بتعيسى... الخ» ص. 143. «سي بنعيسى شفت ولد الصباغ - سي بنعيسى أنت ولد البلد» ص.ص 139 ـ 143؛ وفي ملفوظات شعيب الموجهة إليها «سي بنعيسى... أنا أذكر الحكمة في التيه» ـ «سي بنعيسى أعطيني كلمة، أنت معنا أولا؟» ـ سي بنعيسى، حسيت عندك كلام في حق وشان...» ص.ص 74-75-76.
ولما يتعلق الأمر بقضايا أخلاقية، يتم استعمال اسم الخلوقي المعلل أخلاقيا، إما طلبا للمساعدة "قال (أغرام) لي [ضمير المتكلم يعود على فطومة] ما ينفعك إلا سي الخلوقي" ص. 306، أو تعجبا واستغرابا من تقلبه" والغد ياسي الخلوقي هو بيدي أو بيدك؟" ص. 288. وفي كلا الحالين نجد الاسمين يقترنان باللقب المرخم السي الدال على الاحترام والتقدير.

أغرام ←--- تشيد كل الشخصيات تقريبا (عمر، شعيب، الخلوقي، علي نور.... الخ) باتصال أغرام بها وإخبارها بكل ما يتعلق ويحدث في الصديقية «على م تجري ياحميدة؟ على الاخوان أؤولف قلوبهم...» ص. 34 ـ «سي حميدة حاضر معنا باستمرار. يكتب إلي كل مرة... يعطيني أخبار المدينة» ص64 - «هذا عمل من أعمال أغرام يعرف كل شيء عن حياة أولاد البلد» ص 123.... إلخ. ورغم تحمسه للمشروع الرياضي وتزعمه له وتحركه في اتجاه إخراجه من القوة إلى الفعل، فهو لا يعتبر مصدر قلق بالنسبة للسلطة. يرجع ذلك ربما لوضوح مطمحه (تحقيق أهداف انتخابية)، ولتمشيه وفق ما يسطره له الباشدور (بالمقابل يساعده في العثور على المصادر النادرة عن تاريخ الصديقية والتوسط له إن اقتضى الحال ذلك). إن الشخصية الوحيدة التي توضح وجهة نظرها من أغرام هي شخصية شعيب بحكم احتكاكهما وتبادلهما للأسرار المتعلقة بنواياهما وخططهما. يعدل شعيب عن وجهة النظر الخارجية (استعمال اللقب) متبنياً في مناسبات كثيرة وجهة نظر داخلية

(الاسم الشخصي : ياسي حميدة) بنوع من التوقير، نستشف منها الحميمية التي يكنها لمخاطبه، وطبيعة الصداقة القائمة بينهما . بالإضافة إلى ذلك يشيد بأسلوب خطبه (خطيب بليغ فصيح)، وبتمكنه من اللغة الانجليزية، وبفطنته وذكائه (دبلوماسي كبير) اللتين بواسطتهما تحقق المشروع الرياضي، وأنقذ الفريق من التفرقة والتشتت رغم تبنيه لموقف الباشدور الذي تم بمقتضاه زحزحة شعيب عن الرئاسة .

المختار وشان ←--- إذا كان المختار وشان يظهر زوجته في شكل شيطان، وينعتها بأقذع المواصفات . فهي على العكس تتعامل معه بلباقة كبيرة (حبيب الروح) وتغتاظ من وضعيته وحالته (مريض) . إن الشخصيات التي طلب منها مُسْتَعطِفاً أن تتوسط له لحل مشاكله النفسية، تستغرب لأمره وتسخر منه . يصوره لنا شعيب مستعطفاً، ومشوش الباطن، وحزينا، ومتضايقا من زوجته ووضعيته الاجتماعية، لذا يعتبر مشاركته في العمل الجمعوي سلبية . « على ما حال حضوره أو غيابه على حد سواء عائم في بحره » ص. 291، ويهزأ من طلبه « قال في عقله إني تعلمت ضرب الخط » ص.105 . يصوره الخلوقي أيضاً مستعطفاً ومتوتراً ومشكاكاً وعنيداً، لكنه لم يقم بشيء يذكر حتى يساعده على تبديد وساوسه . اكتفى فقط بنَصحه « عملت جهدي وفوق جهدي . والآن تحققت وتيقنت . الوسواس اللي في خاطرك انسه ولا ترجع له . كما قلت لك في الأول » « ما وجدت ولا رايحة الشحمة في الشاقور » ص. 244 .

صارحه أغرام بعدم اختصاص الجمعية في حل المشاكل الذاتية « مختار أنت غالط . أسسنا الجمعية بهدف الرياضة ولا شيء غير الرياضة . . . أنت بغيت المزاح باسم الله اشرع والكمالة علي » ص. 243 . إن الاستصغار من قيمته ودوره وعدم مساعدته على إيجاد مخرج لمتاعبه النفسية، سيزيدان من تأزم نفسيته، ومن الانسياق وراء الحلول الخرافية (الإصغاء لنصائح عمته المشبعة بعقلية التخريف) .

موسى ←---- استجلبه شعيب ليتكلف بتدريب الفريق الجديد، فهو المسؤول عن الخطة فوق الميدان، لا أحد ينافسه في ذلك. ارتكز شعيب في انتقائه واختياره على ما يتوفر عليه من حنكة وتجربة «لاعب ممتاز صاحب تجربة» ص. 191. يشيد سرحان كذلك بحنكته وتمرسه واحترافه في مجال كرة القدم «اللاعب المحترف» ص. 161. يعرف عند أغلب الشخصيات بأنه يعتكف كل جمعة، ويختلي بنفسه لاستجلاب البركة للفريق الجديد. لذا سماه سرحان بسيدي موسى (اسم مماثل في معناه ومبناه لسيدي شعيب). لكن بما أن الحظ يعاكسه (لا تستجيب له القوى الغيبية)، فهو دائما حزين ومتوتر الأعصاب. استغل المجلس البلدي علاقته العائلية مع سي ابراهيم (نائب رئيس المجلس البلدي) قصد احتواء الفريق.

عمر ←---- يتحدث عنه الخلوقي وشعيب وأغرام بسخرية لأنه عائم في حكاية ألف ليلة وليله، ويتم تصويره بنوع من الاستصغار والانتقاص من قيمته وشخصيته. يوصف بأنه مطرود من العمل ومنكسر العظم ومنهار نفسياً أو جسمياً وتائه... إلخ. فلا تذكر عنه أية سمة إيجابية. لكن لما يواجه شخصية ما فهي تتعامل معه بوجهة نظر مغايرة لسابقتها، نشتم منها المجاملة والنفاق «سي عمر، سيدي عمر...». بالإضافة إلى ذلك نجد وجهتي نظر خاصتين: وجهة نظر الخادم (آسيدي) التي نستشف منها علامات الاستعطاف والتقدير المبنية على أسس تراتبية اجتماعية، بالمقابل نستشف منها وجهة نظر المتلقي الضمنية (التعامل بتعال واستخفاف مع الخادم لكونه أكثر منها مرتبة اجتماعية)، ووجهة نظر كاتبة الطبيب (مسيو غربي). وهي وجهة تراعي مظهره الموحي بالغنى والعصرنة، كما تكشف عن كلامها المتحذلق.

علي نور ←---- يكشف أغرام عن اسمه الحقيقي (علي الكرافسي) ص. 118، لأنه أدرى من غيره بكل الأمور المتعلقة بأولاد البلد، تصدر وجهة نظره عن معرفة دقيقة ومطلعة عمن يتكلم معه أو عنه. لم تكن السلطة ترصده لأنه كان يتغيب عن الاجتماعات واللقاءات دون عذر. ورغم أنه مثقف ضليع. فإن سرحان لا

يرى فيه إلا الجوانب المتعلقة بمظهره الجسماني (نحيف، زيتونة، أسود) . أما الشخصية التي تهتم به وتحاول ترسيخ العلاقة معه هي شخصية خميطة التي تراه من وجهة نظر التقدير والإعجاب والحب (الثقافة والوسامة والطموح)، وتراه فاطنة (الخادم) من وجهة نظر تنم عن وجود فارق اجتماعي بينهما (سيدي ـ مولاي) . فيما يخص خميطة يكشف أغرام عن اسمها الحقيقي (بنت القاضي)، لأنه يراها من وجهة نظر قريبة، في حين أن باقي الشخصيات تراها من وجهة نظر بعيدة (بما في ذلك علي نور الذي استفسرها عن اسمها الحقيقي، لكنها ماطلته في جوابها) . وشخصية علي نور هي الشخصية الأكثر ارتباطاً واتصالاً بها، وتراها من وجهة نظر المحب (حبيبتي) . إن الشخصية المرتبطة بالباشدور هي أغرام، الذي يراه من وجهة نظر التقدير والاحترام (استقبال السفراء، عماد لجنة المساندة، المحترم للقانون) .

5 ـ الوضع الاعتباري الصنافي لاسم العلم :

يصبح دليل اسم العلم موضوعا للتصنيف على مستوى المحور الدلالي الجنسي ذكر ≠ أنثى . فمن خلال توزعه عبر النص وأهميته ضمن دائرة الفعل الأساسي للحكي، يمكن أخذ فكرة عن طبيعة المجتمع، ونوع العلاقة بين الجنسين (دورهما ورؤيتهما للعالم) .

1-5 ـ تهميش اسم علم المرأة من دائرة الفعل الأساسي :

لا يقل اسم علم المؤنث تواتراً وحضوراً في الرواية عن اسم علم المذكر . لكن الفرق بينهما يكمن في المهمة المسندة لكل واحد منهما . فأسماء أعلام المذكر تشكل الحوافز المشتركة لأنه إذا حذفنا بعضها (خاصة الأسماء البارزة كشعيب وأغرام والباشدور . . .) سيختل البناء السردي الذي سينجم عنه غموض في فهم الرواية، لأنه يقوم أساسا على حركية وفعالية الجنس المذكر والشرخ الحاصل بين الجنسين في

مجتمع ذي سمات بطريكية. بالمقابل تشكل أسماء أعلام المؤنث حوافز حرة، يمكن حذف بعضها أو كلها دون أن يكون لذلك تأثير على بناء الرواية؛ والسبب هو عدم حضورها أو مشاركتها في دائرة الفعل المحوري للحكي (تكوين فريق رياضي بالصديقية). لكن رغم ذلك لا يمكن أن نستغني عنها لأهميتها في خلق الانطباع بالواقع لدى القارىء، ولأنها تشكل أحد العوامل الأساسية التي دفعت جنس الذكر إلى الفعل الأساسي للحكي. وجدت كل شخصية بارزة في تكوين الجمعية ملاذا نفسيا للتخلص من الهموم العائلية وخاصة مع الزوجة (شعيب واغرام والمختار وشان وعمر). لا يتم استحضار اسم علم المؤنث كدور فعال وإيجابي في الأحداث، بل يتم بوصفه عنصراً سلبياً وصورة نفسية قاتمة، وباعتباره سببا في تفكيك العائلة ونشر بنية التخريف داخل المجتمع.

أ – تفكيك العائلة : فطومة هي سبب توتر أعصاب وشان إلى درجة تخليه عن أسرته وعمله إلى أن أصبح من جرائها تائهاً ومشرداً. مريم رفضت تبني ابنا مما ترتب عنه خصام قوي مع زوجها عمر، فانتهى بانفصالهما. الفتاة ذات العينين الزرقاوين كانت السبب في تورط عمر في فضيحة أخلاقية. شعيب غادرته زوجته العاقة لأنها لم تستحمل العيش معه بسبب عدم تفتحه على «لغة العصر».

ب – نشر بنية التخريف : في الوقت الذي يكون الرجال حاضرين في الملاعب، تستغل النساء الفرصة لزيارة الفقيه التواتي (فريق الرجال مع الفقيهين موسى وشعيب وفريق النساء مع الفقيه التواتي). ويورد الناظم الخارجي هذا الحافز «وقف وشان على باب الضريح يشاهد من بعيد النساء الملتحفات واقفات وجالسات يملأن الممر بين مدخل المقبرة وقبة سيدي ريشة» ص. 252، وذلك لبيان مدى استفحال ظاهرة زيارة الأضرحة وكثرة تحركات النساء في رحابها (جالسات واقفات)، وتشبثهنَّ بالتقاليد (ملتحفات). يمكن أن نستخلص منه العوامل التالية: الذات (النساء)، الموضوع (الزيارة)، المساعد (الأولياء)، المعارض (شرور الدنيا ومصاريفها). وتتمحور العلاقة بين الذات والموضوع حول جهة الرغبة الملحاحة في التخلص من المشاكل النفسية والاجتماعية.

وتعطينا الرواية أمثلة عن بعض الشخصيات النسائية المتشبعات بالبنيات الخرافية: للا ميمونة (اسم مطابق تماما لضريح يوجد بالصديقية) المكلفة بضبط المواعيد مع الفقيه التواتي، وبإرشاد زبنائه إلى العطار؛ وخدوج التي تزور الفقيه لأنه وحده القادر على إرشادها إلى سوارها الفضي الضائع؛ وعمة وشان التي لها قدرة على ترديد التعابير المسكوكة لمناجاة الغيب وإقناع المتلقي بمكانة الفقيه التواتي الرمزية وبقدرته على معالجة المرضى.

5 ـ 2 ـ تصنيف اسم علم المؤنث:

ارتأينا تخصيص لاسم علم المؤنث حيزا خاصا له لأنه مهمش من دائرة الفعل الأساسي للحكي، لذلك سنحاول ولوج دائرة الفعل الخاصة به لضبط دلالته وحركته من خلال إقامة تراتبية للمحاور الدلالية التي ينتظم داخلها، وسَتُصَنَّفُ هذه المحاور حسب استخدامها في تمييز كل الشخصيات أو البعض منها [50]. نَسْتَنْبِطُ مِن الروايسة المحاور الدلالية التالية : [المظاهر] و[الذهن] و[المشاركة] و[الأصل] و[العمل] و[الإقامة].

على مستوى [المظاهر] نجد بنية مقومية متناقضة الأطراف: هناك أسماء تقترن بالبذلة التقليدية وأخرى تقترن بالبذلة العصرية.

تقليدية	ضد	عصرية
↓		↓
نساء ملتحفات		خميطة (شعرها مسرح ، أحذية ذات كعب عال) فطومة (سافرة، جلباب ضيق، مقصوصة الشعر ، محمرة الشفتين) مريم (مهتمة بالأناقة، منزلها مؤثث بذوق رفيع، مفتونة بالتقليعات الغربية).

فالأسماء (خمطية ـ فطومة ـ مريم) التي تؤثر بشكل من الأَشكال في مجريات أحداث الرواية، تبدو متخلصة من المظاهر التقليدية، ومنتفضة عليها (عدم ارتداء الحجاب)، ومهتمة بالمظاهر العصرية (الأناقة ،التبرج، التَّقْليعة) التي تكشف لنا عن فلسفتها في الحياة.

يتمفصل المستوى [الذهني] على مقومي التقليدية والعصرية. فعلى المستوى التقليدي نجد عمة المختار وشان المشبعة بروح التخريف، وزوجة الخلوقي تعرف الأصول وتحافظ عليها، وصهره عائشة (لا تؤمن بدور المؤسسات العصرية)، وميمونة تعمل على تعميق بنية التخريف بمناجاة الغيب وممارسة الشعوذة. أما على المستوى العصري نجد زوجة عمر المفتونة بالذوق الأوربي الرفيع، وخميطة الواعية بشروط الإبداع والكتابة. وكما يرى بروندال Brondol، يمكن أن يتفرع عن تقابل المقومين المتناقضين مقوم مركب، ليس تقليديا وليس عصريا نطلق عليه مقوما « شبه عصري »، ينسحب خاصة على شخصيتين: زوجة شعيب وزوجة المختار وشان؛ تتظاهران بالعصرية في حين تستبطنان أفكارا عتيقة وتقليدية. أغلب الأسماء الأنثوية ـ على مستوى [المشاركة] ـ غائبة من الفعل الأساسي للحكي باستثناء اسم واحد : خميطة. لكن لما ندقق النظر في مشاركة هذه الشخصية نجدها سلبية، لا تشارك في العروض والاقتراحات المتعلقة بمشروع شعيب، كما أنها شبه غائبة عن اللقاءات المصيرية (المباراة الأولى، الاجتماع مع الباشا، استعدادات لجنة الدعم والمساندة).

على مستوى [العمل]، أغلب الشخصيات النسائية يشتغلن داخل المنازل إما كربات البيوت (فطومة، فاطمة، عمة المختار وشان، عائشة، فاطمة الزهراء... الخ) أو كخادمات (خدوج ، فاطنة، زينب) باستثناء شخصيتين تساهمان في الحياة العملية خارج المنزل: خميطة التي تسير وتدير شؤون مطعمها، وميمونة التي تشتغل مع الفقيه التواتي وتساعده على تنظيم اللقاءات مع زبنائه.

يتفرع عن مستوى [الأصل] المقومان الآتيان : مغربية وأوروبية . أغلب الشخصيات مغربية باستثناء واحدة أوروبية، وهي مريم التي عادت إلى موطنها الأصلي بعدما ملت العيش مع عمر . أغلب الشخصيات كذلك صديقية باستثناء القليلات جدا : مريم وذات العينين الزرقاوين وفطومة . على مستوى [الإقامة]، أغلب الشخصيات هاجرت من مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى واستقرت فيها (مريم، خميطة، فاطمة الزهراء، فطومة) . وهناك بالمقابل شخصيات بقيت مستقرة في مواطنها الأصلية (عائشة، النساء الملتحفات، أم شعيب) .

6 ـ التراتبية الصنافية لأسماء الأعلام .

يمكن أن يتضمن اسم العلم إشارات دالة توحي بالانتماء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي . سنحاول بيان ذلك من خلال المحاور الدلالية التالية : السلطة السياسية والسلطة الرمزية والسلطة المادية (الثروة) .

يترتب عن مستوى [السلطة السياسية] تراتب سياسي وتمايز سلطوي . توجد في الرواية أسماء وألقاب توحي بممارسة السلطة (الباشدور، الباشا، رئيس المجلس البلدي)، بل تمثلها وتظهرها وترمز إليها . وتتحدد هذه السطلة بحدود التفويض الذي تسنده المؤسسة لها، لذلك نجد أصحابها يؤكدون ضرورة الحفاظ على قوانينها وعدم اختراقها «إن الجمعية لا يمكن أن تتعدى حدود القانون» ص . 287؛ ويوجهون كلامهم الآمر والسلطوي الى الطرف الآخر .

نجد على مستوى [التمايز الاجتماعي] أو التراتب الاجتماعي الرمزي، شخصيات تحظى بألقاب رمزية لأنها تتسم برأسمال رمزي وتمارس عنفا رمزيا رغم مواقعها الاجتماعية المنحطة . فلقب الشيخ لم يمنح لشخصية العوني إلا بعد الاقتناع بمناقبه وثقافته التقليدية وسمعته المتميزة وأخلاقه الحميدة . أي الاقتناع بكل الخصال الرمزية التي تجعله مقبولا ومعترفا به من طرف الأشياخ والمريدين . كما أن لقب الفقيه لم يمنح لشعيب على عواهنه، بل انطلاقا من الاعتراف بثقافته الفقهية وتمكنه من

كتابة العزائم والأحراز. يعطينا [التراتب الاقتصادي] نظرة سهلة عن التمايز المادي في الرواية إذ توجد تسميات اجتماعية تحيل على الوضعية الاجتماعية التي تمفصل النص حسب تشفير ثقافي وأكسيولوجي(52). فداخل المنازل يوجد نسق طبقي بين الأسياد (عمر وعلي وسرحان) والخدم (فاطنة ومنصور ومسعود وزينب وخدوج). وإن كانت الرواية تظهر لنا شخصية عمر عاطلا عن العمل وعبثيا، فهي - من جهة أخرى - تظهره مستمتعا بعيش رغيد وسيدا كبيرا لا تصل أية شخصية إلى مرتبته، لأنه يعيش في قصر فخم ويملك خدما كثيرين : من يحرس له المنزل (مسعود)، ومن يطبخ له الطعام (منصور)، ومن يحضر له الشاي (زينب). « فثلاثة خدم » تشكل وحدة وظيفية تحيل على تصور عام لفهم شخصية عمر فرغم طرده من العمل، فهو ما زال سيدا وتقنوقراطيا كبيراً.

خلاصات :

1 - رغم عدم اهتمامنا بمقاصد الكاتب الحقيقي في توظيف وتشغيل اسم العلم في النص الروائي، فإننا تأكدنا من وجودها بحيث عاينا الوعي الكراتيلي بالأدلة. فالكاتب لم يختر اسم العلم بطريقة اعتباطية بل استنادا إلى تضمنه تعليلات صوتية وصرفية واشتقاقية، وخضوعه لقواعد منطقية (له توقعية قوية إلى حد ما)، وجمالية (مرتبطة باختيار النوع)، وإيديولوجية (الكامنة في تسرب شفرات ثقافية واجتماعية وفي انسجام محتوياته مع بعض العناصر المكونة لرؤية حامله) : شعيب (التقليدية)، وعلي نور (تنوير فضاء الصديقية بأفكار ليبرالية)، وأعضاء الفريق (التقليدية)، وأغرام العامري (القبلية والعشائرية)، وبنعيسى (الاستخبار السياسي).. إلخ. لذا نجد في أكثر من مناسبة أن الكاتب يدعم الوعي الكراتيلي بالأدلة، وذلك باستبدال الأسماء الحقيقية للشخصيات بأسماء مستعارة، لكونها تتضمن طاقات صوتية ودلالية منسجمة مع الوظيفة المسنودة إلى بعض الشخصيات (علي نور وأعضاء الفريق)، أو حالتها النفسية، أو الجسمانية (سرحان وخميطة).

2 ـ انطلاقا مما تتوفر عليه الأسماء من طاقات توليدية، استطعنا أن نعاين عن طريق التجنيس والتصنيف تعددا لغويا (على نحو : سَرْحان ـ سِرٌ ـ حَان ـ سِرْحان ـ تسريح... الخ). واللافت للنظر أنه معلل نصيا بحوافز لغوية (تعليل التسمية). ويزداد هذا التعدد اللغوي سعة وغنى بتضمن الاسم كوكبة من الدوال الاسمية أو المواصفات التي تنوب عنه Les substitus (على نحو : شعيب، ولد الصباغ، الصباغ ـ الفقيه، مشوش، شيخ، سيدي، صبور، مدرب، منظم... الخ).

3 ـ تخضع التسمية لنظام طبقي ومهني وعاطفي، ولوجهة نظر معينة حسب علاقة المتكلم بالمتكلم معه (إذا كان حاضرا) أو عنه (إذا كان غائبا). وإلى جانب المتكلم المفصح عن أسراره الداخلية والباطنية (الشفرة الرمزية)، يوجد متكلمون فعليون يساهمون في إغناء طاقاتها اللغوية (الصوتية والدلالية). وبقدر ما يتكاثر المتكلمون بقدر ما تتكاثر الألقاب والكنيات والأسماء ووجهات النظر وذلك على نحو : من يعرف شعيب جيدا يطلق عليه الصباغ أو ولد الصباغ، ومن تربطه به علاقة وطيدة يَسِمُهُ بلقب الفقيه احتراماً لمكانته الاجتماعية، ومن يسخر من ثقافته وتكوينه التقليديين يطلق عليه سيدي شعيب أو شيخ أو فقيه!!. ويمكن لمتكلمين عديدين استعمال التسمية نفسها. لكن كل واحد يضمنها معنى خاصا حسب طبيعة العلاقة التي تجمعه بصاحبها. هناك شخصيات (سرحان وأغرام ووشان) تطلق على شعيب لقب الفقيه. لكن كل شخصية تستعمله حسب وجهة نظرها الخاصة. يستعمله سرحان للسخرية، وأغرام للاحترام والتجلة، ووشان لغرض نفعي وانتهازي.

4 ـ تصبح أسماء الأعلام دلائل صنافية Taxinomiques على مستوى عدة محاور دلالية:

أ ـ [الجنس] : هناك أسماء خاصة بالجنس المذكر وأخرى خاصة بالاسم المؤنث. ويمكن أن يصبح أحد المقومين محورا دلاليا مستقلا يكشف عن المواصفات الاختلافية qualifications différentielles للشخوص. كما بينا ذلك فيما يخص

اسم علم المؤنث المهمش من دائرة الفعل الأساسي للحكي : شخصية أوروبية ≠ شخصية مغربية، وشخصية بلدية ≠ شخصية أفاقية، وشخصية مشتغلة داخل المنزل ≠ شخصية مشتغلة خارج المنزل . . . . الخ .

ب ـ [السلطة التقديرية] : توجد في الرواية شخصيات تحظى بألقاب رمزية (الشيخ العوني والفقيه الصباغ والأستاذ سرحان) وأخرى لا تحظى بها (الخلوقي وعلي نور والباشدور . . . إلخ) .

ج ـ [السلطة السياسية] : توجد في الرواية شخصيات تمتاز بألقاب سياسة (سعادة، السيد، الباشا، رئيس المجلس . . .) أو تحمل أسماء تتضمن إيحاءات سياسية (بنعيسى، الباشدور)، وأخرى مجردة من هذا النوع من السمات (شخصية ذات سلطة ≠ شخصية مجردة من السلطة) . ويمكن إقامة داخل هذا المحور الدلالي تعارضا بين السلطة والشعب (فريق شعيب) .

د ـ [السلطة الاقتصادية] : لا تعطينا الرواية نظرة عن الفرق الطبقي بين طبقة مالكة للثروة ووسائل الانتاج وأخرى مجردة منهما وبائعة لقوة عملها، بل تعطينا نظرة عن تمايز فئتين اجتماعيتين : فئة الموظفين المتوسطين أو الكبار وفئة الخدم . ترتب عن هذا التمايز الاقتصادي أو المادي تمايز في التسميات والألقاب؛ تتم المناداة على أعضاء الفئة الأولى بنوع من التجلة والتقدير نظرا لمكانتهم الاجتماعية (مولاي وسيدي)، أما أعضاء الفئة الثانية فتتم المناداة عليهم بنوع من التعالي والأمر . وهكذا ينجم عن هذا المحور الدلالي تناقض بين السيد والخادم .

الهوامش

(1) Frederic Nef: "Sémantique des noms propres et essentialisme" in Critique n° 479, 1987 p. 323.

(2) Saul Kripke: La logiqus des noms propres. Minuit. 1982. p. 18.

(3) Ibid. p.30.

(4) Ibid. p.45.

(5) Jean Molino: "Le nom propre dans la langue" in Langage n° 66. 1982. p.15.

(6) عباس محمود العقاد : عبقرية الصديق. دار المعارف. ط. 14 . 1982 . ص.ص. 109 .

(7) Frederic Nef: "Sémantique...". op cit. p. 328.

(8) حافظنا على الإطار العام للنقاط الأربع. لكن تصرفنا في كثير من الأشياء مراعاة لأفق انتظار القارىء العربي انظر : جون ميلنو : م.س.ذ.ص. 17 .

(9) Ibid. p.p 18-19.

(10) Azelarabe Lahkim Bennani: "Vers une approche sémantico-pragmatique des noms propres" in **Linguisica communicatio Vol.**1 n°2, 1989. p.81.

(11) Ibid. p.85.

(12) Roland Barthes: "Proust et les noms" in Le degré zéro de l'écriture, suivi de nouveaux essais **critiques", Seuil, 1972. p.128.**

(13) G. Genette: "Proust et langage indirect" in Figure ll, Seuil, 1989. p.p.233-258.

(14) اعتمدنا على كتاب محمد داحي الدين عبد الحميد : « شرح ابن عقيل »، ج1، دار الفكر، ط. 16 .1974.

(15) عادل فاخوري : علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة. ط.1 . 1985 . ص 43.

(16) المرجع نفسه، ص. 43.

(17) المرجع نفسه، ص. 43.

(18) توجد الدلالات الثلاث في كتاب شرح ابن عقيل، م.س.ذ.، ص.185 .

(19) المرجع نفسه، ص. 129 .

(20) جلال السيوطي : الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1985 .

(21) المرجع نفسه، ص. 47.

(22) نعتمد على ترجمة سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، 1990 .

(23) Roland Le Huenen et Paul Perron : Balzac sémiologie du personnage romanesque. Les presses de l'Université de Montreal, 1980.

(24) سيميولوجية الشخصيات الروائية، م.س.ذ.، ص. 30.
(25) المرجع نفسه، ص. 31.
(26) المرجع نفسه، ص. 53.
(27) سبق لهما أن نشرا فصلا من هذا الكتاب «دال الشخصية» في مجلة الآداب، العدد 14، 1974.
(28) بلزاك : سيميولوجية الشخصية الروائية، م.س.ذ.، ص.17.
(29) المرجع نفسه، ص. 17.
(30) المرجع نفسه، ص. 19.
(31) المرجع نفسه. ص. 27.
(32) Jené Milly : "Sur quelques noms proustiens ", Littérature n°14, 1971.
(33) René Démoris : "La symbolique du nom de personne dans les Liaisons Dangereuses " in Littérature, n° 36, 1979.
(34) المرجع نفسه، ص. 106.
(35) محمد مفتاح : تحيل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، ط.2، 1986، ص.ص. 68-63.
(36) حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط. 1، 1990، ص.247.
(37) Françoise Van Rossum-Guyon: "Le personnge comme médiateur" in Critique du roman, Gallimard, 1970, p.140.
(38) فليب هامون : سميولوجية الشخصيات الروائية، م.س.ذ.، ص. 57. لسانية (مرتبطة باختيار السند اللساني)، ومنطقية (كل حكاية تتميز بتحقيق توقع ومقبولية)، وجمالية (مرتبطة باختيار النوع)، وايديولوجية (تتعلق بالشفرات الثقافية).
(39) المرجع نفسه، ص. 56.
(40) العلامة ابن منظور. لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، م.4، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت 1985، مادة عيس. ص.942. العمود الأول.
(41) Julia Kristeva : La révolution du langage poétique, Seuil, 1974, p. 343.
(42) فليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، م.س.ذ.، ص.ص. 26-24.
(43) E.M. Forster : "People " in Aspects of the novel, Penguin books, Londres, 1962, p.55.
(44) Ibid. p.55
(45) Ibid. p.p.56-57.
(46) مصطفى الريس والحسين بولقطيب : «الجذور التاريخية للولاية والتصوف بالمغرب الوسيط (منطقة دكالة نموذجا)». أنوال، العدد 501، 1989، ص، 18، عمود 3.
(47) Roland Barthes : "Analyse textuelle d'un conte d'Edgar Poe " in Sémiotique narrative et textuelle Larousse, 1978, p. 34.
(48) بوريس أوبسكي : «شعرية التأليف» نظرية السرد. ترجمة مصطفى ناجي ، منشورات الحوار الاكاديمي والجامعي؛ ط.1، 1986، ص. 81.
(49) المرجع نفسه. ص. 82.
(50) فليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، م.س.ذ.، ص. 32.
(51) بيير بورديو : الرمز والسلطة م.س.ذ.، ص. 64.
(52) Roland Le Huenen et Paul Perron : Sémiologie du personnage romanesque, op. cit, p.29.

الفصل السابع

ملاءمة الكلام في البنية العاملية

تمهيد :

يعتبر فلاديمير بروب حضور الشخصية في البنية السردية ذا طابع وظيفي ، لأنه لاحظ أن ما لا يستبدل في الشخصيات هو فعلها؛ لذا انصب تحليله على ما تقوم به من وظائف، لأنها على اختلافها تنجز في الغالب الأفعال نفسها[1] . انطلاقا من متن يتألف من مائة خرافة روسية عجيبة، شخص دوائر فعلها ووزعها منطقيا عبر فئات (أنماط شخصية) متباينة : المعتدي والواهب والمساعد والمرسل والبطل والبطل الزائف وموضوع البحث. واستنتج أن السرد الخرافي مكون من سبع شخصيات ومن إحدى وثلاثين وظيفة. كما استخلص إتيان صوريو E. Souriau من بنية السرد المسرحي العوامل نفسها التي توصل اليها بروب (يقترح كَريماص تسميتها بالوظائف حفاظا على اصطلاحيتها في علم التركيب التقليدي)، تردد بين ست وسبع وظائف لكنه في الأخير حصرها في العدد الأول : القوة الموضوعاتية الموجهة (فتح عين الاسم)، وممثل الخير المرغوب فيه والقيمة الموجهة (كسر عين الاسم)، والمستفيد المحتمل من هذا الخير، والمعارض، والحكم (موزع الثورة)، واسترجاع شيء مفتقد (مضاعفة إحدى القوى السالفة الذكر)[2] .

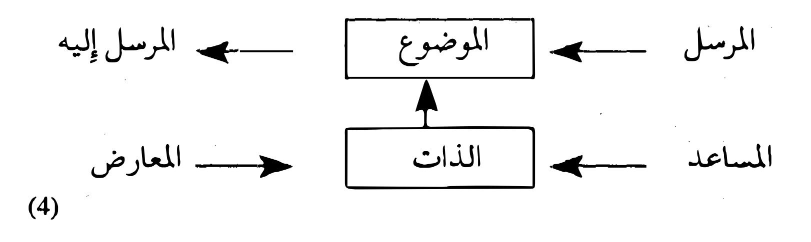
يلتقي تفسير كريماص مع تفسيرات بروب وصوريو في نقطة مفادها أن مفاهيم عاملية محدودة تكفي لتنظيم عُويْلم ، لكنه يرى أن نقصها يكمن في الطابع، الأقل والأكثر صورية في الآن نفسه، الذي أعطي لهذين التعريفين: إن تعريف جنس بعدد محدود من العوامل ـ مع تجريد كل محتوى ـ يعني موضعة التعريف في مستوى صوري عال جدا، وإن تقديم العوامل في جرد بسيط ودون التساؤل عن العلاقات الممكنة فيما بينها، يعني التخلي المبكر عن التحليل، ولذلك ارتأى كريماص توزيع العوامل الى ثلاث فئات منطقية، وكل فئة تتكون من زوج (يتعلق الأمر هنا بصوغ مقولات البنية العاملية) :

الـذات = الموضوع

المراسل = المرسل اليه

المساعد = المعارض

تكمن بساطة النموذج العاملي في أنه محور حول الرغبة المستهدفة من طرف الذات، وموضع بوصفه موضوعا للتواصل بين المرسل والمرسل إليه. وتتغير رغبة الذات (من جهة أخرى) حسب إسقاطات المساعد والمعارض:



اقترح كَريماص وصف شخصيات السرد وتشخيصها ليس حسب ما هي عليه، بل حسب ما تعمله (وهذا هو سبب تسميتها بالعوامل). لهذا فهي تشارك في ثلاثة محاور دلالية كبرى نصادفها في الجملة... وهي محاور التواصل والرغبة (أو البحث) والاختيار[5].

يرى بيير زيما أن هناك مظهرا هاما في علم الدلالة البنيوي، يكمن في أن النصوص النظرية أو الإيديولوجية كما هو شأن النصوص الأدبية (كالخرافات العجائبية) يمكن أن تُشخص بواسطة نماذج عاملية. ويثمن موقف كَريماص الذي قام بسحب الخطاطة العاملية على خطابين إيديولوجيين هما خطاب الفلسفة الكلاسي[6] وخطاب الإيديولوجية الماركسية[7] التي وجد فيها مرجعا لتعريف الإيديولوجية بوصفها بنية خطابية[8].

وهذا لا يعني الاكتفاء فقط بالتطبيق الآلي لتلك الخطاطة الأولية سواء تعلق الأمر بالنصوص الأدبية أو غيرها. وحتى يتمكن علم اجتماع النص من شرح البنيات النصية في سياقاتها الاجتماعية يحتاج الى مفاهيم لغوية وسيميائية، لا توجد في

عالم الدلالة البنيوي (رغم أنه يأخذ بعين الاعتبار بعض المفاهيم الأساسية لكَريماص كالعامل والتشاكل الدلالي مثلا) . ينبغي لعلم اجتماع النص أن يطور التصنيف الدلالي (الفعل الصنافي) الذي يشكل أُسَّ النموذج العاملي[9] .

بعد أن استعرضنا ـ بعجالة ـ أهم التصورات التي قعدت للنموذج العاملي (خاصة بروب وكَريماص)، سنحاول أن نبدي بعض الملاحظات التي تفسر وجهة نظرنا . وهي ـ في عمقها ـ لا تختلف عن التصورات السابقة، لكنها تتغذى وتستفيد من تصورات أخرى (لغوية وإيديولوجية وأكسيولوجية) :

1 ـ يبدو النموذج العاملي المقترح من طرف كريماص قابلا أن يصمد أمام عدد كبير من السرود التي تتوخى تجريبة . وككل نموذج بنيوي فقيمته تكمن في شكله المقنن (قالب من ستة عوامل)، على نحو أقل مما تكمن في التحولات المبرمجة (النواقص والالتباسات والتضعيفات والاستبدالات) التي يخضع لها، وهو بذلك يفسح المجال لتصنيف عاملي للسرود : « رغم أنه لا يكشف لنا بما فيه الكفاية عن تعدد المساهمات التي تقوم بها الشخصيات، وبالتالي يجعل السرود تُحلل باعتبارها منظورات[10] . وهذا ما حذا بنا الى عدم الامتثال لهذه المنظورات التي تؤدي إلى تشظية نظام الشخصيات أكثر من اللازم (وصف بريمون ـ Bremond)، وعدم الامتثال بطريقة آلية للنموذج الكَريماصي، فالنص هو وحده القادر على تطويعه، وفرز التنظيم العاملي الذي يوافقه . كما أن الصعوبة الحقيقية التي يطرحها تصنيف الشخصيات تكمن في مكانة الذات (إذن وجودها) داخل كل بنية مولدة للعوامل، مهما كانت صيغتها[11] .

2 ـ يبدو أن تحرك الذات نحو الموضوع تتحكم فيه سيميائية العمل، وكما سنرى أن العمل هو فعل لغوي تم نقله وتحويله من المستوى الطبيعي الى المستوى السيميائي . وتم التغافل عن سيميائية الكلام رغم أهميتها وضرورتها في الإفصاح عن الموضوع القيمي أو إقناع المرسل إليه بإيجابيته أو إقحام صوت المعيق أثناء المواجهة أو

استقطاب المساعدين. إنها تتعلق عموما بالمستوى الدفاعي أو الجدالي الذي يثري النص الروائي بالتعدد اللغوي والصوتي. فلا مناص من تداخل وتكامل السيميائيتين (أو السيميائيات)[12] ففي الرواية لا يستطيع الإنسان أن يكون فاعلا على نحو لا يقل عن قدرته على الفعل في الدراما والملحمة، إلا أن للفظه دائما إضاءة إيديولوجية باستمرار، فعل مرتبط بخطاب ولو كان خطابا محتملا وبلازمة ايديولوجية كما أنه يحتل موقعا إيديولوجيا محددا[13]، فمفهومه للعالم مجسد في كلامه وفي أفعاله[14]. لذا ارتأينا ألا تكون الخطاطة السردية مرتبطة فقط بالفعل، بل كذلك بالكلام، لأنه الى جانب أن الشخصية تفعل بدرجات مختلفة، فهي تتكلم. وإذا كان الفعل قد حددت له جهات واجب/الفعل، ورغبة/الفعل، وإمكانة/الفعل، ومعرفة/الفعل، والفعل (كحقيقة ملموسة)، فإنه يجب التفكير ليس فقط في الجهات السردية للكلام[15] بل أيضاً في تنظيمه العاملي[16].

3 ـ إن ربط النموذج العاملي بسيميائية الكلام، سيجعل كل فاعل/متكلم منتجاً لعينات إيديولوجية. فالدلائل الذاتية والدلائل الإيديولوجية تنطبق فيما بينها. والدلائل الذاتية ليست فقط صوتا بل أيضا قناة لنقل ما هو جماعي[17]. يحدد كريزنسكي V.Kryzinski ـ اعتمادا على تصور كَريماص وكورتيص ـ الفرق بينهما على الشكل التالي: الايديولوجي هو الجمع والتنظيم التركيبي والعاملي للقيم، والبحث المستمر عنها. ولما تتكفل الذات بالبحث عنها تكون القيم في المستوى الايديولوجي مُحَيَّنَه، أما في المستوى الاكسيولوجي فتكون مفترضة. فهي تعتمد على جهتين (رغبة الكينونة ورغبة الفعل). والأكسيولوجي هو نمط من الوجود الجدولي للقيم. ما يهمنا من هذا التمييز هو الجانب الإجرائي، وما يستتبعه من إجراءات ذات أهمية منهجية، في المستوى الإيديولوجي نختار العناصر التالية: التنظيم التركيبي للقيم المَحَيَّنَه، والبنية العاملية المحملة بالقيم، والخطاب الجدالي، والتحيين العاملي، والقيم المضادة. وفي المستوى الأكسيولوجي نختار فقط العنصر التالي: تنظيم شبكة من التشاكلات المضوعاتية التي تُرَتِّب القيم وتبثها[19]. وهي تتجلى في المسارات والشبكات الصورية المنظمة للبرامج والمشاريع السردية.

1 - التعاقد :

لا تتوفر الرواية علي مرسل ملموس أو متجل على المستوى التركيبي أو متعال يحظى بسلطة اجتماعية أو رمزية تؤهله لتوجيه الأوامر إلى ذات أقل منه مرتبة. وهذا لا يعني انعدام المرسل بالمرة. فهو موجود كدور عاملي ضمني تضطلع به شخصية مجازية (بتعبير فيليب هامون20). تقوم ببنية الإرسال شخصيتان مجازيتان تختلفان في المقاصد: الفراغ الاجتماعي هو مرسل الذات الأولى (شعيب)، والمصلحة الشخصية هي مرسلة الذات الثانية (أغرام)؛ لكنهما تتفقان في رغبة الوصول إلى الموضوع القيمي الأساسي (تكوين فريق جديد بالصديقية). وهكذا يتبين أن جهة [الرغبة] التي تعطي الضوء الأخضر لتحرك الأحداث وتراكمها سرديا، يتحكم فيها مستويان متناقضان: مستوى ذاتي تبحث فيه ذ2 عن تحقيق أغراضها الذاتية (الانتخابات) ومستوى جماعي تبحث فيه ذ1 عن تبديد هول الفراغ الاجتماعي الذي تعاني منه الصديقية. ويعطينا كل مستوى إرهاصا بطبيعة الجزاء الذي تستحقه كل ذات على حدة. تقوم ذ1 بعمل اجتماعي كبير يتطلب منها نكران الذات والتضحية، وتبحث ذ2 عن إرضاء رغباتها الدفينة وأنانيتها المتوقدة.

		ذ 1		رغبة/الكينونة (اجتماعية)		الغيرية		جزاء اجتماعي
[الرغبة]	=	------	=	------------------	=	------	=	------------
		ذ 2		رغبة/الكينونة (ذاتية)		الأنانية		جزاء ذاتي

وبما أنهما تتفقان في رغبة الوصول إلى الموضوع القيمي، تم التعاقد فيما بينها لوضع الترتيبات الضرورية، وإيجاد الوسائل والسبل الكفيلة بتحقيقه. وكما يتبين فهو تعاقد «يؤسس محور البحث [أي] التجلي السردي لرغبة الذات [في النص الروائي ذاتان] في الحصول على الموضوع: ويفسر كذلك حضور جسد النص الذي يتمفصل كنشاط مبرمج»(21). ونظرا لاتفاقهما على إيجابية الموضوع القيمي، فإن

ذلك يفترض عملية ذات طابع معرفي. تحاول ذ2 معرفة الأسباب التي جعلت ذ1 تتخلى عن الفريق القديم وتتحمس لتكوين فريق جديد. وبالمقابل تسعى ذ1 الاستفادة من خبرة ذ2 إذ ترى فيها وسيلة ومطية لتحقيق ما تصبو إليه (إخراج فكرة تأسيس الفريق من القوة إلى الفعل).

ولما ندقق النظر في سيميائية الكلام التي صاحبت عملية التعاقد. نجد أن الرغبة ليست فقط عاطفة داخلية، بل مصاغة لغوياً تم الصدع بها وإظهارها على مستوي التجلي الخطابي. وأن المتكلمين/الفاعلين شخصاها في ملفوظات/برامج هي عبارة عن إحساسات مفترضة لم يحن الوقت لتحيينها وتحقيقها، وربطها بسيميائية العمل التي تتشخص في شكل خطوات ملموسة وعملية (الاتصال بأولاد البلد، وجمع المال، وتنظيم حفلة، وتكوين الفريق). ونتيجة التفاعل اللغوي بين من له دراية بالأمور الرياضية (لغة الرياضي)، ومن له دراية بالأمور الانتخابية (لغة السياسي)، تم التوافق بينهما في الصيغة التالية: استجابة ذ2 لمطلب ذ1 الكامن في تكوين فريق صديقي يعود بالفضل على الجميع، واستجابة ذ1 لمطلب ذ 2 الكامن في إيجاد وسيلة لتحقيق رغباتها ذاتية. وهكذا يتبين أنه يوجد منذ البداية ركن إيديولوجي يخبر عن الفعل و[سيقابله] في النهاية ركن جديد يفسره ويماثله بالعالم الأكسيولوجي الذي يمتلكه[22].

2 ـ البرنامج السردي الأولي للاستعمال : الاتصال بأولاد البلد

بعد تعاقد الفاعلين على ضرورة الانتقال من المجال النظري (البرمجة) الى المجال التطبيقي (الاتصال بأولاد البلد)، تم الانتقال من جهة الرغبة الى جهة الفعل. كان الفعل في البداية مجرد افتراض يحيل على استعداد الفاعليْن الى مرحلة ما بعد التعاقد أو التطويع وعلى امتلاكهما الموضوعين الجهيين [رغبة/الفعل] و[واجب/الفعل]. يتطلب منهما تحيين الفعل التوفر على الموضوعين الجهيين

[معرفة / الفعل] و[إمكانة / الفعل] حتى يتحدد نمط فعلهما وقدرتهما على الفعل كحقيقة ملموسة وعيانية، وتحقيق البرنامج السردي المرغوب فيه. فهما موضوعان ضروريان ومؤهلان [كسر عين الاسم] (qualifiantes): ففيما يخص الموضوع الأول [معرفة / الفعل] يتوفر الفاعلان على العمليات الضرورية لتحقيق برنامجهما السردي؛ فالفاعل شعيب له تصور معرفي لاستقطاب أولاد البلد قصد تمويل المشروع الرياضي، والفاعل أغرام له معرفة دقيقة عنهم (أسماؤهم، عناوينهم، رغباتهم). وفيما يخص الموضوع الثاني، ثم توزيع المهام المستقبلية فيما بينهما. ميتصل شعيب بعمر الغربي والخلوقي والمختار وشان، أما أغرام فسيتصل فقط بالباشدور؛ أما بقية الشخصيات الأخرى فسيتم الاتصال بها عن طريق المراسلة. وستتكفل بها الذات السيميائية التي لها قدرة على التعبير والتواصل بلغة عربية بليغة (ذ2).

يقترن الانتقال الى تحقيق الفعل (الاتصال الفعلي بأولاد البلد) بمرحلة الإنجاز[23]، وهنا لابد من إبداء ملاحظتين منهجيتين:

1 ـ لما نتكلم عن الفعل، فمن البديهي أنه لا يقصد به الفعل الواقعي المتموضع على مستوى سيميائية العالم الطبيعي، بل هو فعل لغوي (مهما كانت اللغة ـ طبيعية أكانت أم لا ـ التي يتجلى فيها)... يمثل عملية إنسانية بشكل مضاعف: إن اعتباره نشاطا يفترض ذاتا، واعتباره رسالة يعني أنه موضع ويستتبع محور البث بين المرسل والمرسل إليه[24]. ما يهمنا من هذا الكلام الصادر عن كَريماص هو أن الفعل نشاط مستعار ومنقول من مستوى الواقع الى مستوى اللغة[25].

2 ـ رغم اعتبار كَريماص الفعل نشاطا لغويا، ظل مهتما فقط بسيميائية العمل ولم يعر أهمية الى سيميائية الكلام إلا نادراً جداً. فهو ـ مثلا ـ لما يتحدث عن الجهات الضرورية للذات المنفذة sujet opérateur لا يتطرق الى الجهات المتعلقة بالكلام (رغبة / الكلام، ومعرفة / الكلام ، وقدرة / الكلام... الخ) التي بدونها

يصعب في كثير من الأحيان الوصول إلى الموضوع القيمي، خاصة لما يتعلق الأمر بمشروع تحتاج فيه ذات الحالة sujet de l'etat إلى جملة من المواصفات التأهيلية اللغوية (القدرة على المجادلة والإقناع)[26]. فالفاعلان (شعيب وأغرام) اللذان يقومان بفعل الاتصال بأولاد البلد، يجب عليهما أن يتوفرا على مواضيع جهية لغوية نجملها في القدرة على الإقناع، إن أرادا ضمان فعالية التواصل اللغوي مع المرسل إليه. وإذا قمنا بمعاينة كلامهما سنجد أن كل فاعل/متكلم يبذل مجهودا لغويا لإقناع الطرف الآخر بالموضوع القيمي الأساسي (تكوين فريق جديد بالصديقية). يقوم شعيب بتوجيه ملفوظه اجتماعيا (احترام مكانة المخاطب أو المرسل إليه: الأستاذ الكبير - الموظف السياسي - زهرة الجيل - مفخرة الصديقية)، وتأثيث الحوار (استعمال الوظيفة اللاغية للحفاظ على الخيط التواصلي، وضمان استمراريته: التحدث عن الجو وفضاء المدينة وإثارة محكيات مؤطرة تتعلق بذكريات الصديقية)، ومدح المخاطب والدعاء له (ما جنة الخلد الا في دياركم. تقبلها الله منك وجعلها كفارة لنا أجمعين)، والتمهيد لموضوعه الأساسي بملفوظات أولية تهيء المخاطب نفسيا (ضرورة ربط الصلة بين أولاد البلد جميعهم، وبيان المناسبة الكبيرة التي حفزتهم على الاتصال بالشخصيات الصديقية البارزة... الخ)، والتصريح بالموضوع بعد التأكد من تهيُّؤِ المخاطب نفسيا واستعداده للاستجابة له، وتفصيل البرنامج الذي اتفق عليه مع أغرام (خاصة بالنسبة للخلوقي الذي يتميز بالفضول لأن مهنته تفرض عليه ذلك).

تتحكم في فعل أغرام خلفيات ورغبات باطنية. حدد لنفسه دور الاتصال بالباشدور، لأنه يريد التعرف عليه قصد التمهيد للاستفادة منه في قضايا شخصية. تكلف شعيب بالاتصال بالشخصيات الأخرى. ورغم ذلك ظلا يتحملان دور الذات للاتصال بأبناء بلدة الصديقية. يقترن فعل أغرام بلغة تنم عن دبلوماسية كبيرة تؤهله لإقناع المخاطب، وكسب ثقته ومودته مستغلاً أساليب المجاملة ومنطق أولاد البلد.

وبعد انتهاء الفاعلين من مهمة الاتصال بأولاد البلد مباشرة أو عن طريق المراسلة، جاءت مرحلة تقييم طبيعة كل واحد منهم، وبيان مدى استعداده وقابليته للمساهمة في المشروع الرياضي. أو بمعنى آخر مدى وقدرته على أن يصبح مساعدا للبحث عن الموضوع القيمي الأساسي. وهنا لابد من إبداء الملاحظات التالية:

(1) نظرا لحدة المشاكل التي يعاني منها عمر ووشان، والتي يمكن أن تؤثر سلبا على مشاركتهما في العمل الجمهوي؛ فهما في نظر شعيب وأغرام مجرد مساعديْن مزيفين وسلبيين.

(2) -إلى حدود هذا البرنامج السردي الأولي، يتبين أن الباشدور والخلوقي هما مساعدان إيجابيان. أبديا تقديم مساعدات مادية إلى الجمعية، لكن دون الانخراط فيها لأن مهنتهما تمنعهما من ذلك.

(3) - توصل أغرام وشعيب برسالة يخبر فيها صاحبها عدم استساغته فكرة المساهمة في مشروع تقليدي وقبلي. إنه عامل معيق اختار لنفسه وضع حد بينه وبينهما دون الدخول معهما في صراع.

(4) هناك معيق آخر(فضول ابن البلد وبائع الأثاث)، أبدى عدم رغبته في تقديم أية مساعدة لأغرام، لأنه لا يريد أن يشغل باله بأمور لا تهمه.

3 - البرنامج السردي الثاني للاستعمال : تنظيم الحفلة .

يبين تنظيم الحفل أن الفاعليْن (شعيب وأغرام) توفقا في مهمتهما وبرنامجهما السرديين، وذلك راجع الى مؤهلاتهما الذهنية واللغوية. كانت هذه الحفلة مناسبة لتنضاف فواعل باعتبارها وحدات معجمية (سرحان وخميطة وعلي نور) أو عوامل باعتبارها وحدات دلالية (مساعدون) إلى المسار الحكائي. وبما أن جو الحفلة تطغى

عليه ـ على مستوى الظهور ـ أساليب المجاملات المسكوكة والعواطف التي تقتضيها الأعراف (العناق، وتبادل الابتسامات، وتبادل التحايا والأخبار)، وتختفي فيه ـ على مستوى الكينونة ـ المشاعر الحقيقية. فإنه لا يمكن أن نحكم على طبيعة المساعدة التي سيقدمها المدعوون للمشروع الرياضي. ورغم هذا الجو المفعم بمشاعر الظهور (التنكر والنفاق)، هناك فاعل (الباشدور) أفصح عن تحفظه من المشروع، لأنه لم يوفر له كل الضمانات القانونية التي ستجعله مرتاحا ومطمئنا من الاشتغال فيه. وفي حالة عدم توفرها يمكن أن يتحول من عامل مساعد الى عامل معارض. كما نتأكد من سلبية مساعدة عمر، فهو انساق وراء المشروع دون الاقتناع به مثل انسياقه وراء الفتاة ذات العينين الزرقاوين. «لما جينا وجدنا الخبز في الفرن ـ ماذا نفعل؟ قيل لنا: تابعوا العملية» ص.185.

4 ـ المواجهة غير المباشرة بين البرنامج السردي (ب.ـس1) والبرنامج السردي المضاد (ب ـ س 2).

لما توفق شعيب (فرضت الذات 1 نفسها على الأحداث وأصبح الموضوع القيمي مرتبطا بها، في حين انشغلت الذات 2 بقضايا أخرى) في امتلاك الموضوع القيمي (تكوين فريق)، حصل تحول جوهري في البناء السردي: من حال الانفصال (ذ 1 $\cup$ م ـ ق) الى حال الاتصال (ذ 1 $\cap$ م ـ ق). وبدأت تظهر بوادر الصراع وإرهاصاته بين من يناصر الفريق القديم ومن يساند الفريق الجديد. وكل فريق يحاول السيطرة والتحكم في الوضع الاجتماعي بالمدينة. وتجلت في هذا الإطار حقيقة جوهرية مفادها أن الموضوع القيمي الذي كان أساسيا أصبح مجرد برنامج سردي للاستعمال (الفريق وسيلة لفرض إيقاع ما داخل المدينة). ونتيجة احتدام المواجهة غير المباشرة وذات الطابع الجدالي بين الطرفين. انتقل الموضوع القيمي من أنصار الفريق القديم الى أنصار الفريق الجديد. ويمكن أن نختصر هذه النتيجة

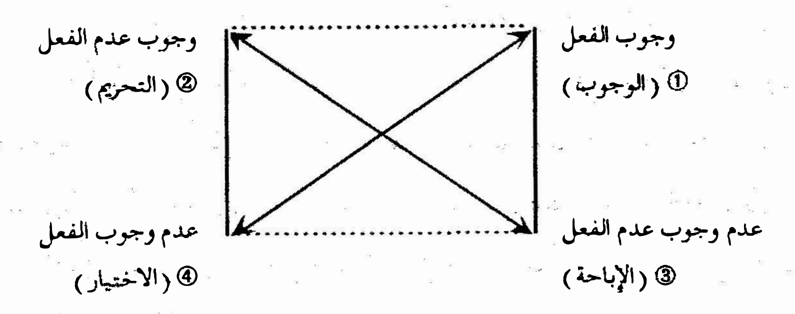
(التحـول السيـميـائى) فـي الصيغـة التاليـة : ف ج ∩ م ق ∪ ف ق، وتعني أن المواجهة التي ما زالت لحد الان غير مباشرة وتعتمد على المواضيع الجهية ذات علاقة بسيميائية الكلام. وفي مقدمتها جهة قدرة/الكلام. وبمقتضاها وجد طرف نفسه في انفصال عن الموضوع القيمي، في حين يكون خصمه في اتصال معه. إن الإقرار بهذا التضعيف (قصة الفريق الجديد وقصة الفريق القديم)، يفرض علينا اعتبار الخطاطة السردية مكونة من مسارين سرديين: يخص هذان المساران الذاتين (الذات والذات المضادة) المتحركتين داخل الحكاية، يمكن لهما أن يتما بشكل منفصل... لكن، من الضروري، أن يلتقيا في لحظة ما لكي تتم المواجهة [الحقيقية] التي تمثل اللحظة الحاسمة في الخطاطة السردية(27).

ترتب عن التحول الجوهري برنامجان سرديان : امتلاك طرف للموضوع (الكسب) وافتقاده من طرف آخر (الحرمان). كما ترتب عنه نسق الإعاقة: وبمقتضاه أصبحنا أمام برنامج سردي يدافع عنه شعيب وأغرام وسرحان وعمر والباشدور والمختار (وإن كانت طبيعة الدفاع ودرجته مُتَفَاوِتَتَيْن) وبرنامج سردي مضاد يدافع عنه أعضاء المجلس البلدي الذين يحاولون من خلاله استرجاع تحكمهم في وضعية المدينة (إزاحة فريق شعيب أولا ثم التحكم في الوضع ثانيا).

في إطار هذه المواجهة غير المباشرة، لابد من إبداء الملاحظات التالية :

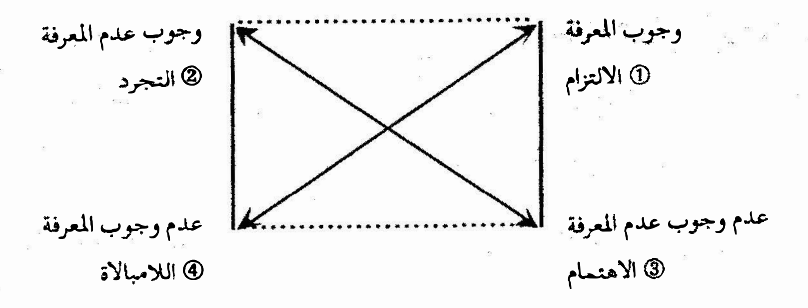
1 ـ ارتكزت تلك المواجهة على سيميائية العمل (كل طرف يتحرك في اتجاه كَسْبِ المساعدين) وعلى سيميائية الكلام (كل طرف يجهد نفسه لإقناع عموم الناس بأهمية طروحاته). بدأ شعيب في تلقين لاعبيه مبادىء المجاهدة ومصارعة العدو وترديد الشعارات الدينية المسكوكة في وقت قيامهم بجولات تدريبية عبر أهم أضرحة المدينة. اتصل أعضاء المجلس البلدي بالخلوقي لاستشارته فيما تعرفه المدينة من مستجدات خطيرة، وتحسيسه بضرورة التعاون معهم لوضع حد لها. يركز شعيب

في لغتـه على جهـة وجـوب/الفـعل (يطلب فـعـلا على وجـه الإلزام والاسـتـعـلاء والإرشاد) التي تصـح لنا بتشكيل المربع السيميائي التالي :



يتأرجح موقف شعيـب بين طرفي محور التضاد : وجوب المجاهدة لرفع رأس الصديقي عاليا ، وتحريم التخاذل لتغيير الوضع القائم .

بالمقبال، يركز الطرف الآخر في لغته على جهة وجوب / المعرفة التي تَسْتَتْبِعُ المربع السيميائي التالي :



يتأرجح موقفه بين طرفي محور التضمين بالإثبات :

الالتزام بمعرفة كل القضايا المتعلقة بالفريق الجديد، والاهتمام بمستجداته وتحركاته كما أن 1 و2 يرتبطان بالخبر الذي ليس الغرض منه فائدة الخبر بل لازم الفائدة وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنه (المتكلم) عالم بحكم الخبر أي بمضمونه .

«لهذا جينا نشاور معك. أسي بنعيسى الأخبار كلها عندك. هذا العمل بالموافقة أولا» ص.110 «هذا هو الحق أنت يا سي بنعيسى عارف خبايا الأمور. لابد تبيين لنا الواقع» ص.152.

نكتفي بهذين الاستشاهدين لبيان أن المتكلمين لا يقصدون من كلامهم إفادة المخاطب شيئا مما ضمنوه من أحكام (العمل بالموافقة أو عدمه، معرفة خبايا الأمور)، لأن ذلك يعلمه المخاطب عن نفسه قبل أن يعلموه. ربما يريدون إظهار أنهم عالمون بمضمون الخبر اعترافاً بمؤهلاته المعرفية التي كسبها من مهنته، يرغبون في الاستفادة منها (الوجوب والاهتمام) لمواجهة الطرف المضاد (ب-س-م).

2 - يتحمل فاعل واحد دورا عامليا (المساعدة) في المسارين السرديين المتناقضين:

1 - يقدم الخلوقي مساهمات مالية للمشروع الرياضي رغم تحفظه وتخوفه منه. وفي الوقت نفسه يقدم النصح والإرشادات لأعضاء المجلس البلدي طالبا منهم التعاون مع أعضاء لجنة المساندة. (لأنهم أولاد البلد، ولم تصدر عنهم - لحد الآن - أفعال وأقوال غير قانونية) وحاثا إياهم على ضرورة استثمار العلاقات العائلية (من جهة نائب رئيس المجلس البلدي الذي له علاقة بموسى) لإبلاغ الطرف الآخر أنهم على استعداد لتبنى الفريق الجديد شريطة مزجه ودمجه بالعناصر القديمة.

2 - لا يظهر موسى إلا ضمن المسار السردي المتعلق بمشروع شعيب (عامل مساعد يقوم بتدريب الفريق الجديد وتزويده بالخطط الضرورية). ورغم ذلك فهو قد اختير من طرف المسار السردي المضاد لإيصال وتبليغ فكرة التبني. ولما كان اللاعبون والمسيرون مجتمعين صرح بها «أخيرا تم الاتفاق مع المجلس البلدي قبل احتضان فرقة واحدة. نقوم نحن بتكوينها ونختار من بين لعابة الفرقة القديمة أجود العناصر» ص. 224.

3 ـ تم إقناع سرحان بإلقاء عروض تكوينية وتثقيفية بنادي الفريق، لأنه يتوفر على الموضوع الجهي (معرفة/القول). ورغم أنه عامل مساعد في إطار حملة مواجهة خصوم الفريق الجديد، فهو يحمل قيما فكرية ليبرالية، غير مستساغة بالنسبة للاعبين الذين اعتادوا على بلاغة اليومي والمبتذل، وتمرسوا على الأفكار التقليدية.

4 ـ أفرزت المواجهة غير المباشرة قيما (تغيير الأوضاع) وقيما مضادة (تكريس الوضع القائم)، وبرنامجا سرديا أساسيا وبرنامجا سرديا مضادا. ولكل برنامج مساراته الصورية التي يمكن إثباتها في الخانتين التاليتين.

ب ـ س	ب ـ س ـ م
ـ تجهيز النادي. ـ تمويل المشروع. ـ بداية التداريب. ـ العروض التكوينية. ـ الارتياح لفكرة تبني المجلس للفريق لكونها وسيلة لإبعاد الطرف الآخر (الفريق القديم) من الصراع.	ـ الاتصال بالخلوقي واستشارته. ـ الاقتناع بضرورة تبني الفريق الجديد. ـ الاحتضان وسيلة لاحتواء الفريق الجديد والتحكم في الوضع الاجتماعي ـ التبني وسيلة لإعادة الاعتبار للفريق القديم.

5) اقترح كَريماصْ إدخال مفهوم الإنجاز ضمن المصطلحات السردية، ليحل محل المصطلحات الفضفاضة (الاختبار) و(التجربة) و(المهمة الصعبة)[28]. وهو يظهر ـ بصرف النظر عن أي اعتبار للمحتوى ـ بوصفه تحولاً تنتج عنه حالة جديدة للأشياء[29]. فبعد أن تكون الفريق الجديد أصبح الجمهور يترقب نتائجه الإيجابية لنسيان النتائج السلبية التي كان يحصدها الفريق القديم. ولا يمكن له الحصول عليها إلا إذا اكتسب مواضيع جهية تجعله في مستوى الأهلية التي يتطلبها الإنجاز:

واجب/الفعل (يجب عليه، إن أراد تصفية الحساب بشكل نهائي مع الفريق القديم، أن يكون في مستوى طموحات ورغبات الجمهور، وأن يهدي له الانتصارات التي يترقبها)، وقدرة/الفعل (أن يتقن شروط اللعبة)، ومعرفة/الفعل (أن يدرك ثغرات الخصم وخططه). إن هذه المواضيع الجهية تتعلق بسيميائية العمل المنقولة لغويا والمرتبطة جدليا بسيميائية الكلام: معرفة/القول (تعليم اللاعبين الخطط الملائمة، وترديد الشعارات والأمداح الدينية).

يتمثل الإنجاز في المقابلة التي سيجريها الفريق الجديد مع خصمه أمام جمهوره الصديقي. إن الانتصار سيمكن شعيب من توطيد علاقته بالموضوع القيمي وإحكامها. أما الهزيمة فستعطي الفرصة للخصم للتمكن من زمامه. ولما حانت لحظة الإنجاز تبين مدى هشاشة سيميائية العمل (تثاقل اللاعبين) وسيميائية الكلام (عدم تطبيق التعاليم التي لقنت لهم)، وهو ما سبب في تذمر الجمهور وسخطه وخيبة أمله. إن الهزيمة، في إطار المواجهة غير المباشرة، لا تخدم فريق شعيب (الفاعل الجمعي) لأنها ستقلص من شعبيته وستشكك في كفايته وأهليته. وبالمقابل تخدم الطرف الآخر الذي سيحاول استثمارها لخدمة نواياه وأغراضه الإيديولوجية.

5 ـ المواجهة المباشرة :

هي عبارة عن مواجهة لغوية ذات طابع جدالي قوي بين البرنامج السردي الذي يدافع عنه شعيب وبين البرنامج الذي تدافع عنه السلطة (انضمام الباشا والخلوقي إلى جانب المجلس البلدي). فهذه الأخيرة استغلت هزيمة الفريق الجديد لمحاولة احتوائه وشل حركيته خاصة وأنه كان يشكل بالنسبة لها عائقا يحول دون فرضها للإيقاع الذي ترغب فيه داخل المدينة، وتمكنها من إعادة إنتاج البنيات الاجتماعية. كان أعضاؤها يستعينون بالقانون (مساعد أساسي للسلطة لكونه يخدم أغراضها وإيديولوجيتها) في محاولة تلفيق تهم للفريق الجديد ومحاكمته وحظره. لكن بما

أنه كان يشتغل في حدود ما يسمح به القانون، فإنه تعذر عليهم ذلك. لكنه نتيجة انهزام الفريق واحتجاج الجمهور، أتيحت لهم فرصة ملائمة للتدخل في شؤون الفريق وإثارة ما ترتب عن تكوينه من مشاكل وأخطار، وزحزحة شعيب عن رئاسة الفريق، ووضع مكانه مدير مدرسة، والاتفاق على تبني الفريق الجديد الذي سيصبح - حسب ما يزعمون - وسيلة تمكنهم من الوصول الى الموضوع القيمي. وفي إطار هذه المواجهة العلنية لابد من الإشارة إلى الملاحظات الآتية:

(1) وجد شعيب نفسه في امتحان عسير نظرا لتألب السلطة ضده واستعدادها لإفحامه بالحجج الدامغة، وسلبية مساعديه الذين لم يقفوا الى جانبه لمجادلة الخصم. وذلك إما نتيجة للغياب (الباشدور وعلي نور وخميطة والمختار وشان) أو الاضطلاع بدور العامل المعيق (لم يبق الخلوقي متحفظا من الفريق الجديد بل أصبح يعارضه بعد تأكده من خطورته على الاستقرار الأمني بالمدينة) أو التفرج على أطوار المجادلة (لم يتدخل موسى لمساندة زميله شعيب في أمور تهم تأسيس الفريق، رغم تنبيه سرحان الحاضرين إلى اسم شعيب كلما تعلق الأمر بمهمة التدريب أو تنظيم مهرجان الطرب) أو الانسياق وراء طروحات الخصم وتدعيمها (أغرام).

(2) إن تأييد أغرام للبرامج السردية المضادة والصدع بها في الاجتماع (زحزحة شعيب عن الرئاسة، وتبني الفريق الجديد، وإدخال تعديلات عليه، والتحذير من ظهور ثغرات في سير أعماله)، استفاد منها كذلك شعيب لأنها أنقذت فريقه من التشتت والحظر. لكن الذي استفاد أكثر هو أغرام لأنه حافظ على الإطار الذي سيمكنه من تحقيق أغراضه ومآربه الذاتية.

(3) - يَتَبَيَّنُ أن هناك فواعل - على سلبيتها - لها غيرة على الفريق (أغرام وموسى وسرحان والباشدور)، وأن هناك فواعل أخرى غير منشغلة بمصيره أو خطواته وآفاقه. كل ما يهمها هو انشغالاتها الذاتية (عمر وعلي نور وخميطة والمختار).

(4) ـ يمكن للعوامل أن تصنف حسب المؤشر الايجابي (ذ1 + ذ1̄) أو المؤشر السلبي (ذ2 + ذ2̄)، الأمر الذي نجم عنه تضاعف البنية العاملية، بحيث أن كل عامل يمكن أن يحيل على أحد المؤشرين[30]. ويمكن تشخيص تمفصل دلالاتها في مجموعات المربع السيميائي المتشاكلة:

ذ1 ≃ مساعدة

ذ2 ≃ معارضة

د1 ≃ لا مساعدة

د2 ≃ لا معارضة

د1	ذ2
ذ1	ذ2

1 ـ إن المؤشرين الإيجابي والسلبي، لهما حمولة أخلاقية وأكسيولوجية. فمن يعتبر إيجابياً (ذ1) في هذا الطرف يعتبر سلبيا (ذ 2) في الطرف الآخر. فعلى مستوى محور التضاد (ذ1 ←--→ ذ2) يعتبر فاعل الخلوقي إيجابيا من منظور السلطة، في حين يعتبر سلبيا من منظور شعيب. ويعتبر فاعل سرحان سلبيا بشكل قطعي من وجهة نظر الطرف الأول، في حين يعتبر إيجابيا من وجهة نظر الطرف الثاني. وهكذا يتبين أن فاعلا واحدا قد يحمل مؤشرين متناقضين حسب تأطيره أكسيولوجيا وأخلاقيا. كما يتبين أن المربع السيميائي يمكن أن يُستثمر بوصفه موضعاً منطقياً لتضارب القيم الأكسيولوجية والعينات الإيديولوجية.

2 ـ على مستوى التضمن بالإيجاب (ذ1←--→ ذ2) يتبين أن شعيب غير معزز بفواعل إيجابية، في حين أن السلطة معززة بعها، ونظمت تدخلاتها، ووزعت

3 ـ تتضح، ضمن محور التضمن بالنفي (ذ2 ←---→ ذ1̄)، حدة الصراع بين السلطة وشعيب. هناك فواعل تندرج فيه سواء من منظور هذا الطرف أو الطرف الآخر. سرحان (من منظور السلطة) وفضول وصاحب الرسالة المجهول الهوية (من منظور شعيب).

4 ـ من منظور شعيب تندرج الفواعل التالية (موسى وسرحان والباشدور وأغرام) ضمن محور التناقض.

5 ـ يترتب عن مؤشري ذ2̄ ←---→ ذ1̄ حد مركب محايد أي لا سلبي ولا إيجابي. وضمن هذا المحور (شبه التضاد) ندرج فاعلي علي نور وخميطة.

6 ـ إن مؤشري ذ 2 ←---→ ذ2̄ بمثابة حدين متناقضين لا يمكن أن يجتمعا في حالات متعددة (يسمى هذا بالنفي العدمي)[31] . لكنه ـ وفي حالة استثنائية ـ اجتمعا في فاعل واحد (أغرام). فهو غير سلبي (مساعد) لأنه أنقذ الفريق من التفكك، وفي الوقت نفسه سلبي (معيق) لأنه ترك بصيصا من الأمل لشعيب. ويمكن تأويل المؤشرين وفق قراءة مغايرة. فهو غير سلبي لأنه انساق وراء طروحات السلطة، ولكنه سلبي من وجهة نظر شعيب.

5 ـ اتخذت المواجهة بين الطرفين شكلا لغويا : اللغة ليست نظاما للتواصل بل للتعزيم incantation (بالمعنى الذي يعطيه بورديو لهذه الكلمة) أي لفرض قيم سائدة من طرف من لهم الحق والشرعية في ذلك، أما الطرف المعارض فهو مجبر على تلقيها أو معارضتها بقيم بديلة. إن الشروط التي تتوفر عليها السلطة (شرعية المؤسسة والقانون، واللغة الرسمية، وطقس الوظائف المهنية)، جعلتها تعمل بشكل معترف به، كما أنها تتوفر على عدة قنوات لتمرير خطابها. إن الأدلة اللغوية مطبوعة بالأفق المجتمعي والإيديولوجي لجهة أو لفئة اجتماعية إذ أنَّ المتكلمين يحرفون مقاصدهم داخلها. وما يحدد عملية الحرف هو اصطدام المصالح المجتمعية المتناقضة (الصراع الاجتماعي الذي يتجلى في اللغة). لكن هذا الصراع غير متكافىء الأطراف؛ فطرف

استغل، بالإضافة إلى الظروف السابقة ، عنصر الهزيمة وغياب مناصري شعيب، كما أنَّه يمتلك القدرة على فرض برامجه السردية للاستعمال : زحزحة شعيب عن الرئاسة، وتبني الفريق الجديد، ودمجه بالعناصر القديمة، وتسييره في حدود ما يسمح به القانون. أما الطرف الثاني فكان مجردا من القدرة على الكلام لأنه لم يستطع الرد على التهم الموجهة إليه، فاستسلم للأمر الواقع قابلا الشروط والاقتراحات التي فرضت عليه، وهذا ما حذا بشعيب أن يصرح بما يلي: «عملي كله تطوع. أنا مستعد أعمل في أي إطار» ص، 289. لكنه، في الحقيقة، حكم.عقله للخروج من المأزق بأقل ما يمكن من الخسائر والتراجعات، فوجد في الصمت حيلة فعالة لعدم الدخول في لجاج مفتعل قد تترتب عنه نتائج وخيمة واقتراحات مضادة خطيرة، ثم ارتأى أن يتخذ موقفاً مرنا : قبل شروط السلطة (برامجها السردية) وحافظ في الوقت نفسه على الإطار الذي يمكن أن يستغله (ما دام مدربا ومنظما ومسيرا) كورقة ضد خصومه، لما تهمد العاصفة التي كان ضحية لها.

6 ـ الورقة الاخيرة : ربح الرهان أو خسرانه :

إن المؤهلات الذهنية التي يتوفر عليها شعيب، جعلته يخرج من الاجتماع وهو في غاية الاطمئنان. لأنه رغم إبعاده عن رئاسة الفريق، احتفظ به مكلفا بالتدريب والتنظيم؛ الأمر الذي يخول له بمعية موسى اقتراح التشكيلة المناسبة (أغلبها من العناصر الجديدة). المهم بالنسبة إليه أنه حافظ على الإطار الذي ضحى بوقته وعمله من أجله، وعلى الوسيلة الكفيلة بإيصاله الى الموضوع القيمي. وفي الوقت نفسه خرجت السلطة من الاجتماع وهي مطمئنة على انتصارها، وتمكنها من الوسيلة التي مكنها من إعادة إنتاج البنيات الاجتماعية، واحتوائها للفريق الذي كان «يشوش» عليها ويخلق لها متاعب وعراقيل. ما هو الطرف المؤهل للوصول الى الموضوع القيمي؟ إن هذا السؤال يعني بالدرجة الأولى شعيباً الذي سيحاول الاستفادة من أخطائه وثغراته لبيان كفايته أولا وإنجازاته ثانيا. أما السلطة فهي تعتبر نفسها منتصرة بفضل كفاياتها الذهنية واللغوية، وترى أنها تخلصت من خطورة فريق

شعيب الذي كان يخلخل راحتها، وتمكنت من الوسيلة الكفيلة بتحقيق أهدافها المرجوة. كما تركت أوراقا محتملة لتلعب عليها مستقبلا: إذا انتصر الفريق الجديد، فالفضل يعود أساسا إلى التعديلات المقترحة. وإن انهزم فلابد من إحداث تعديلات في مجال التسيير أو التدريب. شعر شعيب في الاجتماع أن السلطة تنافسه في إدراك الموضوع القيمي. لكنها لم تنتزعه منه كلية، فما زالت عنده الآن ورقة سيلعبها، خاصة وأنه أمام إنجاز كبير (مقابلة رياضية بالملعب الشرفي) هو عبارة عن مواجهة غير مباشرة مع السلطة. فان تَخَطَّاها بنجاح سيعزز علاقته مع الموضوع القيمي، وإن فشل سيمكن الخصم من امتلاكه وكسبه.

اتخذ الإنجاز شكل حرب إيديولوجية وصراع اجتماعي شنهما شعيب على السلطة (قدرة/ الفعل: مظاهرة اجتماعية صاخبة، وقدرة/القول: ترديد شعارت دينية)، واحتاج هذا الإنجاز الى حمولة نظرية (الدين) تضطلع بها فئة اجتماعية (تقليدية جوهرية) لفرض برنامج سردي أساسي (التحكم في الوضع الاجتماعي بالصديقية).

كانت الظروف والملابسات أثناء الإنجاز ضد طموحات شعيب (اضطراب الجو، واشتداد العواصف، وتعطل الحكم، وتوقف الساعة، وعدم فعالية اللاعبين، والسخط العارم للجمهور)؛ الأمر الذي جعل السلطة تتغلب عليه وتلقي القبض على المشتبه في أمرهم، وبالتالي تتمكن من إعادة الأمور الى مجرياتها الطبيعية. ويمكن أن نسجل في هذه النقطة الجوهرية من المسار السردي ما يلي:

(1) لم تكن المدة كافية (من المواجهة المباشرة الى الإنجاز) ليتجاوز شعيب الخطآت والثغرات السابقة، ويستعد جيدا للمقابلة المصيرية. وإن كان قد خرج من الاجتماع دون مساعدين حقيقيين، فهو ـ خلال هذه المدة الوجيزة جداً ـ قد استطاع أن يكسب ثقة بعض المساعدين الآخرين. وفي مقدمتهم الشدادي الذي يعرف كيف يستقطب الجمهور لمشاهدة المقابلة. وبالفعل حَجَّ الجمهور إلى الملعب الشرفي

ـ بكثرة للتأكد من جهة مما سمع عن فريق خطير وفعال، والتعبير من جهة أخرى عن سخطه على الأوضاع الاجتماعية. كما أن اللاعبين تحمسوا لمرحلة الإنجاز لتدارك النقائص التي حالت دون انتصارهم في المقابلة السابقة. ورغم عدم تداركها أخذ شعيب انطباعا جيدا عنهم، لأنهم أدوا الوظيفية التي كلفوا بها «الأولاد لعبوا لعب الأبطال. ولقنوا درسا فنيا للجميع» ص، 338. لم يكن موسى خلال مرحلة التداريب نشيطا وفعالا «واقف كالصاري يسمع ما يتكلم» ص، 234، وهو ما جعل شعيب يتحمل الوزر وحده.

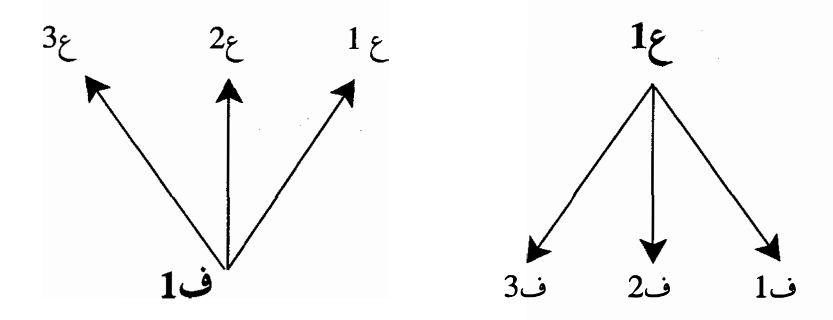
(2) انضاف المحامي الزبير الى المسار السردي كعامل مساعد لشعيب (للدفاع عن ملف الفريق)، وتبين أن الخلوقي لم يكن مساعدا إيجابيا للسلطة. فرغم قيامه بواجبه المهني (الاستخبار وتقديم التقارير واعتقال المشتبه في أمرهم)، فقد خلق انطباعا لدى الجهات العليا بأن القضية تافهة. ولو نظر الى الأمور بحزم شديد، لتم تجنب ما وقع في الملعب الشرفي من أحداث خطيرة. وانضاف مساعدو السلطة إلى دائرة الحكي لتحليل ما وقع من الوجهة الرسمية (مثلا الاستاذ عبد الكريم الصياد)، أو بيان دور رجال الأمن في استتباب الأمن والقبض على «المشوشين». أطلقت السلطة سراح أعضاء لجنة المساندة باستثناء شعيب. اعتقلت سرحان لأنها تعتبره عاملا معيقا لمخططاتها، ورغم ذلك تعذر عليها إيجاد تهمة تنطبق عليه؛ فطلبت منه ـ بنوع من اللطف والمجاملة ـ مغادرة الصديقية بدعوى أنها لا تليق بشخصيته وطموحاته.

(8) ـ تحولت المقابلة إلى مواجهة عنف بين الطرفين. كل طرف يسعى الى فرض قيمه ومساراته الصورية وبيان كفايته، لكن تبين أن فريق شعيب لم يكن منظما، فسبقته الأحداث رغم أهمية العروض التي قدمها لمنافسه. إن السلطة لما شعرت بانفلات الأمور من بين يديها أعطت الآوامر بتطويق الملعب والقبض على «المشوشين». إن الرهان الذي قامت عليه هذه المواجهة هو امتلاك الموضوع ا المرغوب فيه من طرف قُطْبي الصراع على حد سواء. ونتيجة تفوق السلطة وجدت نفسها في

اتصال مع الموضوع القيمي، في حين وجد خصمها نفسه في انفصال عنه. ويمكن اختصار تلك المواجهة في الشكل التالي: ذ ∪ م ∩ ذ ـ م.

7 ـ البنية الفاعلية (الفواعل والأدوار الموضوعية):

«إن التفسير اللغوي الجديد للشخصيات الدرامية ـ الذي اقترحناه بالاعتماد على الوصف البروبي للحكاية الروسية العجيبة ـ يبحث في المقام الأول عن إقامة تمييز بين العوامل المتعلقة بالتركيب السردي والفواعل، التي تعرف في الخطابات الخاصة المتجلية فيها»(32). إن هذا التمييز الملائم، بالنسبة لكريماص، جعله يعتبر «العلاقة بين العامل والفاعل ليست علاقة تضمين بسيطة لحالة في فئة ما، بل علاقة مضاعفة:



إذا أمكن لعامل واحد (ع1) أن يتجلى في الخطاب عبر عدة فواعل (ف1، ف3، ف3) فإن العكس ممكن كذلك؛ ففاعل واحد (ف1) يمكن أن يكون مؤلفا من عدة عوامل (ع1، ع2، ع3)»(33) إن ذلك التمييز أساسي لتجاوز التصور الساذج عن الشخصية الذي يعتبرها ثابتة على طول الخطاب، واستبداله بتصور يعتبره فاعلا حركيا وحيويا يضطلع بعدة أدوار عاملية وموضوعاتية.

1 ـ **الأدوار العاملية والفاعلية**: إن البنية العاملية هي تنظيم للمتخيل البشري، وموضع للتفاعل والتصارع بين مختلف التوجيهات الأكسيولوجية والإيديولوجية. إن عاملا واحدا قد يتضمن عدة فواعل. كما أن فاعلا واحدا قد يؤدي عدة أدوار عاملية.

1-1 - على المستوى العاملي:

أ - المرسل: هناك عدد من الفواعل سواء أكانت مجازية أم حقيقية، تقوم بوظيفة الإرسال: الأنانية ↶ (أغرام)، الفراغ الاجتماعي ↶ (شعيب)، أغرام ↶ (شعيب إلى بعض الشخصيات الصديقية المرموقة، الباشدور للبحث عن كتاب حول تاريخ الصديقية...)، المجلس البلدي ↶ (موسى الى الفريق الجديد قصد إخباره بفكرة التبني)، مدير مدرسة الهمذاني ↶ (أغرام لحضور الحفل)، شعيب ↶ (زوجته لإخبارها بنية الطلاق، الخلوقي إلى المعلم بنمسعود لإقناعه بضرورة تعليم مبادىء الشطرنج للمنخرطين)، مدير الأمن ↶ (المحامي الزبير الى سرحان لإقناعه بضرورة مغادرة الصديقة)، سرحان ↶ (الخلوقي إلى العوني لإقناعه بأنه يرغب في زيارته)، ذات العينين الزرقاوين ↶ (الشرطة بهدف توريط عمر في فضيحة أخلاقية)، الشرطة ↶ (خميطة لإخبارها بانفجار مطبخها). علي نور ↶ (خميطة بهدف تعميق علاقة الحب فيما بينهما)... الخ.

ب - المرسل اليه: يمكن أن نقلب اتجاه العلاقات السابقة فنحصل على ما يلي: الشخصيات المرموقة ↷ (أغرام). شعيب ↷ (الفراغ الاجتماعي). الباشدور ↷ (أغرام)، موسى ↷ (المجلس البلدي)، المحامي الزبير ↷ (مدير الأمن)، الخلوقي ↷ (سرحان)، خميطة ↷ (علي نور)... الخ.

ج - المعيق والمساعد: كل ذات يساندها المساعدون ويعترضها المعيقون. يعارض فاعل/مريم عمر على سلوكه في الحياة ويساعده فاعل/الأم على توطيد علاقته مع الفتاة. مساعدا خميطة للتعرف على علي نـور هما شعيب وأغرام، ومعارضها هو المامون الذي أجهض كل أحلامها الجميلة والوردية بتفجير المطبخ. مساعدو السلطة (من خلال الحالة النهائية) هم الخلوقي والباشا ورجال الأمن وعبد الكريم الصياد وأغرام والباشدور... الخ. أما معارضوها فهم شعيب وسرحان والجمهور واللاعبون... الخ. مساعدو شعيب هم الذين يعارضون السلطة والمجلس

البلدي والعكس صحيح . مساعد المختار وشان هو فاعل العمة، أما معارضوه فكثيرون (الزوجة وزميله في العمل وشعيب والخلوقي وأغرام).

د ـ الذات : بقدر ما تتضاعف المواضيع القيمية، بقدر ما تتضاعف الذوات. يسعى أغرام وشعيب إلى تكوين الفريق. وبالمقابل تسعى السلطة إلى احتوائه والحد من شوكته. ترغب مريم ـ قبل أن تصاب باليأس ـ في التفاهم جيداً مع عمر، في حين ترغب الفتاة في إيقاعه في فخ الزواج. يستهدف أعضاء المجلس البلدي من زيارة العوني التبرك، في حين يستهدف سرحان منها معرفة مواقفه السياسية والدينية... الخ.

هـ ـ الموضوع القيمي : يتحدد بوصفه موضوعا ينقل قيما (أو تحديدات) تكون بالنسبة إلى الذات إما متصلة أو منفصلة[34]. وهذا ما يجعله مصدر تصارع وتنازع بين ذاتين مما تنتج عنه مواجهة تنتهي بتفوق الأقوى على الضعيف، والذكي على الغبي. عاينا عبر تسلسل الأحداث وجود صراع بين السلطة وشعيب. في الحالة البدئية كان الرهان حول من يصل إلى الموضوع القيمي الأساسي : شعيب يرغب في تكوين فريق جديد وقوي، والسلطة تبحث عن إعادة الاعتبار للفريق القديم. أما في الحالة النهائية تحول الموضوع القيمي الأساسي (الفريق) إلى مطية للتحكم في موضوع أكثر قيمة منه : السيطرة على الوضع الاجتماعي لبلدة الصديقية. والغريب في الأمر أن الفواعل المساندة للفريق الجديد، كانت ترى فيه وسيلة لتحقيق أغراضها ومآربها الشخصية، أي مواضيع قيمية أساسية تهمها بالدرجة الأولى :

ـ أغرام : (الانتخابات) ⟸ الفريق وسيلة لربط الصلة بأولاد البلد واستقطابهم.

ـ المختار : (حل المشاكل النفسية والاجتماعية) ⟸ الفريق قناة تمكنه من التعرف على الشخصيات المرموقة، التي بإمكانها أن تتوسط له قصد معالجة مشاكله. ولما استحال عليه ذلك انسحب من الفريق ليستنجد بالأضرحة والفقهاء.

ـ خميطة وعلي نور : (الزواج) ⟸ مكنهما الفريق الجديد من التعارف فيما بينهما والتوادد، ومن التفكير في الزواج .

ـ عمر (التسرية) ⟸ انساق وراء المشروع الرياضي دون الاقتناع به، لأنه وجد فيه متنفسا لتبديد مشاكله الشخصية (هروب مريم، والطرد من العمل، والكسر، والوحدانية) وملاذا للاسترواح وإزالة الغم .

ـ الخلوقي (الاستخبار) ⟸ وجد في الفريق وسيلة لإرضاء فضوله المهني، وقياس درجة الوعي عند الفواعل المساعدة له .

ـ الباشدور (النخوة الاجتماعية) ⟸ الفريق وسيلة لتلميع شخصيته السامية، وإضفاء مزيد من التقدير والهيبة عليها .

ـ سرحان (تحقيق مشاريع فنية) ⟸ الفريق وسيلة للاتصال بالشيخ العوني، وتسجيل أنغام العيطة، وتنظيم مهرجان للطرب الشعبي .

وهكذا يتبين لنا أن سلبية مشاركة العوامل داخل الجمعية الرياضية، كانت نتيجة انشغالها بمواضيع قيمية تخص برامجها الذاتية، وأنها لَمْ تَعِ الدور الحداثي والعصري الذي تقوم به أدوات التأطير المجتمعية . فهي تعتبرها وسيلة لتحقيق ما ترغب فيه مِن مآرب وطموحات شخصية . وتقدم مساعدات، ليس غيرة على هذه الأدوات أو وعياً بأهميتها في الصراع الاجتماعي لفرض قيم بديلة، بل مقابل الحصول على امتيازات ومصالح ذاتية .

1 ـ 2 على المستوى الفاعلي

إن البنية العاملية تحتاج لكي تشخص في الخطاب إلى وساطة تقوم بتنميط الأدوار العاملية، التي تتحملها فواعل (أي يحصل تداخل بين الفاعل والعامل) . ففاعل واحد يمكن أن يكون نقطة جذب واستقطاب لعدة عوامل :

1 ـ يمكن أن يتحمل أدواراً كثيرةً، قد تكون متناقضة لأن بنية الأحداث هي التي تفرض عليه من جهة أن لا يبقى ثابتا وجامدا، ومن جهة أخرى أن يغير موقفه وخطابه كلما اقتضت الضرورة ذلك. نرصد استقطاب فواعل الرواية لعدة عوامل على الشكل التالي: أغرام (ذات ومساعد ومعيق ومرسل ومرسل إليه)، وشعيب (ذات ومرسل ومرسل إليه ومعيق وموضوع قيمي (بالنسبة للمختار وشان))، وسرحان (معيق ومساعد ومرسل إليه)، والخلوقي (مرسل إليه ومساعد ومعيق وموضوع قيمي وذات)، والمختار وشان (ذات ومساعد ومرسل إليه) وعمر (ذات ومساعد ومرسل إليه)، والباشدور (معيق ومساعد ومرسل إليه) . . . الخ.

2 ـ يمكن لفاعل واحد أن يتحمل دورين عاملين متعارضين في الآن نفسه. يظهر الباشدور، من خلال فعله، أنه عامل مساعد؛ لكن من خلال كلامه (التحفظ من المشروع ومعارضة قيادته ومسيريه) يتبين أنه عامل معيق. ويمكن له أن يتحملهما في لحظات متباعدة (كان الخلوقي في البداية عاملا مساعدا لكنه فيما بعد تحول إلى عامل معيق). ويمكن أن يتحمل دوراً عاملياً، ولا يقوم به على الوجه الأكمل. ويقتضي الأمر هنا إدخال أحكامٍ قيمية إلى البنية العاملية للتميز داخل دور واحد بين الإيجابي والسلبي. مثلا يتبين أن عليا هو مساعد للفريق (الحضور إلى بعض اللقاءات)، ولما ندقق النظر في مساعدته نجدها سلبية (لا يحضر في تلك اللقاءات إلا لتعزيز وتوطيد علاقته بخميطة).

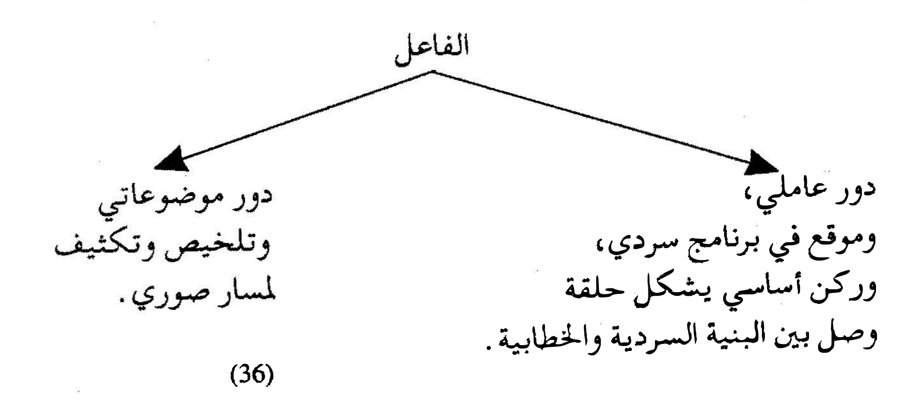
3 ـ يميز كَريماص بين نوعين من العوامل / المواضيع : عوامل محملة بقيم موضوعية وأخرى بقيم ذاتية. ارتكز هذا التميز على معيار بنيوي يراعي نمط العلاقة بين الذات والموضوع. تتم هذه العوامل في النوع الأول بفعل الملكية، وفي النوع الثاني بفعل الكينونة. وأضاف كريماص معيارا آخر، يكمن في تجليها الخطابي . بينما تكون المواضيع المحملة بالقيم الموضوعية ماثلة في الخطاب في شكل فواعل مفردة ومستقلة، تتجلى المواضيع الأخرى في فواعل تكون ذوات ومواضيع في الوقت

نفسه[35] . إذا صنفنا المواضيع القيمية للرواية حسب النوعين السابقين نحصل على ما يلي : تندرج في النوع الأول المواضيع التالية : الانتخابات، التحكم في وضع المدينة، حل المشاكل العائلية، التسرية . . . الخ، وتندرج في النوع الثاني المواضيع التالية : الخلوقي ذات تتحرك في اتجاه إقرار الأمن بالمدينة، وفي الوقت نفسه هي موضوع قيمي (بالنسبة لوشان)، وشعيب ذات تتحرك في اتجاه تكوين الفريق، وموضوع قيمي (بالنسبة لسرحان)، والفريق هو الموضوع القيمي الأساسي الأول (بالنسبة لشعيب وأغرام)، وفي الوقت نفسه ذات جمعية (فاعل جمعي) تتحرك نحو استبدال الوضع الاجتماعي والثقافي للصديقية بوضع آخر .

4 ـ يجب مراعاة في تفاعل وتداخل الفاعل والعامل الشكل الذي تتخذه سيميائية الكلام . فلما يكون الفاعل مساعدا، يستعمل مسارات صورية وخطابية معينة، ولما يتحول الى معيق يضطر الى استبدالها بأخرى . ورغم أهمية الفعل فهو ليس محددا أساسيا لوعي الفرد بل لابد من تدقيق النظر في كلامه . قد يكون الفاعل كما هو شأن المختار ممارسا في جمعية ما (الانخراط، المساعدة المالية قدر المستطاع، حضور اللقاءات والاجتماعات التعبوية والتكوينية) . لكن لما نحلل المسارات الصورية لخطابه، نجده يعارض أهداف الجمعية، ويخل بمنطلقاتها التأطيرية، وينشغل بقضايا ذاتية لا علاقة لها بالقضايا التي تدافع عنها .

2 ـ الأدوار الموضوعاتية :

الذات صورة حاملة في الآن نفسه لدور (أو لأدوار) فاعلي (فاعلية)، يحدد (تحدد) موقعا في برنامج سردي ولدور (الأدوار) موضوعاتي (موضوعاتية) . يحدد (تحدد) انتماءه (ها) مسار صوري (المسارات الصورية) . ويمكن أن نشخصه (ها) في الشكل التالي :



(36)

تتشكل الشخصية تدريجيا من خلال تراكم الإشارات الصورية، ولا تتوضح وتتحدد صورتها الكاملة إلا في الصفحة الأخيرة وذلك بواسطة عملية التذكر التي يقوم بها القارىء. يمكن أن يحل محل هذه العملية ذات الطابع النفسي، الوصف التحليلي للشخوص الذي يجب أن يمكن من استخلاص التمظهرات الخطابية التي تشكله، واختزالها في الأدوار الموضوعاتية التي تغطيه(37). يكمن المحتوى الدلالي للفاعل أساسا في مقوم التفريد الذي يظهره كصورة مستقلة للعالم السيميائي(38). وبما أنه يتخذ عدة أشكال، فقد ركزنا على أهمها بالتطرق إلى ما يتعلق بالدلالة الخطابية، وخاصة ما له صلة بصوغ الفواعل. سنتطرق الآن الى شبكة من الصور الموزعة عبر النص، والمساهمة في تحديد الفواعل.سنحاول رصد نموها وتطورها واختزالها في أدوار موضوعاتية ذات كثافة أو قيمة دلالية.

1 ـ دور موضوعاتي /مهني/.

رغم أن النص لا يفصح لنا عن مهنة الخلوقي، لكن من خلال توظيفه للمسارات الصورية التالية (قراءة التقارير وكتابتها، وتسليمها للمدير، وتخصيص ملف عن الفريق، مهنته تمنعه من الانتماء لأية جمعية، المسؤولية... الخ) يتبين لنا أن له دورا موضوعاتيا محددا ألا وهو مخبر. وبانتقاء التمظهرين الخطابيين التاليين: «كان عندي شغل محدد خارج الاختصاصات العادية» ص، 76. «بلا شك التصريح

بالتأسيس مدروس في جهات عليا » ص، 194 . ينكشف حجم الدور الموضوعاتي الاستخباري الذي يقوم به . فهو من جهة لا يهتم بالقضايا الصغرى، بل بالقضايا الكبرى المتعلقة بالملفات الاجتماعية الساخنة والخطيرة، ومن جهة ثانية هو ليس مخبرا بسيطا، بل موظفا ساميا في سلاليم وزارة الداخلية، تؤهله مهنته السياسية ومكانته الاجتماعية لمعرفة ما يُحاك في الكواليس والخفاء من مواقف إزاء التكتل الجديد .

تحمل شعيب دورين موضوعاتيين مهنيين (موظف في السجن ومكلف بمساعدة عائلات الشهداء)، قبل أن يستقر به المقام من جديد بالصديقية باحثا عن أدوار موضوعاتية جديدة (رئيس فريق ومدربه ومنظمه) . تستدعي هذه الأدوار حسب نظرية الحوار، مسارات صورية خاصة (اللاعب والكرة والنادي والحكم والتمريرات والانتصار. . . الخ) . لكن لما نفحص برامجه السردية يتبين لنا أن هناك مسارات صورية خاصة تدور في فلكه (المجاهدة، والخفة من الايمان، والله حي، والرياضة النفسية والروحية) . وقد استعان بموسى ليتكلفا معا بتدريب الفريق الجديد وتوجيهه وفق تعاليم روحانية .

من خلال الصور التالية (قطع البحر بالطائرة، دعي الى إيطاليا، يسافر عمر وحده. . .) يتبين أن عمر كان يشتغل في وظيفة هامة دون تحديدها، تتطلب منه القيام بخدمات ومهمات خارج المغرب وبالضبط في أوروبا . ورغم توقيفه عن العمل لم تتأثر وضعيته الاجتماعية . فهو ما زال يعيش في بحبوحته المعهودة (قصر، خدم، تشغيل الهاتف، له بستاني خاص، المأكولات المتنوعة)، كما لم تؤثر في الدور الموضوعاتي الجمالي : أنيق (الاهتمام بالملبس وما يتطلبه من رشاقة وتتبع للأذواق العصرية الجديدة)، وفي الدورين الاجتماعيين: سيد (يتوفر على خدم كثيرين، وغني (له رصيد مالي يقدم منه مساعدة للفريق، ويعالج به نفسه، ويمنح منه رواتب للخدم، ويبدر قسطا على ذات العينين الزرقاوين) .

يتحدد الدور الموضوعاتي المهني للمختار بأنه موظف في الإدارة دون تعيين أي نوع منها. وهو على طول الرواية لا يشتغل لأنه في رخصة مرض. ومن خلال عملية رصد شبكة الصور المتعلقة بالدور المسند له (العمل في هذه المدينة مستحيل، القيظ، الرطوبة وخشونة السكان، الشيطان المارد، عملي فحال الضرة، أنا ما رجع للخدمة ولو حلا ماء البحر)، يتبين أنه لا يود مواصلة عمله (الأمر الذي سيضاعف من مشاكله الاجتماعية والعائلية)؛ لأنه لم يبق قادرا على تحمل العيش في مدينة لا يستسيغ جوها وعلائقها وعاداتها، والعمل بجانب زميل يكرهه ويمقته.

قبل أن يرفض سرحان تجديد العقد مع مصالح اليونسكو لتسجيل الألحان العالمية كان يضطلع بدور موضوعاتي هام : (خبير في اليونسكو)، ثم عاد الى بلدة الصديقية بعد سنوات طويلة من الغيبة ليمكث فيها عاطلا. ومع ذلك بقي محافظا على اهتماماته السابقة، ومنشغلا بها في حياته اليومية. وهذا ما جعل المسارات الصورية الموسيقية تقترن به (الطرب، العيطة، مهرجان الطرب الشعبي، الطرب الأندلسي، الأسطوانات، الطرب تأنق، الموسيقى تألق... الخ).

أشرنا فيما سبق، إلى أن اسم علم الباشدور يتضمن الدور الموضوعاتي لحامله (سفير)، وهذا ما تزكيه المسارات الصورية المقترنة به (استقبال سفراء، حراس المغنى، حارس الباشدور جالس على كرسي بكسوة ما لبست مثلها حتى أيام العيد، ضيوف أجانب، حفلة استقبال، له شيفرولية ضخمة، مهنته تمنعه من الانتماء إلى أي عمل جمعوي).

تتحمل خميطة دورا موضوعاتيا (مالكة مطعم ومديرة له) يستدعي الصور التالية (الآلة، الزبناء، احتكاك الكؤوس على المائدة المليئة بأنواع المشهيات الطازجة والمرقدة...) الخ.

أما حبيبها علي فهو يتحمل دوراً موضوعاتيا (معلم) يستدعي صورا عن المكان (المدرسة، سفح الجبل، نواحي بني ملال) وعن الزمان (الاستيقاظ دائما على الساعة السابعة، الوصول إلى باب المدرسة قبل أن يدق الجرس بعشر دقائق).

يقوم أغرام بدور موضوعاتي (موظف في مصلحة البريد)، يقترن بصور تلائم مكان اشتغاله: المراسلات، والاتصالات، والتمكن من اللغة الانجليزية، والبلاغة، والفصاحة... الخ.

2 - دور موضوعاتي / فكري /.

تحفل الرواية بصور تفصل وتفسر الحالات الفكرية. فهي تتراص فيما بينها، لتعطي لبعض الفواعل سمكها الدلالي، وَتَسِمُها بدور موضوعاتي محدد. فالصور التي تحدد الحالة الفكرية لسرحان ودوره الموضوعاتي (فيلسوف) هي: الرياضة تربية، ونموذجية ألمانيا، ونموذجية ايطاليا، وتسلسل حياة الأفراد، ودور التربية في أمريكا. يمكن لها أن تذوب في التمظهر الخطابي التالي: «إمكانية اقتباس الثقافة». والذي يبين لنا أن سرحان لا يؤمن بالحقيقة المطلقة، بل يؤمن بالانفتاح على الحقائق الحضارية النسبية (نموذج ألمانيا وأمريكيا وإيطاليا)، وضرورة مقارنتها بواقعنا الحضاري لأخذ العبر، واستنتاج الخلاصات الضرورية.

يتحمل علي نور دورين فكريين: يتشخص الدور الأول (قاص) عبر صور متعلقة بالإبداع والكتابة، ويتشخص الدور الثاني (فيلسوف) من خلال مسار صوري يقارن وضعنا الحضاري بنموذج ألمانيا. وإذا كانت الصور الأولى تندغم في التمظهر الخطابي (أزمة الإبداع)، فإن الصور الثانية تتلاحم في التمظهر الخطابي (أزمة الواقع المعيش). تتفق المسارات الصورية المتعلقة بتحديد الحالات الفكرية لفواعل العوني وشعيب وموسى واللاعبين في التمظهر الخطابي (نشر الأفكار الدينية).

رغم أن أغرام هو موظف في مصلحة البريد، فإن الصور المتعلقة به (عدد الكتب المكتوبة على الصديقية بالانجليزية، نسخ منها، الكتاب مطبوع على الماكينة في خزانة الرباط، أخبار مفصلة حومة حومة، اختيار الموضوع التاريخي للتمثيلية، تسلمت الصور، مخطوط قديم، ما حمله من كتل وجرائد قديمة تقص أخبار

الصديقية . . .) تبين أن له اهتمام كبير بالجانب التاريخي المتعلق بالصديقية (دور موضوعاتي مؤرخ) . لكن هذا الاهتمام ليس له طابع علمي بل نفعي يدخل في إطار حملته الانتخابية لبيان مدى غيرته على بلدة الصديقية وتشبثه بأصولها وأمجادها .

يكمن الدور الموضوعاتي الفكري لعمر في مدى اهتمامه بالذوق الإيطالي، وتتبعه لما يجد في مجال التقليعة . أما بقية الفواعل (الخلوقي والباشدور والمختار) فدورها يتحدد حسب ما تمليه عليها مهنها .

3 - دور موضوعاتي / عائلي / .

يتحدد هذا الدور من خلال شبكة من الضغوط الصورية (المسار العائلي) ذات إحالات على المكان (المنزل، البيت، المطبخ، قصر، صالون . . .) وعلى الحالة النفسية . سنكتفي فقط بتحديد التمفصلات الكبري لبعض الأدوار العائلية : سرحان أعزب كان يسعى الى الزواج بغيثة لكنه في الأخير عدل عن الفكرة . تجرد شعيب وأغرام من أية مسؤولية عائلية بعد أن قام كل واحد منهما بتطليق زوجته التي أنجب معها ولدا . هربت مريم عن عمر لأنها لم تطق العيش معه، وقبول فكرة تبني ابن غير شرعي . تزوج الخلوقي ابنة الشيخ العوني فاطمة الزهراء وأنجب معها ولدين . رغم خدع المختار في الزواج، قبل على مضض مواصلة مساره العائلي المضني، وله عدة أطفال لا تطلعنا الرواية الا على ابنته نورة .

4 - دور موضوعاتي / نفسي / .

مع مرور الأحداث أصبح لعلي وخميطة دوران موضوعاتيان متعلقان بالعشق، فبعد التقائهما ـ بفضل مشروع شعيب ـ تمنيا وضع نهاية للعزلة القاتلة والتجارب الفاشلة . لكن يمكن لانفجار المطبخ أن يؤثر سلبا على علاقتهما، ورغبتهما في تحقيق الموضوع القيمي المشترك (الزواج) .

رغم ان المختار له دور موضوعاتي (متزوج)، فهو غير راض على زواجه لأنه لم يتزوج فاطمة عن حب واقتناع؛ الأمر الذي ترتبت عنه مشاكل نفسية خطيرة. قرر تطليقها لكنها لما حملت، وبطلب من والده، عدل عن الفكرة. ومما زاد من تأزيم مشاكله أنه قبيح الخلقة ومشكاك. وإذا تأملنا المسارات الصورية الواصفة لحالته النفسية (عيشتي كانت قطران، تجمعت علي الغرائب في الدار في الخدمة في راسي، نزل الله في قلبي الكراهية، مدينة المساخيط، الزوجة، وورايى ماشينة تهدر...) تتضح لنا نظرته السوداوية نتيجة استفحال المشاكل عليه من كل جانب.

يبدو عمر في الرواية مثقلا بالمشاكل (التوقف عن العمل، الكسر، هروب مريم). وهذا المشكل الأخير هو الذي تأثر به أكثر وجعل نفسيته متمزقة جداً. ولما نقوم برصد الصور الراصدة لحالته النفسية نجدها تتفق في التمظهر الخطابي «الندامة». فهو لم يشعر بقيمة مريم ووجودها القوي إلا بعد افتقادها. دخل في علاقة حب مع فتاة (دور موضوعاتي عاشق ولهان) على أمل أن ينسى مشاكله، لكنه لم يجن منها إلا تعمق التمزف النفسي، والتورط في مصيبة أخلاقية (الإرهاص بدور موضوعاتي /سجين/).

يتحدد الدور الموضوعاتي «وحداني» لسرحان بصور الغزلة بعد تفكك الفريق، وصور الاغتراب لصعوبة مقاومة أجواء الفضاء الجديد أو على الأقل التكيف معها. يستعير ذلك الدور صورا متعلقة بمسارات أخرى من النوع الحيواني «الكلاب في الأزقة، الأفراخ في البيوت، القطط...» ص، 358 والطبيعي (أمطار محبوسة، تتساقط الأمطار متفرقة، الليل يمحو النهار ...) لبيان مسألتين : تتعلق الأولى بتصوير حجم الوحدانية التي يعاني منها سرحان، والثانية بتوضيح النهاية المأساوية التي آلت اليها حالته دون أن يجني منها أشياء تذكر.

يرجع الخلوقي سعادته وارتياحه النفسيين الى قضايا ميتافيزيقية تتعلق ببركة الشيخ العوني (مرضي، اتباع نصيحته بالحرف، الدعاء له)، وتشبثه بالأصول (التزوج من بلدته وخاصة ببنت الشيخ العوني، الانجذاب إلى كل ما يتشابه مع فضاء الصديقية (السوق ـ حي مابيلا)) . ونتيجة ظهور مسارات صورية ملتحمة في التمظهر الخطابي (المتأثم)، لم يبق نشيطا في عمله، نتيجة انشغاله بمشاكل عائلية، أبعدته عن تتبع البرامج السردية للفريق . تتلون الحالة النفسية لشعيب حسب انفصاله واتصاله بالموضوع القيمي . وبعدما تأكد من ضياعه وانفلاته من بين يديه أصبح في وضعية حرجة (الحيرة)، نظراً لاعتقاله وتلفيق تهم ضده، وتفكك فريقه، وعدم استفادته من المجهودات الجبارة التي قام بها .

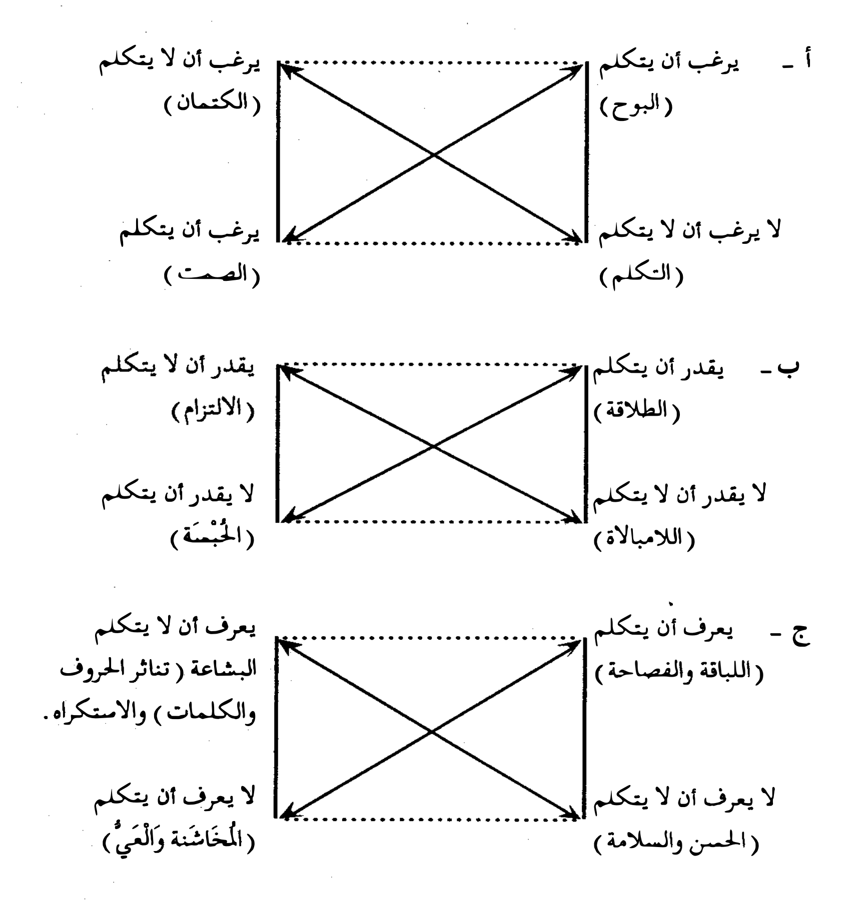
5 ـ دور موضوعاتي / إيديولوجي / .

تقوم الفواعل الذاتية (شعيب وموسى والخلوقي وعمر والمختار وأغرام) والفواعل الجمعية (الجمعية والجمهور والسلطة واللاعبون) بدور موضوعاتي تقليدي يستقطب الصور المتعلقة بالتخريف والعرقية والغيبيات، ونشر قيم صوفية بالية، وإعادة انتاج البنيات الذهنية الماضوية . . . الخ .

إذا كانت الفواعل الذاتية (صاحب الرسالة وسرحان وعلي) تقوم بدور موضوعاتي ليبرالي (الدفاع عن قيم حداثية جديدة)، فإن فاعلا واحد (صاحب الرسالة) هو الذي التزم به على مستوى الفعل، (مقاطعة البرامج السردية التي سطرها أغرام رفقة شعيب) . أما الفاعلان المتبقيان (سرحان وعلي) فقد شاركا في بعض تلك البرامج (اللقاءات والحفل والعروض والمحاضرات . . . إلخ)، وبذلك يكونان قد ساهما، بشكل من الأشكال، في ترسيخ التقليدية بالمجتمع الصديقي .

خلاصات :

1 ـ لم نركز في تحليلنا للبنية العاملية (أو الفاعلية) على سيميائية العمل المحول لغويا فقط، بل على سيميائية الكلام لما لها من أهمية في تحديد أهلية الذات وقدرتها على تخطي الإنجاز وامتلاك الموضوع القيمي، ولأنها تستجيب، في أحد المستويات الأكسيولوجية، لما يسميه باختين بلا مركزة العالم المؤدلج لغويا. حاولنا الاشتغال على بعض جهاتها (في انتظار اكتمال الرؤية لرصد تنظيمها العاملي (أو الفاعلي) ونماذجها التركيبية وتمظهراتها) : رغبة / القول ، وقدرة / القول، ومعرفة / القول. وفي هذا الصدد يمكن صياغة مربعات سيميائية مبنية على علاقات منطقية أملتها علينا بنية النص الروائي.



2 ـ بتداخل المستويان الايديولوجي والأكسيولوجي (بالمعنى الممنوح لهما من طرف كَريماص وكورتيص) في عملية التحليل، لكننا سنتقصد فصلهما المؤقت لبيان كيفية اشتغالنا على كل واحد منهما. فعلى المستوى الإيديولوجي تعاملنا مع البنية العاملية كإطار لتفاعل الفواعل وتصارعها (وهي موزعة على ذاتين جمعيتين: الجمعية والسلطة) حول قيم وقيم مضادة، أو حول برامج وبرامج مضادة. وانتهى الصراع بامتلاك السلطة للموضوع القيمي مستغلة ما يلي: أخطاء الطرف الآخر وهشاشة تنظيمه وتأطيره، واستقطاب أقطابه ومناصريه، واستغلال القانون (مساعد أساسي) لتوريطه. أما على المستوى الأكسيولوجي رصدنا الوجود الجدولي للقيم عن طريق ضبط بعض المسارات الصورية، والتمظهرات الخطابية، والأدوار الموضوعاتية أي كل ما يتعلق بتنظيم شبكات وتشاكلات موضوعاتية.

3 ـ جميعُ الفواعل انخرطت في الجمعية (تنظيم وسيطي) ليس اقتناعا بأهدافها الحداثية، بل باعتبارها إطارا للتضامن القبلي والعشائري (الارتباطات العمودية)، ولتحقيق مصالحها وأغراضها الذاتية. وانتهى بها المسار السردي إلى نقطة الإخفاق الذاتي والجماعي. حتى السلطة التي امتلكت الموضوع القيمي أخفقت في تجنب العنف وإطفاء حمم البركان الذي مازال خامدا. وبتفكيك الفريق انتهى حلم أغرام المراهن على الانتخابات، وخاب أمل سرحان في تنظيم مهرجان للطرب الشعبي. وبانفجار المطبخ يمكن أن تتحول العلاقة بين علي وخميطة سيميائيا من حالة اتصال الى حالة انفصال. وتأزمت نفسية المختار، إن لم نقل أنها وصلت الى حد الانهيار النهائي لأنه لم يجد من يساعده على إيجاد حلول لمشاكله المزمنة. وانتهت قصة ذات العينين الزرقاويين بتورط عمر في مصيبة أخلاقية، وألقت السلطة القبض على شعيب محملة إياه مسؤولية ما حدث بالبيضاء. وتم فتح ملف قضائي لمحاكمة الفريق (ما حدث ليس نتيجة الصدفة بل نتيجة تدبير وتفكير يجب البحث عن ملابساته)، وملفين آخرين يخصان فواعل ذاتية (على نحو عمر مع الفتاة، وخميطة

مع المامون). إن المسار السردي الخاص بكل فاعل في اكتساب حالات الاتصال النهائية أو الحصول على المواضيع القيمية، انتهى بالمأساة: عدم تحقق النوايا أو المقاصد، وانتصاب عوائق بين الرغبة والفعل الإيجابي، والحصول على نتائج غير منتظرة وغير مرضية. وهذا ما حذا بنا الى طرح افتراض كونديرا في روايته **خفة الكائن غير المحتملة**، وهو افتراض مستلهم من فلسفة أفلاطون ونيتشه ويُعنى به الرجوع الأبدي. لو أتيحت لكل فاعل أن يتحمل من جديد مساره السردي بتتابع وحداته، وتحول حالاته، وتراتب علائقه، كيف سيتعامل مع العوائق التي حالت دون الوصول إلى ما كان يرغب فيه؟ وهل سيغامر في مشروع سيزيفي يعرف نهايته المأساوية مسبقا؟ إن الاجابة عن مثل هذين السؤالين تكشف لنا عن الاحتمالات الكثيرة للإمكانات السردية والتخييلية.

4 ـ تحكم تعاقد الذاتين (أغرام وشعيب) في تسيير دفة المجموع السردي. اقترن في البداية بمستوى إيديولوجي يخبر بالفعل (تكوين فريق جديد)، واستتبع في النهاية مستوى جديد يفسره ويثبت مدى مطابقته للعالم الاكسيولوجي الذي شكله. وسنكتفي بالمسار الذي اتبعه شعيب لأنه ذو بعد اجتماعي وجماعي. حصل انفصال في صُورتي المرسل المجتمعيْن غالبا ـ حسب كَريماص ـ في عامل أعلى archi- actant وهكذا تحمل شعيب الصورة الأولى باعتباره مالكا لقيم يحاول تضمينها في برامج الفعل (قيم تتعلق بملء الفراغ الاجتماعي، وإدماج الفرد في الحياة الجماعية وداخل أدوات تأطيرية عصرية)؛ وتحمل الصورة الثانية للحكم على مدى مطابقة الأفعال الاكسيولوجية التي اتخذها مرجعاً. يتأسف عما حدث بالبيضاء، ويتهم الجمهور (يصميه «الجهال») الذي أفسد منطق اللهو واللعب، ويطلب من الشرطة أن تقوم بتحرياتها وتحقيقاتها لفهم ما جرى[39]. وهنا يتبين لنا عدم وضوحه الفكري أو تجاهل ما كان يقوم به. فالصور التي كان يرسخها في ذهن اللاعبين (الرياضة جهاد، المجاهدة، مسابقة العدو...) كانت تصب في اتجاه العنف الاجتماعي وذلك لفرض رؤية تقليدية جوهرية داخل المجتمع الصديقي.

هوامش

1 ـ فلادمير بروب: مورفولوجية الخرافة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين. ط1، 1986 ص.34.

2 - A.J. Greimas : Sémantique structurale; Larousse, 1966 p.176.

3 - Ibid.m p.176

4 - Ibid., p. 180

5 - Roland Barthes: “Introduction à l’analyse structurale des récits”, Poétique du récit, Seuil 1977, p.35.

6 ـ الذات (الفيلسوف)، والموضوع (العالم)، والمرسل (الإله)، والمرسل إليه (الانسانية)، والمعيق (المادة)، والمساعد (الفكر).

ـ الذات (الإنسان)، والموضوع (المجتمع اللاطبقي)، والمرسل (التاريخ)، والمرسل إليه (الانسانية)، والمعيق (الطبقة البورجوازية)، والمساعد (الطبقة العاملة).

8 ـ لجأنا إلى إضافة الهامشين السابقين تجنباً لإثقال التحليل بالأمثلة انظر

Pierre V.zima : Manuel de sociocritique, picard, 1985, p.133.

9 - Ibid, p. 124.

10 - Roland Barthes :"Introduction à l’analyse” op. cit, p.36.

11 - Ibid, p. 36.

12 ـ نشير هنا الى التنظير المعزز بتطبيقات حول التمظهرات المعجمية، الذي قام به كَريماص صحبة جاك فونتاني حول **سيميائية الأهواء من حالة الاشياء الى حالات النفسية ـ سوي ـ** 1991. اهتما بحالة النفس وما ينتابها من أهواء، وذلك من درجة الصفر (الشكل الخالص للشعور) الي درجة تشخيصها في تمظهرات معجمية وخطابية: الأهواء ليست خصائص خاصة بالذوات (أو الذات) بل خصائص الخطاب بكامله. إنها تنبعث من البنى الخطابية بفضل «أسلوب سيميائي، يمكن أن يسقط سواء على الذوات أو على المواضيع أو على ترابطها» ص.12.
في مجال التطبيق حصرا اهتمامها في هويين: البخل (عاطفة الموضوع : يكون عاطفة بين الذوات في التأطير الاخلاقي)، والغيرة (عاطفة بين الذوات). نفسح لهما المجال ليعبرا عن الهدف من سيميائية الأهواء: «لقد تبين مدى محدودية التحليل المعجمي ومفترضاته. لكن سيصبح الآن عملا مساعدا بشكل فعال. وسيتغذى تكون الغيرة أساسا من مساهمة علماء الأخلاق والمسرحيين والروائيين. بهذا العمل وبفضل دراسة ممتدة للأهواء، وبالاعتماد على قاعدة المعطيات النصية المتعددة والمتنوعة، نسعى الآن الى إغناء النماذج التركيبية وفهم تنظيم التمظهر في تمامه» ص.190.

13 ـ ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الامان، ط2 ، 1987، ص. 90.

14 ـ المرجع نفسه ص. 91.

15 ـ أشار كَريماص ـ وهو يتحدث بصفة عامة عن القدرات والإنجازات ـ بشكل خاطف إلى بعض الجهات الملائمة لكفاية الذات المتكلمة.

A. J. Greimas : “Les actants, les acteurs et les figures” in Du sens II. Essais Sémantiques, Seuil, 1988, p. 53.

16 ـ هذا يحتاج الى عمل مستقل يستفيد من جهة من التراكمات الحاصلة في مجال سيميائية العمل، ويستلهم من جهة أخرى أهم الإنجازات التي قدمها كَريماص وفونتاني في كتابهما المشترك : سيميائية الأهواء. من حالة الأشياء إلى الحالة النفسية.

17 - V.Krysinski, Carrefours de signes, Mouton 1981, p. 31.

18 - A. J. Greimas : Du sens I, Seuil, 1970, p. 163.

19 - V. Krysnskim Garrefours de signes, op.cit., p.p. 31-35.

20 ـ ما لمسناه في أحد تحاليل محمد مفتاح : «الصراع في النص القصصي»، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ط1.1987 ص.172 .

21 - A. J. Greimas, Du sens (1970) op. cit. p. 234.

22 - A. J. Greimas, "Les acquis et les projets" in J. Courtés : Introduction à la sémiotique narrative, Hachette, 1976, p.22.

23 ـ فيما يخص جهات الفعل وأقسامه انظر :

Groupe d'Entrevernes : Analyse sémiotique des textes, Ed. Toubkal, 1987, p.p. 34/35/36

24 - A. J. Greimas : Du sens, (1970) op.cit., p.168.

25 - Roland le Huenen et Paul Perron : Balzac : sémiologie du personnage romanesque, P.U.M, 1980 p.211.

26 ـ يدرج كَريماص القدرة والأهلية ضمن «الكينونة»، وليس ضمن «الفعل». وتبعا لذلك يجب الانطلاق من بنية ملفوظ الحالة. كما يجب على الذات المؤهلة أن تتحدد كذات حالة تتسم بمواصفات تأهيلية. انظر «المكاسب والمشاريع» م ـ س ـ ذ ـ. ص. 7.

27 ـ المراجع نفسه ص. 11.

28 - A. J. Greimas, Du sens II, (1983), p.53.

29 - A. J. Greimas, et J.Courtés: Dictionnaire raisonné..., Hachette, 1979, p.271.

30 - A. J. Greimas, Du sens II, (1983) op. cit., p. 49.

31 ـ محمد مفتاح : دينامية النص، ط1، 1987، المركز الثقافي العربي، ص 10.

32 - A. J. Greimas, Du sens II, (1983), op.cit.,p.49.

33 - Ibid., p. 49.

34 - A. J. Greimas, et J. Courtés : Dictionnaire raisonné..., Hachette, 1979, p.258.

35 - A. J. Greimas, Du sens II, (1983) op.cit., p.55.

36 - Groupe d'Entrevernes, op. cit., p.99

37 - A. J. Greimas, Du sens II, (1983) op. cit., p.64.

38 - A. J. Greimas, et J. Courtés : Dictionnaire raisonné..., op. cit., p.7.

39 ـ «ما عندي ما أقول لأي أحد. أضع ثقتي في الشرطة وأتمنى صادقا أن تكشف عن الحقيقة» «لعن الله الجهل والجهال. فسدوا علينا حتى منطق اللهو» الفريق. ص 352.

خاتمـــة

تشخص رواية **الفريق** الواقع اعتمادا علي تقنيات قاعدية (التشخيص المضاد، التشخيص الذاتي، التشخيص الأدبي للغة)، تعمل على سميأة المواد الحكائية وإعادة توزيعها داخل علاقات وسياقات جديدة. ويضطلع عبد الله العروي في كل عمل من أعماله على تجريب تقنية معينة لإعادة تحويل الواقع عبر الكلمات والأخيلة والرموز. ففي **الغربة** جَرَّب تقنية التعارض المسرحي، وفي **اليتيم** شخص الهاجس الجمالي، وفي **الفريق** اعتمد على متون الصحف وقصاصات الأخبار، وفي **أوراق** استغنى عن الأحدوثة واعتمد على الجانب التحليلي لرصد المسار الفكري والعاطفي للمترجم له (إدريس)، وفي **غيلة** شغل اللغز البوليسي، وفي **خواطر الصباح** وظف اليوميات.

ويمكن أن نجمل ما أنجزناه في النقاط الآتية:

1 ـ لما فحصنا الحالات والتحولات الجوهرية، توقفنا على امتلاك شعيب وأغرام للموضوع القيمي في الحالة الأولى، لكنهما افتقداه في الحالة النهائية. الأمر الذي نتج عنه تجذر آليات الفصل الفضائي والزمني والفاعلي: كان الفريق الجديد هو السبب في ظهور برامج سردية وزمنية تهم بالأساس تنشيط المدينة المهمشة (الصديقية)، وإعادة الاعتبار لها، وإبراز دورها التاريخي. ولما حظرت أنشطته، خابت آمال الصديقيين المتطلعين إلى التغيير. وبامتحان إجرائية مقولة الظهور والكينونة تبين لنا أن محور التجلي (البركان) يرتبط استعاريا بمحور المحايثة (المظاهرة)، وأن الأمر يتعلق بمظاهرة صاخبة تحدث من الفينة إلى الأخرى. ورغم حظر الجمعية فإن كل الدلائل والرشوم التي تؤطر الرواية تبين أنها قابلة للحدوث مستقبلا.

2 ـ استثمرت الرواية العناصر الزمنية الدالة: موضوعاتية الصيف التي تلتقي في كثير من مقوماتها بمدلول البركان/المظاهرة، ثم كرنطوب العتبة الذي يبين مدى صعوبة تجاوز الأزمات الاجتماعية ويعيد إنتاج التصورات التقليدية، ثم التجربة التخيلية للزمن التي تبين موقف المتلفظ من الزمن، وقدرة الكاتب على اللعب بالتقنيات الزمنية.

3 ـ تبين لنا كيف تتعامل الرواية مع النصوص الغائبة والمفترضة، وتثير أسئلة نقدية حول مختلف القضايا المعيشة والمحتملة، وتتفاعل مع الوضعية الاجتماعية واللغوية التي تكون نسيجها من اللغات الاجتماعية الآتية: اللغة الاجتماعية الليبرالية والدينية والرياضية، ولغة الرأي العام والجمعية.

4 ـ أسعفتنا اللغات الاجتماعية على إبراز طبيعة الاختلاف والصراع داخل المجتمع. وتوقفنا ـ بالخصوص ـ عند حدة الصراع بين السلطة والجماعة السيميائية التي تسعى إلى تغيير علائق القوى وترسيخ التقليدية الجوهرية. وتبين لنا مدى صعوبة تغلغل الرؤية الليبرالية نظرا لإقبال الجماهير على الخطابات المبسطة والتحريضية، واستغلال الدين لأهداف سياسية، وعدم اضطلاع الأدوات العصرية برسالتها التأطيرية والتثقيفية على الوجه الأحسن. إن هول الفراغ الاجتماعي يشكل أرضا خصبة لظهور أحداث استثنائية وخطيرة داخل المجتمع. وبما أن السلطة لا تؤمن بقانون الصدفة والاتفاق، فهي تحقق مع الأطراف التي أسهمت ـ بوعي أو بغير وعي ـ في اندلاعها.

5 ـ حاولنا البحث عن مميزات اللغة الثالثة لكونها تعتبر نموذج اللغة المحكية التي تستمد تراكيبها من الكلام الشفهي، فتبين لنا أنها تعتمد على التراكيب والوحدات المعجمية الفصيحة وتقوم على وسطية الرؤية، ولا ترتبط بفئة سيميائية واجتماعية محددة. فهي بمثابة بنية منفتحة على مجموع الفئات السيميائية والاجتماعية التي تتفاعل داخل وضعية اجتماعية ولغوية محددة.

6 ـ قاربنا اسم العلم بوصفه دليلا لغويا معللا، يسهم في إغناء التعدد اللغوي والصوتي، والشفرات الدلالية والرمزية، والمواقف الإيديولوجية والأكسيولوجية. فتبين لنا مدى وعي الكاتب الحقيقي بعدم اعتباطيته، ومدى خضوعه لقواعد منطقية وجمالية وايديولوجية ومزاجية.

7 ـ أبرزنا ملاءمة الكلام داخل البنية العاملية، فإلى جانب أن الشخصية تفعل فهي تتكلم. وقد أسعفنا تداخل سميائية العمل وسيميائية الكلام على استنتاج ما تتضمنه البنيات العاملية والفاعلية من عينات ايديولوجية (تصارع الفاعلين الجمعيين : السلطة والجمعية) والأكسيولوجية (التمظهرات الخطابية والأدوار الموضوعاتية). كما تبين لنا أن الفواعل جميعها انخرطت في الجمعية لتحقيق أهداف قبلية وإقليمية (منطق أولاد البلد) وذاتية (اتخاذ الجمعية مطية لإدراك المآرب الشخصية). تضافرت هذه الأسباب مع أسباب موضوعية لتعيق تجذر أداة من أدوات التأطير داخل المجتمع «الجمعية الرياضية».

ثبت المصطلحات

عامل .... Actant :

فاعل .... Acteur :

العمل .... Action :

صوغ الفواعل (يعتبر مكونا من مكونات التخطيب، يعمل على توليد الفواعل، وبيان أن كل فاعل يتضمن على الأقل دورا عامليا وموضواعاتيا، وأن كل خطاب سردي يتميز بتوزيع فاعلي تمليه بنيته الخاصة) . Actorisation :

ازدواجية القيمة .... Ambivalence :

تمهيد .... Amorce :

استرجاع .... Analepse :

إرساء .... Ancrage :

إعلان .... Annonce :

برنامج سردي مضاد .... Anti-programme narratif :

ذات مضادة .... Anti-sujet :

معمارية النص .... Architextualité :

التذري .... Atomisation :

كاتب ضمني .... Auteur implicite

إطار (محكي) .... Cadre (récit) :

مربع سيميائي .... Carré sémiotique :

جدول وظيفي .... Catalogue fonctionnelle :

صوغ المقولات، تفييئ .... Catégorisation :

مَصْنَفٌ (ج. مصانف) (مقومات سياقية) .... Classème (s) :

مستنسخ (رَوْسَمٌ) .... Cliché :

تشفير .... Codification :

تمظهر .... Configuration :

اتصال .... Conjonction :

حوارية .... Dialogisme :

انفصال .... Disjonction :

محزن (تعتبر هذه الصفة بمثابة مفهوم سلبي ضمن المقولة العاطفية : Dysphorique التي تقيم العويلم الدلالي)

ملفوظ .... Enoncé :

تلفظ .... Enonciation :

سار .... Euphorique :

تثمين اجتماعي .... Evaluation sociale :

الفعل .... Faire :

استيثاقي (عقد) يتعلق هذا العقد بالمواضيع المتبادلة بين ذاتين،:Fiduciaire (contrat) يتطلب منهما معرفة دقيقة بها وبقيمتها الحقيقية. لكن الخدعة ممكنة في الحالة التي لا يتمكن طرف من معرفة حقيقية الموضوع وكينونته).

صوري (مسار) .... Figuratif (parcours) :

صورة .... Figure :

الصورنة .... Formalisation :

التشظي .... Fragmentation :

تكون .... Genése :

رشم (ج. رشوم) .... Germe (s) :

فئة وسيطية .... Groupe intermédiaire :

فئة سيميائية واجتماعية. يختلف تعاملنا مع الفئات : Groupe socio-sémiotique والطبقات عن تعامل علماء الاجتماع. لأننا نعتبرها كينونات خطابية من ورق. فكل فئة تتوفر على معجم ومتاع لغوي خاص، بالإضافة إلى المفردات التي تتقاسمها مع باقي الفئات الأخرى، يمكن لفرد واحد أن ينتمي إلى عدة فئات سيميائية. لكن تتحدد رؤيته للعالم من جماع المفردات التي يستعملها للتعبير عن رغباته وحاجاته والإفصاح عن مقولاته الذهنية وقيمه الاجتماعية.

إِيقوني (دليل) .... Iconique (signe) :

أمثلة .... Idéalisation :

عينة إِيديولوجية .... Idéologème :

أيديولوجية (في كل الفصول بمعنى رؤية كونية، أما في الفصل الأخير، : Idéologie فنعني بها التنظيم المركبي والعاملي للقيم (كريماص وكورتيص)

ايديولوجانية .... Idéologisme :

التعامل مع الموضوع دون خلق مسافة نقدية معه، وممارسة النقد على المنطلقات المسبقة التي نتعامل بها معه، والابتعاد عن المجال الذي ننتسب إِليه؛ الأمر الذي تترتب عليه إِسقاطات وأشكال « التحريض والشرعية » واختلالات في تقدير طبيعة الموضوع وفهمه فهما موضوعيا.

لغة فردية .... Idiolecte :

المحايثة .... Immanence :

وظفنا هذا المفهوم بمعنيين:

1 ـ التعامل مع النص دون اسقاط معطيات اجتماعية وتاريخية وسيرية عليه.

2 ـ يتضمن النص عناصر ضمنية تدخل في إِطار مقولة الكينونة، ولما تصبح متجلية تدخل في إِطار مقولة الظهور.

غير معلل (الدليل) .... Immotivé (signe) :

بين الذوات .... Inter-subjectif :

تشاكل .... Isotopie :

التجلي .... Manifestation :

لغة واصفة .... Métalangage :

لسانيات واصفة .... Métalinguistique :

الإِبراز .... Mise en relief

إبراز نص هو عرض محتويات في الصعيد الأول وإخفاء أخرى في الخلفية (الصعيد الثاني) .

الجهة .... Mode (Modalité) :

Modalisation :

الصوغ الجهي (كريماص وكورتيص) : إنتاج ملفوظ جهي بوصفه محددا للملفوظ وصفي . وقد تم تصنيف الجهات حسب قيمتها (المعرفة، والحقيقة، والفعل، والضرورة أو الإمكان، والكينونة أو الظهور)، ومؤشراتها وموقعها (خارجية أو داخلية) وزمنيتها (مفترضة أو محينة أو محققة) .

نمذجة .... Modélisation :

نظام دال مركب موروث من الشفرات الثقافية والاجتماعية، يقوم بتنظيم العالم، ويفرض على الأنظمة الأخرى (ايديولوجية ـ أخلاقية . . .) بنيته الكبرى . ما ينظم عوالم النص الروائى هو النمذجات المرجعية والتناصية والاكسيولوجية والايديلوجية . فهي تحيل على نماذج واقعية تم تشخيصها بطرائق أدبية وفنية .

موضوع قيمي .... Objet de valeur :

موضَّع .... Objectal :

موضوعية .... Objectif :

العلمية (الروائية) .... Onomastique (romansque) :

(تهتم بدراسة أسماء أعلام النص الروائي)

تشكيلي (أسلوب) .... Pictural (style) :

(د س خطابات الغير بطريقة فنية وتذويبُها في سياقات جديدة على نحو يصعب تمييزها، ويمكن أن تلون بتلوينات جديدة : السخرية والكراهية والبهجة) . أما الأسلوب السطري Linéaire فيضع حدا فاصلا بين كلام المتلفظ وبين كلام الغير .

إسنادي .... Prédicatif :

برنامج سردي .... Programme narratif :

السِّنان .... Punctum :

بالمعنى الذي يعطيه رولان بارت لهذا المصطلح : « لسعة إبرة، وثقب، وعلامة مؤلمة، ودمغة، ونقطة، وقطعة صغيرة، ووقفة وجيزة، ونقطة، النرد . . . » .

Réifraction : .... انكسار، حرف

Séme : .... مقوم

Séméme (s) : .... مفهم (ج مفاهم)

Signifiance : .... الاندلالية

Socio-sémiotique : .... سيميائية اجتماعية

Structure actantielle : .... بنية عاملية

Structure actorielle : .... بنية فاعلية

Stylisation : .... أسلبة

Subjectal : .... مذوت

Sudjectif : .... ذاتيـــة

Sujet : .... ذات

Sujet opérateur : .... ذات منفذة

Synchrétisme : .... تأليف

مجموعة من المقولات (الفواعل أو العوامل مثلا) المتجانسة التي تندج داخل مقدار معين .

Syntagmatique : .... مركبي

Syntaxique : .... تركيبي

Taxinomie : .... صنافة

Temporalisation : .... تزمين

Temporalité : .... الزمنية

Translinguistique : .... عبر ألسنية

Transitif : ....متعد(عمل يتعدى إلى شيء خارجي ويؤثر فيه)

Reflexif : .... انعكاسي

Véridiction :.. التحقق

Vraissemblance : .... محتمل الوقوع

ثبت بعض الرموز المستعملة

[+...] مقوم

[−...] تجرد الكلمة من المقوم المذكور.

= تكافؤ

∩ اتصال

∪ انفصال

--> اتجاه عملية التحول من حالة الى أخرى

ا ا توضيح قيمة دلالية

⇐ الاستتباع

،.....، مفهم

.... التضاد وشبه التضاد

——— التضمن في الإثبات والنفي

التناقص

(محاور المربع السيميائي)

ظ = الظهور

ظ̄ عدم الظهور

ك = الكينونة

ك̄ = عدم الكينونة

ذ = ذات

ذم : ذات مضادة

م ـ ق : موضوع قيمي

ب ـ س : برنامج سردي

ب ـ س م : برنامج سردي مضاد

ف ـ ق : فريق قديم

ف ـ ج = فريق جديد.

↶ = إرسال إلى...

↷ = مرسل من طرف

<--- وجهة نظر الآخر في شخصية ما.

[ ] محور دلالي

ض: نقيض

بيبليوغرافيا (العربية)

أوسبنسكي (بوريس): شعريه التأليف، نظرية السرد، ناجي المصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، 1585

1 ـ باختين (ميخائيل): الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة محمد البكري ويمنى العيد، ط1، البيضاء، دار توبقال، 1986.

2 ـ باختين (ميخائيل): الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، ط، 1، الرباط، دار الأمان، 1987.

3 ـ بحراوي (حسن) : بنية الشكل الروائي، ط، 1، الرباط، دار الأمان، 1987.

4 ـ برادة (محمد): «أبعاد واقعية جديدة في رواية اليتيم»، في: الرواية المغربية بين السيرة الذاتية واستيحاء الواقع، الدار البيضاء، منشورات، الاتحاد الاشتراكي، 1985.

5 ـ برادة (محمد) : «الفريق : رواية اللغة المشخصة» في : الاتحاد الاشتراكي»، الملحق الثقافي، عدد 152، 1986.

6 ـ برادة (محمد) : «أسئلة الرواية، أسئلة النقد: حوار مستحيل؟» في: آفاق عدد 1، 1989.

7 ـ بروب (فلاديمير) : مورفولوجية الخرافة، ترجمة ابراهيم الخطيب، ط، 1، البيضاء، دار توبقال، 1986.

8 ـ بورديو (بيير) : الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، ط، 1، دار الكتب العامة، 1983.

9 ـ ابن رشيق (أبو علي الحسن): العمدة، تحقيق وشرح ذ. مفيد أحمد قميحة، ط،1، دار الكتب العامة 1983.

10 ـ تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1973 .

11 ـ تودروف (تزفتان) : الشعرية/ ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، البيضاء، دار توبقال، 1987 .

12 ـ الجارم (علي) وأمين (مصطفى) : البلاغة الواضحة، بيروت، دار المعارف، 1979 .

13 ـ دحي الدين محمد عبد الحميد : شرح بن عقيل، ط 16، ج، 1، دار الفكر، 1979 .

14 ـ حرب (علي) : « نصوص عربية في اللذة » في : الفكر العربي المعاصر، عدد 67-66 : 1989 .

15 ـ حماد أحمد عبد الرحمان : عوامل التطور اللغوي، ط، 1، دار الأندلس، 1983 .

16 ـ الريس مصطفى وبولقطيب الحسين. « الجذور التاريخية للولاية والتصوف بالمغرب الوسيط : منطقة دكالة نموذجا » في : أنوال (جريدة)، عدد 501، 1989 .

17 ـ ريزوهازي « الزمن والمجتمع » / ترجمة محمد الداهي، في، عيون المقالات، عدد 12، 1985 .

18 ـ السيوطي جلال الدين. الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليفة/ تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط 1، دار الكتب العلمية، 1985 .

19 ـ صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ط 1، بيروت : دار العلم للملايين، 1973 .

20 ـ طبانة بدوي : السرقات الأدبية : دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، ط، 3، دار الحقيقة، 1979 .

21 ـ العروي عبد الله : « الأفق الروائي » حوار في : الكرمل، عدد 11، 1984 .

22 ـ العروي عبد الله : «التعايش بين التقليدية والحداثة غير ممكن» حوار، في أنوال، عدد 500، 1989.

23 ـ العقاد عباس محمود : عبقرية الصديق، ط، 14، القاهرة، دار العارف، 1982.

24 ـ عمل جماعي : الإعلام والرأي العام/ترجمة محمود كامل المحامي، ط، 1، القاهرة، دار النهضة، 1982.

25 ـ عمل جماعي : وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، الرباط، منشورات عكاظ، 1987.

26 ـ فاخوري (عادل) : علم الدلالة عند العرب، ط،1 دار الطليعة، 1985.

27 ـ الفاسي الفهري عبد القادر : اللسانيات واللغة العربية، ط، 2، الدار البيضاء، دار توبقال، 1985.

28 ـ الفاسي الفهري عبد القادر : البناء الموازي، ط، 1، الدار البيضاء، دار توبقال، 1990.

29 ـ فتوح أحمد : «لغة الحوار الروائى»، في، فصول، عدد 20، 1982.

30 ـ كولدمان (لوسيان) : المادية الديالكتكية وتاريخ الأدب والفلسفة/ترجمة نادر ذكرى، بيروت، دار الحداثة، 1981.

31 ـ مفتاح محمد : تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط، 2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1986.

32 ـ مفتاح محمد : دينامية النص [تنظير وإنجاز]، ط، 1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1987.

33 ـ ميتران (هنري) : «الكرونطوبيات الروائية بصدد جيرمينال»، ترجمة يوسف شكير في : العلم الثقافي، عدد 772، 2 ماي 1992.

34 ـ (نعيمة) ميخائيل : الغربال، ط، 12، بيروت، نوفل، 1981.

35 ـ هامون (فليب) : الأدب والواقع، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الازدي، ط، 1، تنسفت، 1992 .

36 ـ يقطين سعيد : انفتاح النص الروائى، ط، 1، البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1989 .

المعاجم:

العلامة ابن منظور: لسان العرب/أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، بيروت، دار الجبل، دار لسان العرب، 1988 .

Greimas (J. A.) ; Courtès (J.) : Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, Hachette, 1979

Le Petit Robert, 21 édition, 1975.

BIBLIOGRAPHIE

1) Bal (M) : Narratologie, Hesvetgews, Postobus, utrechrt, 1983.
2) Bakhtine (M) : la poétique de Dostoïevski- trad du russe par Isabelle Kalicheff-seuil, Paris 1970.
3) Bakhtine (M) : Esthétique et théorie du roman, trad, Dania Olivier, Gallimard 1978.
4) Balandier (G) : Anthropologie politique, P.U.F, Paris, 1967.
5) Barthes (Roland) : " Inrtoduction à l'analyse structurale des récits", communication 8, 1966.
6) Barthes (Roland) : Le degré zéro de l'écriture suivi de nouveaux essais critiques, seuil, 1953 et 1972.
7) Barthes (Roland) : "Analyse textuelle d'un conte d'Edgar Poe", Sémiotique narrative et textuelle, 1973.
8) Barthes (Roland) : " Le Discours de l'histoire", Poétique, N° 27, 1976.
9) Bnani (Al) : Vers une approche sémantico-pragmatique des noms propres, in linquistica commu nicatio, vol, N° 2, 1989.
10) Bourdieu (P) Questions de sociologie, Minuit, 1980.
11) Bourneuf (R) et Ouellet (Ré) : l'Univers du roman, P.U.F. Pris 1981.
12) Courtés (J) : Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette, 1976.
13) Courtés (J) : Analyse Sémiotique du discours Hachette, 1991.
14) Greimas (A.J) : Sémantique structurale, larousse, 1966.
15) Greimas (A.J) : Du sens I, Seuil, 1970.
16) Greimas (A.J) : "Les actants, les acteurs et les figures", Sémiotique narratives et textuelle. Larousse, 1973.
17) Greimas (A.J) : Sémiotique et sciences sociales, seuil, 1976.
18) Greimas (A.J) et Courtès (J) : Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, 1979.
19) Greimas (A.J) : Du Sens II , Seuil 1983.
20) Greimas (A.J) et Fontanille (J) : sémiotique des passions, Seuil, 1991.
21) Groupe d'Entrevernes : Analyse sémiotique des textes, Toubkal, 1987.
22) Hanon (Ph) : "Statut sémiologique du personnage", Poétique du récit, Seuil, 1977.
23) Hjelmslev (L) : Essais linguistiques, Minuit, 1971.
24) Huenen (R) et perron (F) : "Le signifiant du personnage" Littérature, n°14, 1974.
25) Huenen (R) et perron (P) : Balzac : Sémiologie du personnage romanesque, les Presses de l'Université de Montréal, 1980.
26) Kripke (S) : La logique des noms propres, trad, de l'américain par Jacob (P) et Recanati (F), Minuit, 1980.
27) Kristeva (j) : La révolution du langage poétique, seuil, 1974.
28) Krysinski (W) : Carrefours du signes : essai sur le roman moderne, Mouton, 1981.
29) Milly (J) : "Sur quelques noms proustiens", littérature n°14, 1974.
30) Molino (J) : " Le nom propre dans la langue", langage n°66, 1982.
31) Nef (F) "Sémantique des noms propres et essentialisme", in critique, n° 479, 1987.
32) Picard (M) : Lire le temps, Minuit, 1989.
33) Pouillon (J) : Temps et roman, Gallimard, 1964.
34) Ricoeur (P) Temps et Récit, seuil, 1983 Tome 1.
35) Rossum Guyon, (F.V) : Critique du roman, Gallimard, 1970.
36) Roche (Anne) : "Temps idéologique et temps narratif de la grande Gréve de Maloto", Littéreture n° 2, 1975.
37) Todorov (Tz) : Mikhaïl Bakhtine, le principe dialogique, Seuil, 1981.
38) Todorov (Tz) : "les catégories du récit littéraire", communication 8, Seuil, 1981.
39) Topia (A) : " Contrepoints joyciens", poétique n° 27, 1976.
40) Weinrich (H) : Le temps, seuil, Coll, Poétique, 1973.
41) Zima (V.P) : l'ambivalence romanesque, le sycomore, 1980.
42) ZIMA (V.P) : Manuel de sociocritique, Picard, 1985.

الفهرست :


IMPRIMERIE AL KARAMA
037.20.87.52 - 037.20.87.53

كان المشروع إذن، من البدء، تقنياً، بمعنى أن المراهنة كانت على اللغة والأسلوب.

والتعامل مع اللغة، على مستوياتها المختلفة، هو الذي جعلني أنقاد كلياً للواقع.

حدّدتُ الفترة الزمنية من 1968 إلى 1985، انغمست في الجرائد والمجلات التي كانت تصدر آنذاك، زرت الملاعب واستمعت باهتمام الى تعاليق الجمهور، انكببت على الكتب التقنية المتعلقة بكرة القدم ساعدني في عملي التوثيقي هذا أنه صادف انعقاد دورة الألعاب المتوسطية في المغرب، كان الاهتمام كله موجهاً إلى الرياضة.

إلا أن الواقع متلألىء خدّاع، والواقع اللغوي أكثر من غيره، خذ الأعلام مثلا.

منذ البداية لفت انتباهي عدد اللاّعبين على الميدان، أحد عشر بعد الحارس.

رقم «ساحر»، ما ذكرتُ بعض الأسماء - محمد، علي، الحسن - حتى استتبعت السلسلة كاملة، سلسلة الأئمة وكان الإغراء قوياً أن أسحب مكارم الاسم على المسمّى. أنقذني من الخطأ «همّ الواقع» بقيت أصداء من هذا الميل العابر قد تؤثر في شعور بعض القراء النبهاء.

د. عبد الله العروي

الثمن: 36 درهم